
دار
الموقف العربي
عبد الناصر
بين رفاقه ، معاصريه
الجزء الثاني



دار الموقف العربي

عبد الناصر

بقلم رفاقه ومعاصريه

الجزء الثاني

- ابو سيف يوسف ● احمد حمروش ● د. اسماعيل صبرى عبد الله
- ايرين بيسون ● بدوى محمود ● تيودراكس
- د. حسن حنفى ● حسنين كروم ● خالد محيى الدين
- عبد العزيز جميل ● عبدالعظيم مناف ● عبد الفتاح ابو الفضل
- عبد الله امام ● ليونارد موسلى ● مجدى حسنين
- محمد بركات ● د. محمد شفيع عجوانى ● محمد عوده
- محمود المراغى ● د. مراد غالب ● د. ميلاد حنا
- نجاح عمر ● د. يحيى الجمل ● يوسف الشريف

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

هذا الكتاب

في الجزء الأول من كتاب عبد الناصر بقلم رفاقه ومعاصريه قدمت دار الموقف العربي رؤية عدد من الكتاب والمفكرين .. وتواصل الدار في هذا الجزء تقديم بقية الآراء .. والأفكار التى طرحوها حول التجربة الناصرية .

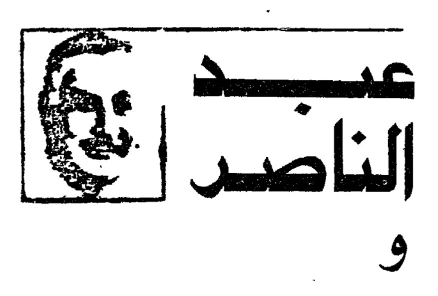
وكان حرصنا الوحيد هو الاحتفاظ للكتاب والمفكرين بآرائهم كاملة ، بغض النظر عن اى ترتيب زمنى .. أو موضوعى للأحداث التى تناولوها .

وتؤكد دار الموقف العربي حرصها على ان تترك لجميع الكتاب حرية تقييم تجربة عبد الناصر وعصره ايمانا منها بأن هذه التجربة الرائدة التي تركت معالم

بارزة لن تزول ، والتى خرجت بتأثيرها من مصر العربية الى العالم الثالث كله ، لتحدث آثارا مازالت حتى الآن موضع اهتمام الدارسين والباحثين فى كل انحاء العالم ·· هذه التجربة ينبغى أن تفسح لكل الآراء والأفكار مجالا لتضع أمام الأجيال التى عايشت ثمارها تقييما أمينا وموضوعيا لها ·· يقف صامدا ضد محاولات التشويه المتعمدة ·· ومن أجل ذلك كله كان حرصنا شديدا على اصدار هذا الجزء الذى يتناول رؤية لفيف آخر من كتاب ومفكرى مصر ·

ونحن نؤمن فى النهاية بأن تجربة عبد الناصر وانجازاته ، وعصره ، سوف تظل الى فترة طويلة جدا موضع الاهتمام والدراسة ، وأن هذه الكلمات لن تكون الأخيرة حول هذه الفترة الذهبية من حياة مصر والأمة العربية والعالم الثالث ·

« الموقف العربى »



السد العالى والقومية العربية

د. يحيى الجمل

قد يبدو هذا العنوان غريبا لأول وهلة ..

وقد يظن البعض انى اقصد به الى الرمز ..

ولكن الحقيقة أن هذه الأقانيم الثلاثة ـ عبد الناصر والسد العالى والقومية العربية ـ ترتبط ببعضها ارتباطا بلغ من الوثاقة الى المدى الذى يمكن ان يقال معه ان الصلة فيما بين بعضها البعض توشك ان تكون صلة عضوية .

وما من احد يجادل فى أن المنهج الفكرى لعبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو لم يكن واضحا كل الوضوح فى الأشهر الأولى للثورة .

حقا اختمرت الفكرة لدى عبد الناصر ورفاقه على أرض فلسطين وبعد عودتهم منها ولم يكن من الممكن والأمر كذلك أن يختفى البعد العربى تماما من فكر قائد الثورة .

ولكن عبد الناصر عندما أقام تنظيم الضباط الأحرار وعندما قاد حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو لم يكن من قبيل الثوار الايديولوجيين ، الذين يتحركون وفقا لفلسفة معينة واضحة المعالم .

كان عبد الناصر شابا وطنيا رافضا للاستعمار ورافضا للظلم ، وكان هذا الرفض هو المحرك الأساسى له ، وعندما قاد حركته والتفت حولها الجماهير واحتضنتها وبلورت أهدافها انقلبت تلك الحركة الى ثورة شعبية .

ومن الحق أن يقال ان عبد الناصر ظل خلال الأشهر الأولى للثورة ـ التى امتدت الى قرابة العامين والنصف ـ يبحث عن هوية تلك الثورة ، وظلت الثورة تبحث عن هويتها .

ولم يكن بحثا أكاديميا ولا بحثا مجردا وانما كان بحثا أملته الظروف والأحداث .

وكان طبيعيا أن تستغرق مشاكل مصر الداخلية ـ وهى ضخمة ومتعددة ومتشابكة ـ جهد الثورة كله وجهد قائد الثورة كله ، كذلك كان طبيعيا أن تتحسس الثورة اتجاهها لكى تمضى قدما وهى بمنتهى الأمان .

وكان لابد من عامين وبعض العام لكي يأخذ ذلك كله مجراه ولكي تعرف الثورة أين هي ولمن هي وما هويتها ؟

هل هي ثورة اقليمية مصرية بحتة أم هي ثورة عربية : هي نواة الثورة العربية أم هي الثورة العربية النواة .

وكانت هناك ارهاصات كثيرة تدل على التوجه العربي ولكنها لم تكن حاسمة بالقدر الكافي في أحاديث عبد الناصر وخطبه . كانت كلمة العرب والعروبة والأمة العربية ترد أحيانا اذا كانت هناك مناسبة لها ، وخصصت اذاعة مصر موجة أسماها بل وسماها الاذاعة « صوت العرب » وافتتحه عبد الناصر بكلمة منه ، وفي العيد الأول لصوت العرب — يوليو ١٩٥٤ — ألقى كلمة أخرى .. لعلها اول مرة يتضح فيها البعد العربي الى حد ما .

وبدأت معركة الأحلاف ..

وخاض عبد الناصر ضدها حربا عارية .

وكان أمرا طبيعيا ان يولد في مواجهة الأحلاف شيء جديد في فكر عبد الناصر وفي حركته وفي توجيهاته . شيء ليس بالجديد في الواقع ، ولكنه جديد عليه هو ، اسمه الوطن العربي .

وكان بناء السد العالي في جنوب مصر حلما من أحلام الثورة .

وكان توجه عبد الناصر نحو الغرب ونحو البنك الدولي لكي يساعدوه في اقامة السد العالي ذلك الذي تعلق عليه الثورة كثيرا من أملها في التنمية والتقدم .

ولكن الغرب كان قد أدرك ان عبد الناصر ليس مجرد ضابط قاد انقلابا عسكريا يمكن أن يحتوى .

انه ليس مثل « كولونيلات » أمريكا اللاتينية ولا يمكن التعامل معه على نفس النحو .. انه ظاهرة جديدة وفريدة .

وبدأ حوار طويل حول بناء السد العالى وكيفية تمويله وشروط ذلك التمويل .

وأحس عبد الناصر بوعيه السياسى وبطريقته فى تحليل الأمور ان شركا خطيرا يراد أن ينصب له ولثورته ولمصر .

وانتهى الأمر مع الغرب بأن سحبت أمريكا وتبعتها بريطانيا وتبعهما البنك الدولى عروضهم لتمويل انشاء السد العالى .

ورغم ضخامة الصدمة الا أن عبد الناصر لم يستسلم ولم يسقط ، عكس ذلك تماما هو الذى حدث .

وجه عبد الناصر الى الاستعمار الغربى ضربة زلزلته زلزالا حقيقيا .

كان لابد من بناء السد العالى ..

وكان لابد من الاعتماد على الذات ..

كيف تعامل عبد الناصر مع الحدث وكيف تأثر به وكيف أثر فيه .

حقا وفى مثل هذه المواقف تتحدد ثورية الرجال وعناصرهم وانتماءاتهم ، والشىء الملفت للنظر حقا ان هذا الموقف .. سحب تمويل السد العالى من قبل الغرب . وتفكير عبد الناصر فى توجيه ضربة مقابلة للغرب ـ وضرورة بناء السد ـ هذا الموقف كان هو النقطة الكبرى فى فكر عبد الناصر وانضاجه عربيا .

كان قرار عبد الناصر فى مواجهة تصرف الاستعمار الغربى نحوه هو تأميم الشركة الدولية لقناة السويس .

وقد أصبحت تلك الأحداث كلها ملكا للتاريخ ولا تعنينا هنا من زاوية كونها أحداثا .

ولكن الذى يعنينى هنا هو أن أوضح ـ كدارس ـ أن هذا الموقف وما سبقه وما لحقه من تفاعلات كان هو نقطة التحول الكبرى فى فكر عبد الناصر وفى ثورته ٠

وعندما وقف عبد الناصر فى الاسكندرية مساء يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٥ ليلقى خطابه فى العيد الثالث للثورة ، ذلك الخطاب الذى أعلن فى نهايته قراره بتأميم قناة السويس ، كان هذا الخطاب بذاته هو نقطة الفصل بين مرحلتين فى فكر عبد الناصر وفى اتجاه للثورة :

مرحلة الالتفاف الى الداخل والبحث عن الماهية المتردد بين الاقليمية والقومية ، ومرحلة أخرى هى مرحلة الوعى بالانتماء العربى وبالقومية العربية والوطن العربى وبوحدة المشاكل ووحدة الأهداف ، ووحدة الأنصار ووحدة الأعداء ٠

كان عبد الناصر يلقى خطابا فى عيد الثورة المصرية ٠ وكان يعتزم أن يعلن تأميم قناة السويس فى نهاية ذلك الخطاب وكان الحديث يدور حول تصرفات الغرب وسحب تمويل السد العالى وضرورة الرد على هذا التصرف ٠

فهل كان خطاب عبد الناصر هو ذلك وحسب ؟

لا بل كان ذلك وأكثر منه ٠٠ كان ذلك وكان نهاية مرحلة وبداية مرحلة فى فكر قائد الثورة وفى وعى الثورة بذاتها ٠

ومنذ أن قامت الثورة وحتى تاريخ القاء ذلك الخطاب لم يتحدث عبد الناصر قط بمثل هذا الوضوح عن فهمه لقضايا الوطن العربى ولمفهوم القومية العربية وعن انتمائه وانتماء ثورته وانتماء مصر وشعبها للامة العربية ٠

ومنذ ذلك التاريخ تحدد مسار ثورة عبد الناصر وكونها الثورة العربية الأم أو الثورة العربية النواة في النصف الثانى من القرن العشرين ٠

واحسب ان الأمر يطول اذا اردت ان انقل هنا بعض عبارات ذلك الخطاب ٠

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله ٠

يقول عبد الناصر فى ذلك الخطاب ـ تاريخ ٢٥ يوليو ١٩٥٥ بالاسكندرية :

« حاول الاستعمار بكل وسيلة من الوسائل ان يضعف قوميتنا وأن يضعف عروبتنا وأن يفرق بيننا فخلق صنيعة الاستعمار اسرائيل » ٠

« ان القومية العربية تتقدم وستنتصر ٠ انها تسير الى الأمام وهى تعرف طريقها وتعرف سبيلها » ٠

« وبدأوا يقاومون القومية العربية فى الجزائر ٠ كل هذه القوى تقاتل عشرة ملايين جزائرى ولكن القومية العربية فى الجزائر استطاعت أن تهزم حلفاء فرنسا ٠٠ وهذا معناه اشتعال القومية العربية وشعورها بكيانها وحقها فى الحياة ٠ هذه المعارك التى نخوضها ٠٠ معركة الأردن والجزائر ومقاومة الأحلاف كلها معاركنا » ٠

« انهم يعرفون أن لنا قومية تجمعنا من المحيط الأطلسى حتى الخليج العربى ٠٠ هذه القوة يجب أن يحمل لها حساب لأول مرة فى التاريخ ٠٠ اذن يقضون على فلسطين ويحل اليهود محل أهلها ٠٠

والصهيونيون يعلنون ان وطنهم المقدس يمتد من النيل الى الفرات » .

ويختتم عبد الناصر ذلك الخطاب التاريخي قبل أن يعلن قرار التأميم بقوله :

« ولهذا فاننا اليوم أيها المواطنون حينما نبني السد العالي فانما نبني سد العزة والحرية والكرامة ونقضي على سدود الذل والهوان » .

وكلنا يعرف كيف سارت الأحداث بعد ذلك .

وكيف حدث العدوان .

وكيف تحرك الشعب العربي كله من المحيط الى الخليج لنصرة الشعب العربي في مصر حتى اندحر العدوان وانسحبت فلوله .

وولد عبد الناصر زعيما عربيا لا ينازعه في زعامته للشعب العربي كله أحد .

ومنذ ذلك التاريخ والى أن اختاره الله الى جواره وحتى بعد وفاته والعالم كله ينظر اليه هذه النظرة ويقيسه بذلك المعيار .

وكان عبد الناصر ينضج عربيا يوما بعد يوم . ينضح ذلك في أحاديثه وفي خطاباته وفي مواقفه جميعا .

ومرت الأيام ، ووقف عبد الناصر في التاسع من يناير ١٩٦٠ في أسوان عندما بدىء فعلا في بناء جسم السد العالي ليقول :

« أيها الاخوة .. هذا هو السد العالي الذي داوت من حوله المعارك وحارب من أجله الأبطال .. هذا هو السد العالي الذي شهد كل هذا الكفاح واستحق كل هذا الكفاح لا بسبب قيمته الذاتية فحسب بل لأنه أصبح كرمز لتصميم الأمة العربية كلها على أن تسير في بناء وطنها الكبير المتحرر .. قيمته الكبرى أيها الاخوة ..

تصميم بلدنا ·· اننـا نستطيع الصمود للعواصف وقد صمدنا للعواصف وعشنا فيها ثم عشنا بعدها ·· صمدنا للعدوان وعشنا فيه ثم عشنا بعده ·

هذه أيها الأخوة هي القيمة الكبرى للسد العالى بالنسبة للأمة العربية كلهـا ·· ان الشعوب تقيم نصبها التذكارية تخليدا لانتصاراتها الكبرى واننا لنعتبر ان السد العالى هو النصب التذكارى لمعركة العرب وانطلاق القومية العربية لتحقيق دورها التاريخى ·· دورها الانسانى ·· انه تذكار أيها الاخوة يتناسب فىضخامته ويتناسب فى فوائده ويتناسب فى آثاره مع عظمة الأمة التى انشأته ·

انه تذكار حى خلاق وليس مجرد حجر اصم تنثر الزهور من حوله ·· انه حياة جديدة متجددة ·· انه قوة دافعة للتطور ·· انه عون وذخر وسند فى معارك طويلة على طريق طويل من أجل تحقيق الأهداف العربية الكبرى ·

اليس من حقى اذن أن أربط بين عبد الناصر وبين السد العالى والقومية العربية وأن أقول ان الارتباط بين الأقانيم الثلاثة هو ارتباط عضوى ·

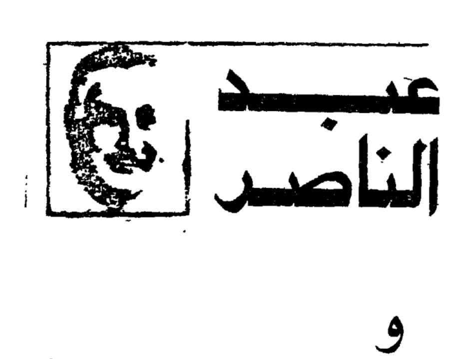
وما أكثر السدود التى اقيمت ··

وما أكثر السدود التى انهارت ··

وما أكثر المعارك التى واجهناها ··

وما أكثر المعارك التى تنتظرنا ·

وسيظل عبد الناصر وسيظل سده العالى وستظل القومية العربية ·· ستظل هذه الأقانيم الثلاثة الوية خفاقة يرفعها كل المناضلين من أجل اهداف الأمة العربية وحقها فى الحياة ·



عبد الناصر و الدين

يظهر ناصر لنا هذه الايام وكأنه كان حلم حياتنا . فقد استطاع لاول مرة فى تاريخنا الحديث منذ محمد على صياغة مشروعنا القومى الذى تمثل فى مبادىء الثورة الستة والذى تحقق على مدى ثمانية عشر عاما فأعطى المنطقة واقعا وكيانا مناهضا للاستعمار والصيونية والرأسمالية ومؤكدا استقلال الارادة الوطنية للشعوب وسيطرتها على وسائل الانتاج . ومؤسسا حركة عدم الانحياز التى اصبحت تمثل مستقبل العالم ، تمده بقيم جديدة فى التحرر الوطنى والعدالة الاجتماعية .

وبالرغم مما عاناه البعض منا اثناء تحقيق مشروعنا القومي، رغبة منا في المزيد من العدالة الاجتماعية او مطالبة منا بالمشاركة في صنع القرار ، وتأسيس نظام ثوري شعبي يساند القيادة .

وقد ظهر البعد الثوري للدين في معظم المعارك التي دخلها جمال عبد الناصر : الدين والثورة (١٩٥٢) ، الدين والسلطة (١٩٥٤) . الدين والوحدة (١٩٥٨) ، الدين والاشتراكية (١٩٦١) الدين وعدم الانحياز (١٩٦٥) ، الدين والصمود (١٩٦٧) ، وسأترك ناصر يتحدث عن نفسه من خلال خطبه ومواثيقه واحاديثه .

لقد قام الضباط الأحرار بالثورة ألتي سبقهم اليها رجال الدين فثورة الجيش وثورة العلماء ثورة واحدة . لقد وقف رجال الدين أمام نابليون ونادوا الى الجهاد ، وقاوموا الحملة الفرنسية . ثم قام عرابى متسلحا بروح الأزهر مدافعا عن حقوق الوطن . ثم اشترك العلماء في ثورة ١٩١٩ ، وقاد رجال الدين المظاهرات . لذلك كان هدف الاستعمار هو القضاء على الجيش وعلى الأزهر ، تمسك الضباط الأحرار ورجال الدين . ففي مصر قوتان : قوة الجيش وقوة العلماء وكان هدف الاستعمار دائما تسريح جيش مصر والقضاء على هيبة العلماء ، وتشويش الدين وافساد نظم التعليم . لقد كان دور العلماء دائما هو توجيه السياسة المصرية . فقد قام السيد عمر مكرم بتنصيب محمد على واليا على مصر ، وارتفع صوت محمد عبده ينادى بالاصلاح الدينى ودعا قاسم أمين الى تحرير المرأة فالدين والوطنية والمجتمع كلها روافد ثورية واحدة لأن الدين ثورة وطنية واجتماعية .

ولكن لسوء الحظ استغلت الدولة العثمانية الدين ضد مصلحة الجماهير ومن اجل تثبيت دعائم الذل والاذعان ، وبث الرشوة

وإفساد الضمائر ، وتدعيم حكم الأقلية المسيطرة ضد غالبية الشعب المطحون حتى عاش الشعب اسوأ فترات الظلم والطغيان تحت ستار الدين . ثم أتى الاستعمار فأيد نظام الاستبداد واعتبر مع السلطان كل ثائر من رجال الدين او رجال الجيش خارجا على الدين . لذلك لم يكتف الضباط الأحرار في مصر بقول يارب يا متجلى اهلك العثمانلى ولكنهم كانوا يرون ان ميدان الجهاد الأكبر هو في مصر وذلك من اجل الثورة » واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ... » تلك الجبهة التي شاءها القدر لهم . كما استطاع الاسلام أن يقف في مواجهة الحملات الصليبية قديما وهي الشكل القديم للاستعمار . واستطاع ايضا الوقوف امام الغزوات الاستعمارية حديثا وهي الشكل الحديث للحملات الصليبية .

لقد اتى الاسلام برسالة تحرر للانسانية جمعاء من الذل والعبودية والمادية . تلك هي روحانية الاسلام لا الروحانية المرتجاة الصماء التي تولد العجز والنفاق . « ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان وعلى منحه طاقات لا حدود لها من اجل الخير والحق والمحبة » . فالدين توجيه للانسان وثورة للجماهير يقوم على الحرية . « فان هذه القيم لابد لها أن تعكس نفسها في ثقافة وطنية حرة تفجر ينابيع الاحساس بالجمال في حياة الانسان الفرد الحر ان حرية العقيدة الدينية يجب ان يكون لها قداستها في حياتنا الجديدة الحرة » . فالدين ليس تكفيرا وتفتيشا في الضمائر واتهامة للأبرياء بل ثقافة وطنية حرة واجتهاد مفتوح والتزام بأهداف الأمة . « ان رسالات السماء كلها في جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته . وان واجب المفكرين الدينيين الأكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته » . فالدين ثورة انسانية ، ورجال الدين هم الثوار وليسوا بائعي الفتاوى وفقهاء السلطان . وان جوهر الرسالات الدينية لا يتصادم مع حقائق الحياة وانما ينتج

التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية ان تستغل الدين ضـــد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفســـيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية » فالدين فى حقيقته ثورة ولكن للنظم الرجعية تحيله الى ثورة مضادة • « لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية التى ارادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها اقدمت على جريمة ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه ما يتعارض مع روحه ذاتها لكى توقف تيار التقدم » •

وتعود القيم الثورية فى الاسلام للظهور بعد ثورة اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢ وتظهر قيم الحرية والتحرر بالاضافة الى النظام الجمهورى الجديد ، حكم الشعب بالشعب والقيم الاشتراكية الجديدة فقد كانت معركة الاسلام والاشتراكية فى أوجها • لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو فى مصر وهى تحمل شعارات الاسلام التى خرج بهاالى العالم أول مرة وأولها الحرية ، حرية الفرد وحرية الوطن • فقد حرر الاسلام كما حررت الثورة الفرد من سيطرة الاقطاع ورأس المال وكل اشكال السيطرة • لقد عادت الثورة تثبت دعائم الاســـلام التى قوضتها الخلافة وحررت المسلمين من الاســـتعمار البريطانى • ثم قامت ثورة اليمن فحررت العلماء الاحرار والضباط الاحرار من السجون والمعتقلات • قامت ثورة اليمن للقضاء على الرق والعبودية بالقضاء على حكم الأئمة الذين اتخذوا الدين ستارا للاقطاع والتسلط فى حين ان رسالة الاسلام الحرية والمساواة • لقد انتشر الاسلام من اليمن فى ارجاء الأرض ولكن نظام الأئمة عزل اليمن فقامت الثورة لتعيد الى اليمن رسالته فى الحرية والتقدم رسالة الاسلام الاولى • لقد حرر الاسلام اليمن من الرق والعبودية والاقطاع ولكن نظام الأئمة قضى على ما أتى به الاسلام • ثم جاءت الثورة واعادت الى اليمن رســالته الأولى • فقد قام محمد بن عبد الله للقضـــاء على الاقطاع والاستبداد والاطاحة بحكم الأسر ، أسر بنى سفيان وقريش • كان حكم الأئمة مشابها للحكم العثمانى ، كلاهما حكم باسم الدين وتحت

ستاره . وكلاهما تكاتف مع الاستعمار فى الارهاب وقطع الرؤوس والاعتقال .

ورسالة الاسلام ان يكون الأمر شورى ، لا امامة ولا ملكية بل جمهورية يشعر فيها كل فرد بحقه فى الحرية والحياة ، له الحق فى ان يكون رئيسا للجمهورية . « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة أهليا اذلة » ، لم يكن حكم الأئمة قائما على الشورى بل على مبدأ الحكم الفردى والسيطرة والتحكم ، حكم السيف وقطع الرقاب . ولكن ثورة اليمن اعادت اليه حكم الشورى ، حكم الاسلام الممثل فى مجلس الأمة والحركات الشعبية وحق كل فرد فى التعبير الحر عن رأيه . وعلى هذا النحو ترسى دعائم الاسلام . لم يورث الاسلام الأمة ابنا عن اب أو أبا عن جد ولكن نادى بان يكون الحكم للشعب لا ان تكون الولاية وراثية . لقد حكم المسلمين بعد النبى ابو بكر وعمر لأن المسلمين اختاروهما وبايعوهما . فالاسلام يعنى المساواة بين الجميع وحق كل فرد فى الحكم اذا ما اختاره الناس بغض النظر عن حسبه ونسبه وعائلته وقبيلته ، يكفيه انه مسلم ، له حق الحرية والمساواة .

والنظام الجمهورى هو الذى تتحقق فيه هذه المبادىء الاسلامية كالشورى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمبادىء التى قامت من اجلها الثورة فى الديمقراطية والمساواة . فالجمهورية تعنى اختيار الشعب بارادته الحرة للحاكم الذى يتولى شئونه . ويمكن لكل مسلم ان يتصدى للحاكم كما تصدى المسلمون لعمر وقالوا له « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا » . ليس بالاســـلام كهنوت يحكم بالحق الالهى اذ يستطيع الشعب ان يعزل الحاكم اذا انحرف من مصلحة الشعب وارادته .

ولما كانت الثورة فى حاجة الى البذل والعطاء فان الاسلام يوفر لها ما تريد بما يقدمه للناس من قيم للجهاد والتضحية التى تتفجر

فى عيد الفطر وعيد الأضحى • فالصائم يضحى بمأكله وشرابه فى سبيل الاحساس بالآخرين • وابراهيم ضحى بابنه طاعة لله وتنفيذا لأمره • وحياة الرسول كلها تضحية وجهاد فى حربه للمشركين حتى فتحه مكة • والانسان هو الذى حمل الأمانة بعد ان ابتها السماوات والأرض والجبال ، والمسلم هو الذى عقد تجارة مع الله . الجهاد فى سبيله • فالاسلام جهاد ، وما فرضت العبادات فى الاسلام الا لمجاهدة النفس واعدادها لخوض المعارك دفاعا عن الوطن • لقد اشترى الله من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » • وتتحقق أمانى الشعوب بالجهاد وليس بالأمانى والمنى • وقد اعطت المسيحية ايضا درس الجهاد والتضحية فى حياة المسيح والحواريين والمؤمنين وما لاقوه جميعا من اضطهاد الرومان • طريق الجهاد اذن هو طريق الأنبياء وطريق الثوار طريق العمل والفداء كما جاهد محمد والمسيح وقد كان باستطاعة الله تأييدهما ونصرهما • وما قام به الضباط الاحرار ان هو الا جزء من الجهاد •

ولما ترك المسلمون الجهاد واستسلموا للذل والطغيان غزاهم الاستعمار وبالتالى لن يتحقق تحرير المسلمين الا بالجهاد وتوحيد الأمة ضد تفككها من أجل مواجهة الاستعمار والقضاء على المنافقين فى الأمة من الأمراء والسلاطين مثل يوسف خنفس فى مصر والجلاوى فى المغرب • ان تحرير المسلمين من الاستعمار البريطانى لهو الجهاد الذى نادى به الاسلام ، الجهاد فى سبيل الوطن وفى سبيل الله لا ابتغاء الشهرة بل ابتغاء مرضاة الله • رسالة الدين رسالة الجهاد فى مواجهة بريطانيا التى تآمرت على المسلمين فى جميع انحاء العالم وتآمرت على العرب لتذلهم لأنها اعتقدت ان ذل العرب ذل للاسلام • وقد كتب الجهاد على جنود مصر من أجل الحق الالهى للانسان العربى فى ان يحيا بالحرية والعدل • ولم تتردد مصر فى ارسال ابنائها لدفع العدوان الرجعى الاستعمارى عن ثورة اليمن لأن الثورة فى مصر تؤمن بعزة العرب جميعا كأساس لعزة الاسلام • « ان جبال اليمن

تحمل قبسا من نفس الشعلة المقدسة التى يحج اليها المسلمون فى عرفات ، نفس الروح العظيمة التى اجبرتها العناية الالهية قدرة البشر على التضحية من أجل العقيدةوفاء للرسالة ، رسالة الانسانية والتقدم . لقد عاهد جيش مصر على هذه الأرض المقدسة على طرد بريطانيا من عدن ومن كل الجنوب العربى وعلى نصر دين الله ومساعدة الأخوة الذين يكافحون الاستعمار فى جنوب اليمن . ان رسالة مصر نحو الأخوة العرب والمسلمين هى شد الأزر والمساعدة على أن يرسوا فى بلادهم دعائم الاسلام الحقيقية . لقد جاءت الثورة المصرية لمساعدة الثورة اليمنية ورد اعتداء الرجعية والاستعمار عليها تنفيذا لأمر الله . لم تحارب الثورة المصرية فى بلد غريب بل فى بلد شقيق . ان جنود مصر حضروا الى اليمن واستشهدوا فى سبيل الله من أجل رسالة الله ، لا من اجل منفعة بل من اجل مبدأ ، وسارعوا للاقاة الثمن اجل رفعة راية الحرية وهى راية الاسلام . جزاؤهم عند الله وليس عند الناس كما خرج الجنود الأوائل طلبا للاستشهاد فى سبيل الله .

واذا كان الجهاد الأصغر هو الجهاد ضد الاستعمار من اجل تحقيق الاستقلال فان الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس ، جهاد ضد التخلف والفقر ، جهاد التنمية والتغير الاجتماعى . الأول ثورةضد الاستعمار الأجنبى والثانى ثورة ضد الفقر والجوع والجهل والمرض فالجهاد ثورتان ثورة سياسية وثورة اجتماعية وهو ما حققته الثورة المصرية رائدة للثورات العربية .

● ●

لقد كان من سوء الطالع صدام الثورة المصرية مع الاخوان المسلمين فى بداية المد الثورى فى ١٩٥٢ وفى بداية الانحسار الثورى فى ١٩٥٦ . كانت العلاقة بين الثورة والاخوان علاقة وطيدة من خلال اتصالات ناصر بحسن البنا ووجود بعض الضباط الاحرار

من الاخوان مثل عبد المنعم عبد الرءوف ومساهمة الاخوان نيابة الثورة وبعدها في تأييد الثورة والدفاع عنها . ولكن حدث الصراع على السلطة حتى قبل الثورة عندما طلب عبد المنعم عبد الرءوف انضمام حركة الضباط الاحرار الى الاخوان حتى تؤمن الجماعة حياة الضباط ومستقبلهم في حالة فشل الثورة . ولما رفض ناصـــر لأن الوطنيه لا ترهن بموضوعات شخصية استقال عبد المنعم عبد الرءوف قبل الثورة بستة أشهر من حركة الضباط الاحرار . وفي أول يوم لقيام الثورة طالب الضابط ابو المكارم عبد الحي رئيس التنظيم الاخواني بالجيش اسـلحة لتوزيعها على الاخوان تأييدا للثورة ولكن رفض ناصر بالرغم من قبوله مبدأ التعاون معهم . ولم تحل الجماعة طبقا لقانون حل الأحزاب ولكن حدث الصدام بعد ذلك حينما رفض الاخوان الاشتراك في الوزارة الا بشروط ثلاثة :

الأول الا يصدر قانون الا إذا أقره الاخوان والثاني الا يصدر قرار الا اذا أقره الاخوان وقد رفض ناصر هذين الشرطين لأن الثورة ترفض أية وصاية عليها ، وهناك فرق بين الوصاية والتعاون . والثالث طلب الاخوان ان يفرض ناصر الحجاب وان يغلق المسارح والسينما وان يتحول ناصر الى حاكم بأمر الله في حين ان ذلك موكول لرب كل أسرة ، وهو شرط في ظاهره تطبيق الاسلام وفي حقيقته غرض الوصاية على الثورة . وهنا يبدو الصراع على السلطة بين الثورة والاخوان، بين الشرعية الثورية والشرعية الدينية. وكان يكفي عقد حوار بين الشرعيتين حتى تتحقق الوحدة الوطنية في ضمير الأمة وفي وعيها القومي بين الدين والثورة ، ولكن ذلك لم يحدث حتى الآن فقد كانت الثورة في السلطة وكان الاخوان يرون التغيير عن طريق السـلطة ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

ومن هنا جاء اتهام الاخوان بالأطماع الشـخصيه وبالحقد وبانهم كانوا ضحية للحزبية البغيضة . حاولوا هدم الثورة من أجل

السلطة مع أن الثورة أخرجتهم من السجون وحققت لجميع العزة القومية . خدع الاخوان الناس باسم الدين وعادوا للثورة وأصبحوا يمثلون العهد البائد .

الحزبية والملكية احتكروا تفسير الدين ووقعوا فريسة التعصب وتآمروا ضد رجال الثورة الذين يعبرون عن أماني الشعب . فالثورة تمثل شعب مصر . ولا يمكن ترك الاسلام حكرا على فئة تتستر وراء الخداع والتضليل وانتهاز الفرص . لذلك كون الاخوان جهازا مسلحا للانقضاض على الحكم بالرغم مما يرفعونه من شعار الديمقراطية . لقد أسس حسن البنا هذا النظام لمحاربة الملك والأحزاب ولكن القيادة الجديدة للاخوان حلته واقامت نظاما سريا بديلا عنه ليست مهمته مقاومة الانجليز والاستعمار بل لمقاومة حكام مصر الوطنيين ولترتوعضد الشعبولسيطرة على الجيش والشرطة والشباب والقيام بعمليات ارهابية للقضاء على الحياة الديمقراطية في البلاد .

ولما عادى الاخوان الثورة هادنوا الانجليز واتصلوا بمستر ايفانز المستشار الشرقي للسفارة البريطانية . وقد كان ناصر في حقيقة الأمر يعلم بأمر هذه المفاوضات التي رفض فيها الاخوان ما منحه رجال الثورة في المعاهدة . كان الاخوان يمثلون تيارا شعبيا وليسوا في الحكم، وكان رجال الثورة في الحكمومازالوا بصدد البحث عن سند شعبي .. واذا كانت قيادة الاخوان قد سجلت اسماءها في سجل التشريفات وكتبت ولي الأمر ولم تعارض اباحية الملك فان ذلك كان يعتبرهم الد أعدائه بدليل اغتياله لمرشدهم حسن البنا .

وقد اتهم ناصر الاخوان بأنهم أيضاً أعوان الصهيونية والرجعية العربية منذ كانت اذاعات اسرائيل والعواصم الرجعية العربية تروج لهجوم الاخوان على الثورة . وكان الحلف المركزي

الاستعمارى يؤيدهم كذلك والحقيقة أن جهاد الاخوان ضد الصهيونية فى فلسطين مشهود · لم يتجاوز الاخوان حدود الشعارات الدينية ولم يملأوها بمضمون سياسى فى حين أن الثورة حققت المضمون دون الشعارات · فاذا كان القرآن هو الدستور فان ذلك يعنى خلع الملك والقضاء على الفساد والظلم الاجتماعى وتحقيق الجلاء وهو ما حققته الثورة ·

وقد بلغت قمة المأساة فيما يسمى بحادث المنشية بعد الصراع حول اتفاقية الجلاء · وللحقيقة والتاريخ ان اتفاقية الجلاء كانت تمثل اقل من المطالب الوطنية اذ كانت تسمح بعودة قوات الاحتلال الى قناة السويس فى حالة الحرب · ولم يتحقق الجلاء بالفعل الا بعد تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ ولكن نقد الاخوان للاتفاقية فى ذلك الوقت كان أقرب الى المطالب الوطنية · ولكن ناصر أخذ عليهم اسلوب الاغتيالات والتغرير بمحمود عبد اللطيف وأمثاله من الفقراء الذين يدافع عنهم ناصر · كما أخذ عليهم الغدر به بعد تعاونهم معه وايثارهم نجيب عليه · والاسلام كما هو واقع من سيرة الرسول اتفاق الظاهر والباطن ، السر والعلن · « وذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها » · وكما قال القرآن « فلا تطع المكذبين » « ودوا لو تدهن فيدهنون » ·

لقد كان صراع الثورة مع الاخوان مأساة وطنية خسرت فيها الثورة التأييد الشعبى الذى كان يمثله الاخوان كما خسر الاخوان التفسير الثورى للدين الذى كان يمثله رجال الثورة . وضاعت الوحدة الوطنية من أجل الصراع على السلطة ، وكانت وحدة السلطة السياسية والدينية لصالح الثورة ضرورة لاحداث أى تغير اجتماعى شعبى فى مستقبل مصر ·

● ●

يظهر موضوع الوحدة الوطنية بين عنصـــرى الأمة الاقباط والمسلمين داخل مصر او خارجها بين المســـيحيين والمسلمين فى لبنان فى ١٩٥٨ على انها الدرع الذى يحمى الشعب من الطائفية التى يغرسها الاستعمار ويتلاعب بها لاحداث الفرقة والقضاء على وحدة الشعب . والحقيقة ان الطائفية فى مصر ليس لها اى اساس فى مجتمع ثورى يقوم على المســـــاواة بين المواطنين فى الحقوق والواجبات . كل على قدر جهده وكل له فرصة مساوية فى العمل . فلا توزع الأعمال على اساس طائفى ، والترقيات بالأقدمية أو الكفاءة والأجور على مستوى العمل وليس كما تروج اجهزة الدعاية الغربية من ان الاشتراكية فى مصر تقوم على اســـاس طائفى . ويدخل الطلاب الجامعات على اساس المجموع وليس على اساس الدين . والمادة الرابعة والعشرون من الدستور تنص على ان المصريين أمام القانون سواء ، وهم متســاوون فى الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم فى ذلك بسبب الجنس او الأصل او اللغة او الدين او العقيدة ولقد اراد الاســتعمار فى ســـوريا ايضا التلاعب بالطائفية ولكن استشهد المسلم والمسيحى كلاهما دفاعا عن استقلال سوريا . كما حاول الاستعمار فى مصر تقسيم الطبقة العاملة بالاستعانة بفلول الرجعية . تقوم الوحدة الوطنية اذن بين المسلمين والمسيحيين على مبادىء الثورة . فالاسلام والمسيحية كلاهما ثورة قامت على المحبة والمساواة وتكافؤ الفرص وهى المبادىء التى نادت بها جميع الأديان لقد عطفت الأديان للفقراء والمساكين والعاملين واستنكرت الاستعباد والاستغلال . كان المسيح ضد الاستعباد الرومانى وكافح محمد بن عبد الله ضد الاستعباد القبلى . اعترف الاســـــلام بأهل الكتاب واعطاهم حقوقهم . وفى فلسطين فى ١٩٤٨ حارب المسلم والمسيحى جنبا الى جنب ، ولم تفرق قنابل الاعداء فى ١٩٥٦ بين المســـلم والمسيحى . ولكن التعصب والجهل يثيرهما رجل فيرد عليه آخــر ، حوادث فردية قليلة وليست ظاهرة عامة ، وتاريخ مصر خال منها

والوحدة الوطنية بين عنصرى الأمة هى الأساس كما ظهر ذلك فى ثورة ١٩١٩ ·

ثم ظهر موضوع الاسلام والوحدة الوطنية اثناء الثورة اليمنية ، فقد قامت الثورة للتوحيد بين الشعب بعد ان فرقه الأئمة « لو انفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » · لقد رفعت الثورة راية الوحدة الوطنية حتى تفوت على الاستعمار تفرقته بين ابناء الوطن الواحد تحت ستار الحزبية أو الطائفية · فالكل عرب لا فرق بينهم لأن كل فرد يعرف واجبه وهدفه وهو الحرية والاستقلال · ان الاسلام يقتضى تضامنا وأخوة بين الاشقاء والعمل من اجل عزة العروبة ، كما ينادى الاسلام بالتعاون على البر والتقوى ليس فقط بالابناء والآباء بل بالأمة كلها · وتقوى الله فى جميع الأمور تعنى التخلص من الانانية والفردية كما تعنى رفض الاعيب الاستعمار ونبذ لغة المال · وتعنى ثالثا بناء البلاد من أجل صالح الابناء فى الحاضر والمستقبل · تلك هى تعاليم الاسلام الواضحة · وطريق الوحدة الوطنية هو طريق العفو ، من تعاليم الاسلام · فعندما دخل النبى مكة منتصرا لم ينتقم من أعدائه بل قال « اذهبوا فأنتم الطلقاء » حتى تتحقق الوحدة الوطنية ويجمع شمل العرب ·

وقد ظهر الاسلام فى معارك الوحدة العربية فى ١٩٥٨ بعد اتحاد مصر وسوريا وتكوين الجمهورية العربية المتحدة ،دخل الاسلام المعركة على نحو تاريخى عن طريق استرجاع الحروب الصليبية أو مظاهر الاستعمار فى صوره القديمة وتوحيد المسلمين تحت قيادة صلاح الدين الذى وحد مصر وسوريا · لقد انتهز الاستعمار الأوروبى فى ذلك الوقت تفكك الأمة العربية واستطاع باسم الحملات الصليبية · وهى شكل مقنع للاستعمار تحت ستار الدين ــ أن ينفذ الى الوطن العربى · ورغم ضعف العرب هبوا للدفاع

عن اراضيهم واتحدت الأمة لمواجهة الغزو الاستعمارى وكان النصر حليف القومية العربية . واستمرت الحرب ثمانين سنة استطاع الصليبيون فى أول الأمر احتلال فلسطين وبيت المقدس وتفرقة الأمة العربية وقطع الطريق بين مصر وسوريا . تقدموا نحو مصر ، التى اشرقية وبنيس على أبواب القاهرة فكان اتحاد مصر وسوريا هو سبيل النصر . فقد أرسل السلطان نور الدين ، محمد - السلطان السورى - جيشه ليحارب مع جيش مصر ضد الغزاة . كما هجم الصليبيون منذ ٧٠٠ سنة على دمياط بقيادة لويس ملك فرنسا وسارت الحملة من دمياط الى المنصورة ولكن الملك الناصر فى دمشق أرسل جيوشه وانضمت مع جيوش مصر وهزمت لويس . ثم اتحدت مصر وسوريا مرة أخرى تحت قيادة صلاح الدين ليصد الغزو الصليبي ضد سوريا بعد ذلك بربع قرن وانتصر صلاح الدين فى معركة حطين . فكانت الوحدة هى الدرع الذى تحطمت عليه موجات الغزاة . كما استطاعت الوحدة بين مصر وسوريا قبل ذلك صد هجمات التتار التى وصلت حتى بغداد واستولى عليها هولاكو ثم توجه الى سوريا فقامت مصر لتحارب مع سوريا وهزمت جيوش التتار فى عين جالوت . لم ينخدع المسيحيون العرب بالحملات الصليبية لأنهم كانوا يؤمنون بالقومية العربية وباستقلال أراضيهم التى نشأوا عليها فوقفوا جنبا الى جنب بجوار اخوتهم المسلمين يدافعون عن أوطانهم وقضوا الى تكسر الحملات الصليبية بالدين . فقد غيرت احدى هذه الحملات طريقها الى القسطنطينية عاصمة الامبراطورية البيزنطية التى كانت تحمى المسيحية فى الشرق فدمروها ونهبوها واحتلوها . فكانت وحدة المسلمين والمسيحيين سبيل النصر .

والآن يعيد التاريخ نفسه . فلا سبيل الى تحرير الاراضى العربية من الصهيونية الغاشمة الا بوحدة مصر وسوريا والوحدة العربية . ولم تكن مصادفة ان نخلد الجنرال الشنى قائد الجيوش .

البريطانية الى القدس وقال « اليوم انتهت الحروب الصليبية » .
ولم تكن مصادفة ايضا حين وصل القائد الفرنسي غورو الى دمشق ووقف أمام قبر صلاح الدين وقال « ها قد عدنا اليك ياصلاح الدين » . لقد هزم العرب في ١٩٤٨ لأنهم كانوا سبعة جيوش عربية ، ولو كانوا جيشا واحدا مثل جيش صلاح الدين لكان النصر حليفهم . ان الانتداب البريطاني على فلسطين هو الصليبية الجديدة من أجل القضاء على القومية العربية . لقد قامت اساطيل بريطانيا من قبل في ١٨٠٠ ثم في ١٨٠٧ لغزو الأمة العربية وفشلت ثم عادت الجيوش البريطانية بعد انهيار الامبراطورية العثمانية في أواخر الحرب العالمية الأولى ، ولم يخرج الاستعمار البريطاني حتى ١٩٤٨ قبل ان يسلم الجزء الأكبر من فلسطين الى الصهيونية عميل الاستعمار الاول في المنطقة . واخيرا مكنت الامبريالية الامريكية في ١٩٦٧ الصهيونية من الجزء الباقي من القدس وفلسطين وساعدت اسرائيل على تنفيذ أكبر مؤامرة للصهيونية والاستعمار في تاريخ الأمة العربية . ولكن تاريخ الأمة العربية شاهد على أنها قادرة على الصمود والعزم على التحرر .

● ●

الاسلام دين اشتراكي . حقق أول تجربة اشتراكية في العالم ، وأسس في أول أيامه أول دولة اشتراكية . وكان محمد بن عبد الله رئيس أول دولة اشتراكية وأول من طبق سياسة التأميم في حديثه المشهور « الناس شركاء في ثلاث : الماء والكلأ والنار » ، وفي قول آخر يضاف الملح ، وهي المقومات الأساسية للمجتمع في ذلك الوقت التي لا يجوز ملكيتها للفرد . وقد عاش النبي ولم يملك شيئا ولم يأخذ شيئا من أموال المسلمين ولم ينصب نفسه ملكا . ومات ولم يترك شيئا بل باع ثوبه وتصدق به . لم يكن ملكا ولا امبرا من ملوك وأمراء اليوم الذين يملكون الملايين ويكنزونها في بنوك فرنسا وسويسرا .

ثم استمرت الدولة الاسلامية الاشتراكية الاولى أيام ابى بكر وعمر . فقد حارب أبو بكر مانعى الزكاة لأن الامتناع عن الزكاة ردة عن الاسلام . فالزكاة حق المال . كانت حروب الردة نموذجا للثورة الاجتماعية . ثورة الفقر ضد الأغنياء . ثورة من لا يملكون ضد من يملكون . ونموذج استمرارية الثورة حتى تزول الفوارق بين الطبقات وحتى تقام العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص بين الناس . صحيح أن النبى عفا عن قومه بعد فتح مكة فى قوله المشهور « اذهبوا فانتم الطلقاء » ، ولكنه أيضا رفض العفو عن المنافقين بقوله « ان المنافقين يقتلون ولو كانوا متعلقين بأستار الكعبة » . وقد نصت جميع الأديان على العدالة الاجتماعية وعلى الزكاة . فى الاسلام ربع العشر من المال الموجود آخر كل عام . فلو عاش الانسان اربعين أو خمسين عاما لثلث الزكاة ثروة طائلة يمكن استخدامها لمصالح الجماعة .. الزكاة أساس من أسس الاشتراكية . لذلك لم يكن فى الدولة الاسلامية الأولى فقراء أو عجزة بل كان هناك تكافل اجتماعى . كما حرم الاسلام الربا حتى لا يتحكم الغنى فى رقاب الناس وينتهز فرص حاجاتهم ، وهو ما عملته الثورة بالقضاء على الربا فى السلفيات الزراعية . أما عمر فقد أمم الأرض ووزعها على الفلاحين كما أخذ الأرض من الاقطاعيين فى العراق ووزعها على المعدمين . رفض عمر أن تكون هناك طبقية أو فقر . ولم علك شيئا مما تملك ملوك الرجعية الحالية .

« الاشتراكية شريعة العدل ، وشريعة العدل شريعة الله » . والاسلام دين المساواة والعدل الاجتماعى وتكافؤ الفرص . يدعو الاسلام الى قسمة الرغيف مع الآخرين والى أخذ حقوق الفقراء من أموال الأغنياء . والاسلام لا يسمح بوجود فقراء فى مجتمع غنى . الاسلام دين العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص « لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى » . ينص الدين على تكافؤ الفرص « ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية بل أن أساس

الثواب والعقاب فى الدين هى فرصة متكافئة لكل انسان اذ يبدأ كل فرد حياته أمام خالقه الأعظم صفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر · لا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الجهل والفقر والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم · ان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر جميعا أساسا للعمل فى الدنيا وللحساب فى الآخرة » · والغنى الذى يملك الأموال الضخمة فى مجتمع فقير لا يمكن أن يكون ثروته عن طريق العمل بل عن طريق الاستغلال · الدين عمل ، وكان النبى يعمل بيديه ، ولم يكن الدين تجارة او العمل استغلالا · الدين والاشتراكية اذن سواء ·· ينادى كل منهما بالمساواة وتكافؤ الفرص ورفع مستوى المعيشة وتذويب الفوارق بين الطبقات · كان نصف فى المائة قبل الثورة يملكون نصف الدخل القومى فقضت الثورة على هذا التوزيع غير العادل ، وأصبح الدخل القومى موزعا على الشعب بعد أن قضت الثورة على [illegible] الرأسمالية والاقطاعية · وبهذا طبقت الثورة [illegible] ·· [illegible] الشعب سوف نعمل تحت مبادئ الاسلام · بل ان الاسلام والاشتراكية متفقان [illegible] [illegible] يسمى مرحلة التحول الاشتراكى وقد أرشد القرآن الى حكمة التدرج لانه لم يحرم الخمر من أول مرة · فقد ذكر أولا « يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » · ثم ذكر ثانيا « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » · ثم ذكر ثالثا « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ·

ليست الاشتراكية بدعة [illegible]

[illegible]

الكفر هو نهب أموال المسلمين والاستيلاء على ثرواتهم • ليست الاشتراكية هي اشتراكية للنساء والاولاد والأموال بل استرداد الأموال المغتصبة من الشعب وردها الى الشعب • الاشتراكية احترام للعائلة والدين والوطن • ليست الاشتراكية شيوعية أو ماركسية لينينية لأنها تؤمن بالدين والرسل وتؤمن بالله وتقوم على أسس روحية وليس على الأساس المادى وحده • ليست الاشتراكية تعديا على حقوق الله فالعدالة الاجتماعية ليست من وضع الله وتدبيره كما تقول الرجعية بل هى من صنع البشر نتيجة لاوضاعهم الاجتماعية والا فلماذا وزارة العدل ؟ الجنة ليست للفقراء ، فليأخذها الأغنياء ويتركوا دنياهم للفقراء • ليست الاشتراكية صدقة كما تقول الرجعية من أن الدين يطالبنا بالصدقة • فالحقيقة ان الدين لا يطالبنا بالصدقة فقط فالمال مال الله ، ومال الله مال الشعب ، لا يوضع فى البنوك الاجنبية بل يستثمر داخل البلاد « وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » انهم يستحسنون الاشتراكية شعرا ويستهجنونها نظاما ، فعندما يقول شوقى « الاشتراكيون أنت امامهم » وتغنى ام كلثوم « أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى » انبسطت أساريرهم وصفقوا بأيديهم ولكنهم يعادونها كنظام اجتماعى يهدد مصالحهم ويستعيد ثرواتهم المسلوبة من الشعب • الاسلام والاشتراكية اذن صنوان •

• •

لقد كان لمصر دورها فى الحفاظ على الحضارة الاسلامية وعرفت الاسلام الحضارى وليس الاســــلام الصورى الشعائرى • « وكان الفتح الإسلامى ضوءا أبرز هذه الحقيقة وأنار معالمها وصنع لها ثوبا جديدا من الفكر والوجدان الروحى • وفى اطار التاريخ الاسلامى ، وعلى هدى من رسالة محمد قام الشعب المصرى بأعظم الأدوار دفاعا عن الحضارة الانسانية » • هذه هى رسالة مصر ، بؤرة الاســلام ومركز اشعاعه الحضـــارى • وقد حفظت مصر التراث الحضارى

الاســلامى وجعــل من الأزهر حصنا للمقاومة ضد عوامل الضعف والتفتت التى فرضتها الخلافة العثمانية استعمارًا ورجعية باســم الدين ، والدين منها براء • » فمصر مركز الثقل الاسلامى وضــمان استمرار تراثه » • وليس عبثا أن الحضارة الاسلامية والتراث الاسلامى ـ الذى أغار عليه المغول الذين اكتسحوا عواصم الاسلام القديمة ـ تراجع الى مصر وأوى اليها فحمته مصر وانقذته عندما ردت غزو المغول على أعقابهم فى عين جالوت • وحول هذه البؤرة الاســلامية فى مصر ينســج ناصر دوائره الثلاث منذ « فلسفة الثورة » حتى « الميثاق الوطنى » ، الدائرة العربية والدائرة الافريقية والدائرة الاسلامية • فالدائرة العربية أهم الدوائر « وقد امتزجت هذه الدائرة معنا أيضا بالدين فنقلت مراكز الاشعاع الدينى فى حدود عواصمها من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية » • أما للدائرة الافريقية والتى تشير أيضا الى تداخلها مع الدائرة الآسيوية فيما عرف فيما بعد باسم العالم الافريقى الآسيوى فانها فى حقيقة الأمر الكيان السياسى المعاصر للدائرة الثالثة وهى الدائرة الاسلامية « أيمكن أن نتجاهل أن هناك عالما اسلاميا تجمعنا واياه روابط لا تقر بها العقيدة الدينية فحسب وانما تشهد بها حقائق التاريخ »• انها الدائرة التى تشد العالم الاسلامى كله وتربطه برباط روحى وتوجهه نحو غاية واحدة • « ثم تبقى الدائرة الثالثة التى تمتد عبر قارات ومحيطات والتى قلت انها دائرة اخوان العقيدة والذين يتجهون معنا أينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة وتهمس شفاههم الخاشعة ببعض الصلوات » • ويرى ناصر الحج ، رمزا سياسيا لما يمكن أن يكون عليه ثقل العالم الاسلامى ومدى فاعليته وايجابيته وترابطه حينما يأتى الكعبة كل عام المسلمون من جميع انحاء العالم الاسلامى • « لا يجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة دخول الجنة بعد عمر مديد أو محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حيــاة حافلة •• يجب أن تكون للحج قوة سياسية ضخمة ويجب أن تهرع •

صحافه العالم الى متابعة أنبائه لا بوصفه مراسم وتقاليد تصنع صورا طريفة بقراء الصحف ولكن بوصفه مؤتمرا سياسيا دوريا يجتمع فيه كل قادة الدول الاسلامية ورجال الرأى فيها وتجارها وشبابها ليضعوا فى هذا البرلمان الاسلامى العالمى خطوطا عريضة لسياسة بلادهم وتعاونها معا حتى يحين موعد اجتماعهم من جديد بعد عام • يجتمعون خاشعين ولكن أقوياء متجردين من المطامع لكن عاملين ، مستضعفين لله ولكن اشداء على مشاكلهم واعدائهم حالمين بحياة أخرى ولكن مؤمنين ان لهم مكانا تحت الشمس ينبغى عليهم احتلاله فى هذه الحياة » • ويقول ناصر ايضا « وحين أسرح بخيالى الى ثمانين مليونا من المسلمين فى اندونيسيا وخمسين مليونا فى الصين . وبضعة ملايين فى الملايو وسيام وبورما ، وما يقرب من مائة مليون فى الباكستان واكثر من مائة مليون فى الشرق الأوسط ، واربعين مليونا داخل الاتحاد السوفيتى ، وملايين غيرهم فى أرجاء الأرض المتباعدة . حين أسرح بخيالى الى هذه المئات من الملايين الذين تجمعهم عقيدة واحدة أخرج باحساس كبير بالامكانيات الهائلة التى يمكن أن يحققها تعاون بين هؤلاء المسلمين جميعا ، تعاون لا يخرج عن حدود ولائهم لأوطانهم الأصلية بالطبع ولكن يكفل لهم ولاخوانهم فى العقيدة قوة غير محدودة » • الاسلام اذن حركة سياسية عالمية شاملة تضم ملايين المسلمين فى آسيا وافريقيا . وبالتالى تكون الحركة الافريقية الآسيوية فى جوهرها حركة اسلامية ويكون مؤتمر القارات الثلاث فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية مؤتمرا اسلاميا ذا أهداف واحدة فى التحرر والاستقلال والعدالة الاجتماعية نظرا لأن ظروف الكاثوليك الرومان فى أمريكا اللاتينية متشابهة لظروف المسلمين فى آسيا وافريقيا ، جمعتهم وحدة الموقف والهدف ، وهى وحدة الاسلام الحقيقية • كما ان حركة عدم الانحياز فى جوهرها حركة اسلامية « لا شرقية ولا غربية » لأنها تقوم على رفض الصراع بين القوى العظمى وأن تكون

للشعوب المتحررة حديثا خارج مناطق النفوذ والاحلاف واشكال الاستعمار الجديد .

ولا يوجد تعارض بين هذه الدوائر الثلاث ، تربطها معا صلات وثيقة بين مصر والعالم العربي والعالم الاسلامى من خلال البعثات الأزهرية . لا يوجد تعارض بين القومية العربية والأمة الاسلامية فكلاهما يشارك فى قضايا التقدم والثورة والدعوة الى الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية . هذا التضامن الاسلامى الذى يجمع الدوائر الثلاث انما يتم لوجه الله غير منحاز للسياسة الأمريكية أو البريطانية . وهنا يتصدى ناصر للحلف الاسلامي باعتباره حلفا انجليزيا أمريكيا استعماريا تحت ستار الدين يأخذ أوامره من لندن وواشنطن . بدأت الفكرة بعد ١٩٥٧ بعد بداية حركة التحرر العربى اثر تأميم قناة السويس وضرب الاحلاف العسكرية فى المنطقة . وكان الهدف احياء حلف بغداد القديم بعد خروج العراق ودخول تركيا وباكستان وايران من أجل حصار العالم العربى واعادته تحت مناطق النفوذ لضرب القومية العربية وايقاف حركة التحرر العربى وكان الدين امضى سلاح تستخدمه الرجعية لهذا الغرض . كان الهدف أيضا تخفيف الضغط على اسرائيل بدليل أن ايران سابقا وتركيا معترفتان باسرائيل . لم يكن الهدف فلسطين وتحرير فلسطين بل الدفاع عن اسرائيل والاعتراف بها واتهام ناصر بمعارضته الحلف بأنه يدافع عن زعامته فى المنطقة . لم يكن الهدف مقاومة الالحاد لأن مقاومة الالحاد تتم بالدين لا بالسياسة ، والحلف الاسلامى حلف سياسى وليس تكتلا دينيا لأنه يجمع رؤساء الدول وليس رجال الدين . وهل شاه ايران من دعاة الايمان . وبصرف النظر عن الصلة بين الدين والسياسة وتوحيد الاسلام بينهما فانه يبقى أن الحلف الاسلامى حلف استعمارى تحت ستار الدين كان يهدف الى حصار القومية العربية وايقاف حركة التحرر العربى .

● ●

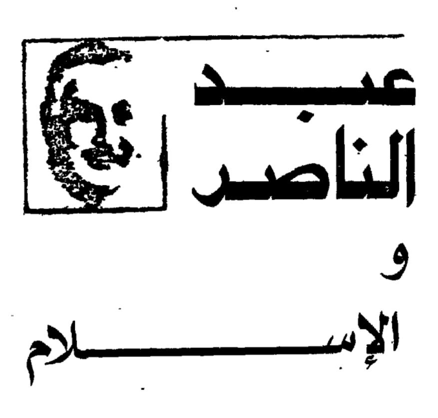
ظهر موضوع الايمان بوضوح بعد هزيمة ١٩٦٧ فى فكر ناصر من اجل الصمود فى المعركة وتقوية الروح المعنوية للشعب والجيش واذكاء ارادة الصمود فى الأمة . وليس السـبب فى ذلك التربية الدينية . بل التربية السياسية من اجل بث الأمل فى النصر بعد ان استشرى روح الهزيمة فى النفوس . كان موضوع الايمان فى أول الثورة مرتبطا برفض الالحاد والردة والاثارة الجنسية كما ظهر ضد اقطار الشيوعية . ولكنه أصبح بعد هزيمة ١٩٦٧ الدرع الواقى لروح الأمة وارتبط بالقدرية وذلك ان الهزائم قدر الأمم والايمان بالقضاء والقدر يجعل الانسان صابرا مجاهدا قادرا على الصمود وعاملا وآملا بالعدل الآلهى « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » . وكان الميثاق الوطنى « قد صيغ من قبل خمس ضمانات للعمل الثورى وهى : ارادة التغيير الثورى ، الطليعة الثورية ، الوعى العميق بالتاريخ ، الفكر المفتوح على كل التجارب الانسانية ، والضـمان الخامس « ايمان لا يتزعزع بالله وبرسله ورسالاته القدسية التى بعثها بالحق والهدى الى الانسان فى كل زمان ومكان . فالايمان ضمان للعمل الثورى وليس خنوعا واستسلاما ورضى وقبولا . وقد أكد بيان ٣٠ مارس نفس المعنى بربطه العناية الالهية بصلابة الجماهير الثورية حتى يتحقق النصر ويتجاوز الشعب مرارة الهزيمة وقد حدد البرنامج خطة عمل تقوم على دعائم ثلاث : التحرر والنصر ، والتجديد والتجدد للثورة وجعل الثانية تدعيم القيم الروحية والاخلاقية . وحدد مهام المرحلة القادمة فى ست مهام : تثبيت دور قوى الشعب ، بناء الدولة الحديثة ، التنمية الشاملة ، اطلاق القوى الخلاقة ، تلاحم الشعب والجيش وجعل أيضا المهمة الرابعة العمل على تدعيم القيم الروحية والخلقية . وبالتالى يمكن تحقيق النصر ، ويكون حينئذ نصر الله « ولتعمل ارادة الحق فوق كل ارادة لأنها جزء من ارادة الله » .

ولكن لا يعنى ذلك حربا دينية ضد اسرائيل فقد عاش العرب ، يهودا ومسيحيين ومسلمين فى فلسطين منذ آلاف السنين بل لقد

رفض بعض اليهود مغادرة مصر الى اسرائيل وآثروا البقاء فى وطنهم ، فاليهود ، فى مصر وفى الدول العربية عرب · العرب واليهود شعوب سامية والتشابه بينهما اكثر من الاختلاف وموسى مولود فى مصر فكيف يكون العرب معادين للسامية ·

ولقد طردت اسرائيل الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين ، اكثر من مليون لاجىء ومن ثم يجب ان يتعايش الجميع على أرض فلسطين بصرف النظر عن دينهم فان لم تتحقق هذه الرؤية المستقبلية الشاملة فان تحرير الأرض المقدسة من الصهيونية يصبح حتمية مقدسة ، وجزءا من الايمان بالكرامة والشرف المهان بواقع الاحتلال وحرق المسجد الأقصى · ان الحرب فى الاسلام ليست من أجل الحرب « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ولكنها من أجل العدالة والحرية ودفعها للاذى والاضطهاد « أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذى أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله » ·

« وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » كانت معركة الايمان والصمود آخر المعارك التى خاضها ناصر باسم الدين · يظهر لنا ناصر هذه الأيام وكأنها حلم حياتنا فقد صاغ مشروعنا القومى وعبر عن مصالح الجماهير ، ومازال كامنا فى روح شعبنا ينتظر الانطلاق فتعود « الناصرية الشعبية » ويعود مشروعنا القومى لمناهضة الاستعمار والصهيونية والرأسمالية ولتحقيق امانينا القومية فى الحرية والاشتراكية والوحدة ·



فى اعقاب الضربة التى تلقاها الاخوان المسلمون عام ١٩٥٤ بسبب محاولتهم اغتيال عبد الناصر فى ميدان المنشية بالاسكندرية صدرت عن الجماعة فتوى تقول : « ان عبد الناصر كافر ومرتد عن الاسلام ودمه مباح » .

ونحن لا نعرف بالتحديد تاريخ صدور الفتوى وهل طبعت فى منشور ام صدرت شفاهة .

وانما الشىء المؤكد هو ان الجماعة قامت بتكفير عبد الناصر ، وهذا التحول من جانبها كان يتناقض مع موقفها السابق منه ،

عندما أيدت الثورة فى كل اجراءاتها لحل الأحزاب السياسية الأخرى ولم تكن ترى في عبد للناصر وقتها انه كافر ٠

وكانت هذه هى المرة الأولى التى تلصق فيها بعبد الناصر تهمة الالحاد لأسباب سياسية بحتة ٠

وبعدها بدأ مسلسل الاتهام يتوالى بتوالى تصاعد نجم عبد للناصر ٠

٠٠ وتعرض عبد الناصر لهذا الاتهام للمرة الثانية بعد تحطيمه احتكار السلاح عام ١٩٥٥ ، وللذى روج لهذا الاتهام وساعد عليه الامريكان والانجليز الذين رفضوا امداد مصر بالاسلحة طيلة ثلاث سنوات متواصلة من التفاوض ٠

٠٠ والمرة الثالثة التى وجهت له هذه التهمة كانت بمناسبة اعلان قرارات يوليو ١٩٦١ ٠

ويبدو أن عبد الناصر كان يتوقع استخدام الدين ضده فى المعركة التى يخوضها ضد الاستغلال ولمصلحة ملايين الفقراء فى مصر فبادر فى خطابه الذى أعلن فيه القرارات ــ ٢٦ يوليو ــ بشن هجوم واسع ضد الذين سيحاولون استخدام الدين لخدمة مصالحهم ٠

وأوضح ان لا تعارض مطلقا بين الاسلام وبين العدالة ، مستشهدا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار ٠

وتعرض الى الشيوخ الذين سيصدرون الفتاوى ضد القرارات ٠

٠٠ وما توقعه عبد الناصر حدث ، اذ قيل ان ما فعله هو الكفر بعينه لأنه يتدخل فى أرزاق الناس ، ويأخذ من الأغنياء غصبا

عنهم ليعطى الفقراء دون أن يطلبوا منه ذلك ، وهو يعتدى على نظام الطبقات الذى أقره الاسلام ·

·· والمرة الرابعة التى اتهم فيها بالكفر جاءت بعد صدور الميثاق - برنامج العمل الوطنى - اذ قيل أن عبد الناصر يريد أن يستبدل القرآن الكريم بالميثاق ·

وكانت الكلمة التى اثارت الاتهام هى وصف الاشتراكية التى نادى بها عبد الناصر « بالاشتراكية العلمية » على أساس انه يريد تطبيق الماركسية ··

ولقد أوضح عبد الناصر ان هناك فروقا عديدة بين الاشتراكيتين اهمها الدين والقومية وسلمية حل الصراع الطبقى وسيطرة الطبقة الواحدة ·

ويبدو ان الاتهام هذه المرة امتد لسنوات طويلة ، لأن عبد الناصر كان حريصا لسنين - ليست بالقليلة - بعد صدور الميثاق لتفنيد الاتهام بأن الدين يتعارض مع العدالة ومع الدفاع عن مصالح الفقراء ·

وكان عام ١٩٦٥ مليئا بالخطب التى تطرق فيها الى هذا الموضوع موضحا ان الذين يهاجمون نظامه يتاجرون بالدين بل ويريدون الأخذ بأنظمة بعيدة عن روحه ففى احدى خطبه - خلال عام ١٩٦٥ - قال :

« بالأديان السماوية نستطيع ان نبنى المجتمع الصحيح والمجتمع السليم الذى نريده والذى نادت به الأديان ، نادت المسيحية ونادى الاسلام بالمحبة ، نادى الدين المسيحى ونادى الدين الاسلامى بالمساواة وتكافؤ الفرص والعمل من اجل الفقراء والمساكين ومن أجل العاملين ، واستنكرت الأديان الاستغلال بكل معانيه الاستعباد بكل معانيه » ·

•• « ان الكفاية فى تجربتنا تستهدف بناء أساس التقدم المادى العريض والوفير بغير نسيان للدوافع الروحية والفكرية والثقافية التى تبقى الانسان انسانا ، وتكون له الى جانب لقمة العيش ، كل ما يستحق الحرص عليه من قيم عاش ومات الأبطال والشهداء فى كل العصور نضالا عنها ودفاعا »••

•• « حينما تكلمنا عن العدل سرنا فى طريق العدل ، وقلنا ان طريق العدل هو شريعة الله .

وحينما أردنا ان نطبق العدل لم نتنكر باى حال من الأحوال لشريعة الله ولكننا آمنا فى قلوبنا وفى نفوسنا ان شريعة الله هى شريعة العدل » .

•• « ان التقدميين لا ينظرون الى المجتمع التقدمى على انه مجتمع الزراعة والصناعة فحسب بل هو مجتمع مبنى على الاخلاق ومبنى على القيم الخلقية والقيم الروحية لماذا ؟ لأننا بدون الاخلاق وبدون القيم الخلقية والقيم الروحية• ما كنا نفكر أبدا فى الآخرين ولاصبح كل واحد منا يفكر فى نفسه فقط ، وقد تكون مصلحة أى فرد قائمة على بؤس الآخرين » ••

•• ، كيف تكون التقدمية ضد الدين اذا كانت التقدمية هى المساواة بين الناس ، والدين نادى بالمساواة .

واذا كانت التقدمية هى تكافؤ الفرص والدين نادى بتكافؤ الفرص .

واذا كانت التقدمية هى رفع مستوى المعيشة والدين نادى برفع مستوى المعيشة .

واذا كانت التقدمية ان تذيب الفوارق الطبقية . والاسلام نادى بتذويب الفوارق . وفى عهد سيدنا عمر كان سيدنا عمر يعمل على الا تكون هناك طبقية ولا يكون هناك فقر .

•• « فلننظر الى الاسلام فى أول أيام سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، ماذا كان يملك ؟

ولننظر لسيدنا عمر ، وننظر لسيدنا ابو بكر •

ماذا كان يملك عمر ؟

وماذا كان يملك ابو بكر ؟ هذا هو الاسلام » •

•• « اذا كانت جماعة تريد ان تثبت للعالم فعلا أنها تمشى مع الدين ، فليتنازل كل واحد عن املاكه للشعب المسلم » •

•• « الدين هو العدالة الاجتماعية ، والذى يريد ان يطبق الاسلام يوزع أموال المسلمين على المسلمين ويقول هذا هو الدين ونحن نقول له انه تقدمى لأنه يقيم عدالة اجتماعية ويقيم المساواة بين الناس » •

واما المرة الخامسة التى وجهت فيها تهمة الكفر الى عبد الناصر ، فكانت بعد هزيمة يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ، اذ قيل أنها حدثت لأننا ابتعدنا عن الله واخذنا بالكفر وحاربنا بسلاح كافر فحق علينا غضب الله ، وسلط اليهود علينا •

•• وهذه الاتهامات لم تكتب فى مصر وتنشر علنا ، اذ كان يتم الترويج لها فى الداخل •• وبعد وفاة عبد الناصر ، وخاصة بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، تولت بعض الصحف المصرية قيادة حملة تكفير عبد الناصر ونظامه • ورددت كل ما سبق من اتهامات فى المرات الخمس التى اتهم فيها بالالحاد •• وكانت هذه هى المرة السادسة لتكفيره •• واستندت هذه الصحف الى شعار العلم والايمان الذى أصبح شعار الدولة والذى تبنى على أساسه المجتمع المسلم المؤمن •• بدلا من مجتمع الكفر والبعد عن الله الذى كان يقيمه عبد الناصر • الذى كان القرآن يعتبر فى زمنه منشورا سريا معاديا يخفيه حامله خوفا من بطش الحاكم !!

قالوا انه لولا ان المجتمع المصرى اصبح مؤمنا لما أمكن عبور القناة .

ولكنهم لم يفسروا الثغرة على أساس دينى ما داموا قد فسروا العبور تفسيرا دينيا ؟ !

وهل كنا مؤمنين عندما عبرنا . ثم أصبحنا ملاحدة عندما عبر اليهود الى الضفة الغربية وطوقوا الجيش الثالث ؟!

الحقيقة ان الهدف لم يكن محاربة الحاد نظام سابق — لأنه لم يكن هناك الحاد فى مصر — وانما كان الهدف تصفية النظام الذى اقامه عبد الناصر ، وكان الدين سلاحا استخدم فى عملية الهدم ، والا بماذا نفسر ان يكثر الحديث عن الايمان والاسلام ، ولا يتم الربط بينه وبين مساعدة الفقراء وتصفية الاستغلال الذى يتعرضون له ؟ وبماذا نفسر الثراء الفاحش المتزايد مع الفقر المدقع المتنامى دون ان يهتز الضمير الدينى للذين يتهمون عبد الناصر بالالحاد ويصفون انفسهم بالايمان والدفاع عن الاسلام ؟

.. على كل حال ، فان الرد على هذه الاتهامات بتكفير عبد الناصر ونظامه ، يتلخص فى نقطتين ..

الأولى ، ماذا قدم عبد الناصر لملايين الفقراء من المسلمين ؟

وماذا قدم الذين اتهموه بالالحاد ؟

ولا يختلف اثنان فى أن عبد الناصر كان رجل الفقراء الحقيقى وهذا هو سبب اتهامه بالالحاد .

والنقطة الثانية .. ماذا قدم عبد الناصر وعهده للدعوة الاسلامية ومؤسساتها ، وماذا قدم الذين يهاجمونه فى مصر ويتهمونه بالالحاد ؟

اننا لا نغالى عندما نقول ان للدعوة الاسلامية لم تلق رعاية وتشجيعا من الدولة مثلما لقيت فى عهد عبد الناصر .. بالأرقام والوقائع المستمدة من وزارة الأوقاف ذاتها ، عن تطور مؤسسات للدعوة الاسلامية فى الفترة من ١٩٥٢ ـ سنة قيام الثورة الى سنة ١٩٧٠ عام وفاة عبد الناصر .

كانت المساجد تعانى من نقص فادح فى عدد الأئمة المؤهلين القادرين على شرح الاسلام على أسسه الصحيحة بعيدا عن الخرافات والجهل ، فقامت وزارة الاوقاف فى سبتمبر (ايلول) عام ١٩٦٨ بانشاء معهد الامامة لتدريب الأئمة ومدهم بالدراسات العلمية التى تمكنهم من شرح الاسلام بما يتفق واختلاف المهن وتفاوت الأفكار .

وأصبح التدريب فى المعهد داخليا مع الاعاشة الكاملة داخل مدينة ناصر للبحوث الاسلامية .

كما بدأت الوزارة فى اصدار نشرة دورية فى ٣٠ مارس (آذار) ١٩٦٨ للاستزادة من المعرفة بالنسبة للخطباء . وبدأت الوزارة فى تعميم نظام مكتبة المسجد .

حتى عام ١٩٧٠ بلغ عدد المســـاجد التابعة لوزارة الاوقاف ٣٥١٦ مسجدا . وعدد المساجد الأهلية ١٤٣٨٤ مســـجدا ، وهى مســـاجد يقيمها الناس بجهودهم الذاتية دون اعتماد على جهـة رســـمية .

وكانت المســـاجد الأهلية تعانى من المتاعب نتيجة لقـــلة الاعتمادات المالية ولعدم وجود ائمة وخطباء بها ، وان وجدوا فهم دون المستوى .

ولذا صدر القرار الجمهورى رقم ١٥٧ لسنة ١٩٦٥ بأن تقوم وزارة الاوقاف بضم هذه المساجد اليها حتى توفر لها الامكانات التى تمكنها من تادية رسالتها ٠

وقامت الوزارة بضم ألف مسجد على دفعتين الأولى عام ١٩٦٢ ـ عام الميثاق) وبلغ عددها ثمانمائة والثانية عام ١٩٦٣ وبلغ عددها مائتين ٠

وقد زاد عدد المساجد الأهلية حتى وصل عام ١٩٧٠ الى خمسة عشر الف مسجد ٠

كما قدمت معونات مالية للمساجد التى لم يتم ضمها بسبب قلة الامكانيات وتعزيزها بخطباء حاصلين على مؤهلات أزهرية عليا من المحالين للتقاعد نظير مكافاة ٠

وقد انفقت الوزارة عليهم ـ فى ٨٥٠ مسجدا ـ عام ١٩٦٩ مبلغ اربعين الف جنيه ٠

وقامت بصرف اعانات لاقامة الشـــعائر الدينية فى الفين وخمسمائة وعشرة مساجد أهلية ينفق عليها سنويا مبلغ وقدره مائة واثنا عشر الف جنيه ٠

وكذلك كانت تصرف سنويا مبلغ خمسة وعشرين الف جنيه على اربعمائة وثمانية وأربعين مسجدا آخر ٠

فى للفترة من ١٩٥٢/٥١ حتى عام ١٩٧٠/٦٩ قامت للوزارة بانشاء مساجد جديدة وترميم مساجد أخرى ، وفى عام ١٩٦٩ قامت بانشاء وتوسعة ١٤ مسجدا بلغت تكاليفها أربعمائة وثلاثة

وستين ألفا وسبعمائة جنيه وصـــرف مبلغ ٧٠٠ر٣١٥ جنيـه (ثلاثمائة وخمسة عشر ألفا وسبعمائة جنيه) على صيانة وترميم المساجد التابعة للأهالى فى نفس العام .

فى عام ١٩٦٠ انشىء المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ليؤدى دوره محليا وعلى نطاق العالم الاسلامى مستخدما كافة الأنشطة كالصحافة والكتاب والمحاضرات العامة واقامة المعسكرات العالمية واستقبال زعماء المســـلمين من شتى انحاء العالم ورعاية الطلبة المسلمين الوافدين والعمل على نشر الاسلام والتراث وترجمته الى اللغات الأجنبية والعناية بتسجيل المصحف المرتل والمصحف المعلم ، واسطوانات الصلاة والأذان والوضوء .

وقدمت للمجلس امكانيات كبيرة لممارسة مهامه .

وضم عدة لجان فنية يشترك فيها عدد كبير من اعلام العلماء وكبار الباحثين من الأزهر واســـاتذة الجامعات والتخصصين فى الدراسات الدينية وأساليب الدعوة الاسلامية .

وحتى عام ٦٩/١٩٧٠ اصدرت لجنة القرآن المرتل المصحف المرتل برواية حفص مكون من ٤٤ اسطوانة .

وبرواية ورش ومكون من ٦٨ اسطوانة .

والمصـــحف المعلم مكون من ٧٥ اسطوانة ، كل جزءين فى خمس إسطوانات .

ولجنة القرآن والحديث اصدرت المنتخب فى تفسير القرآن الكريم وكتاب القصص الهادف فى سورة الكهف والقرآن والطبائع النفيسة وكتاب الامام فخر الدين الرازى وكتاب الأحاديث القدسية ، الجزء الاول والثانى ، والمنتخب من السـنة ٨ اجـزاء تشـمل العبادات .

ولجنة لحياء امهات كتب السنة اصدرت مقدمة للبخارى ـ صحيح البخارى ـ ٠

ولجنة للتعريف بالاسلام اصدرت حتى عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ٦٥ كتابا ٠

واصدر المجلس مجلة منبر الاسلام باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والأسبانية ٠

وسلسلة من الكتب الأولى بعنوان : « كتب اسلامية » وبدىء فى اصدارها ابتداء من ١٥ فبراير (شباط) عام ١٩٦١ وكانت تصدر كل نصف شهر عربى ٠

والثانية بعنوان « دراسات فى الاسلام » وصدر منها حتى عام ٦٩ ـ ١٩٧٠ ، ١٠٤ اعداد ٠

وترجمت هذه الكتب الى اللغات الحية واللغات المحلية لشعوب قارات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ٠

وتم تسجيل الأذان وكيفية الوضوء والصلوات الخمس باللغات العربية والانجليزية والفرنسية والالمانية والاسبانية والاوردية والأندونيسية والسواحلية والنولانى والبرتغالى ، على سبع اسطوانات بلاستيك يضمها غلاف سهل استعماله على مختلف أجهزة « البيك آب » ٠

كما نظم المجلس مسابقات دينية وتوفير المنح الدراسية لعدد كبير من الشبان المسلمين من مختلف ارجاء العالم ٠

● ولذا جئنا للأزهر الشريف كنموذج للعناية والدعم الذى وفره نظام عبد الناصر له سنجد أن ميزانية الأزهر عام ١٩٥٢/٥١ كانت ١٫٣٩١٫٥٥٠ جنيها « مليونا وثلاثمائة وواحد وتسعين الفا وخمسمائة وخمسين جنيهـا » وفى عام ١٩٧٠/٦٩ بلغت ٧٫٨٨٣٫٤٠٠ « سبعة ملايين وثمانمائة وثلاثة وثمانين ألفا وأربعمائة جنيه » .

● بالنسبة للمرحلة الابتدائية فى الأزهر ، بدأ الأزهر يعتنى بانشاء هذه المدارس لتحفيظ القرآن الكريم لتغذية للتعليم الاعدادى ابتداء من عام ٦١ ــ ١٩٦٢ ..

وبلغ عددها حتى عام ٧٠/٦٩ ، ١٨٣ ، تضـم ٦٩٫٦٢٤ تلميذا .

وبالنسبة للمدارس الأهلية لتحفيظ للقرآن بدأ الأزهر فى ضمها اليه .

فضم فى عام ٦٨ ــ ١٩٦٩ ، ٣٩ مدرسة ابتدائية وحتى عام ١٩٧٠/٦٩ كان الأزهر يشـرف فنيا على ٤٢٠٠ مكتب لتحفيظ القرآن تضم ١٨٥٫٠٠٠ تلميذ ويمدها باعانة سنوية تبلغ ٦٥٫٠٠٠ جنيه تشجيعا لها .

● كان عدد المعاهد الاعدادية التابعة للأزهر عام ١٩٥٢/٥١ ، ٢٦ معهدا ..

وفى عام ١٩٧٠/٦٩ ارتفع الرقم الى ٦١ معهدا تضم ١٨٫١٣٧ طالبا .

وفى نفس الفترة كان عدد المعاهد الثانوية ١٤ معهدا ، وصل الى ٣٤ معهدا تضم ٢٠٫٤٦٢ طالبا ٠

وتشجيعا للطلاب على الاقبال على هذه المعاهد ، فقد خفضت عدد سـنوات الدراسـة فى المعاهد الاعدادية من أربع الى ثلاث سنوات ٠

وفى المعاهد الثانوية خفضت من خمس الى اربع سنوات ٠

● بالنسبة للفتيات ، انشأ الأزهر عام ١٩٦٢ معهدا دينيا للفتيات بمنطقة المعادى فى القاهرة للمرحلة الاعدادية والثانوية ٠

وفى عام ١٩٦٩/٦٨ ٠ افتتح فى مدينة « سوهاج » معهد مماثل ٠

وفى عام ١٩٧٠/٦٩ افتتح معهد آخر للفتيات فى مدينـة طنطا ٠

● بالنسبة لجامعة الأزهر ، منح نظام عبد الناصر لمشروع تطويرها جهدا ومالا كبيرين ٠

وصدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١ ٠ باصـلاح الأزهر وتطويره استجابة لنداءات المصـلحين من رجال الدين والدعوة الاسـلامية حتى يتمكن الأزهر من مسـايرة التطورات العالمية الحديثة ٠

● وانشئت جامعة الأزهر ، ولم تعد الدراسة مقصورة على الكليات الثلاث التى كانت موجودة قبل التطوير ، وهى كلية اللغة العربية ، وكلية أصول الدين ، وكلية الشريعة ٠

وبدأت جامعة الأزهر فى انشاء فروع لها فى سائر انحاء البلاد .

ففى ١٨ ـ ٨ ـ ١٩٦٩ ، صدر القرار الجمهورى رقم ١٥١٧ بانشاء كليات اصول الدين والشريعة والقانون واللغة العربية فى مدينة اسيوط .

وفى العام ٦٩/١٩٧٠ ، انشئت كلية اصول الدين فى أسيوط .

● كذلك انشئت مدينة « ناصر للبعوث الاسلامية » تستوعب حوالى ثلاثة آلاف طالب مسلم وافدين من حوالى خمس وستين دولة يقيمون فيها على نفقة النظام « الملحد » ليعودوا الى بلادهم دعاة مسلمين مؤهلين على أعلى مستوى .

● وكانت عملية تطوير الأزهر واحدة من اهم الانجازات التى حدثت فى عهد عبد الناصر ، اذ كثرت الشكوى من جانب عدد كبير من رجال الدين بسبب جمود وتخلف الأزهر فى ميدان التطور وعجزه عن مسايرة أساليب الدعوة الحديثة اسوة بحالة بعثات التبشير المسيحية فى افريقيا وآسيا .

وكان حلما أن يتخرج من الأزهر الطبيب المسلم والمهندس المسلم والطبيبة والمهندسة المسلمة ـ الذى يملك ناصية الدين والعلم فى نفس الوقت ويستطيع ان يقوم بنشر الاسلام فى مجاهل افريقيا وآسيا وهو يعالج المرضى ويساهم فى بناء المصانع واستصلاح الاراضى .. الخ .. وبذلك يستعيد الأزهر امجاده التاريخية ويسترد مكانته العظيمة عندما كان منارة الدين والعلم فى العالم الاسلامى .

ولقد جاءت عملية التطوير استجابة لرغبات وضغوط غالبية رجال الدين .

وبها كانت مصـــر الدولة الوحيدة التى يتخرج منها طلبة يجمعون بين التفقه فى الدين ، وحيازة الشـهادات العليا فى انواع المعرفة والفنون العملية ، ليكونوا خير رسل للاسلام سواء داخل مصر فى مجالات عملهم ، او فى البلاد التى ترسلهم اليها الحكومة المصرية ، أو فى بلادهم اذا كانوا من بلدان أخرى،فهل يكون زعيما ملحدا الذى يحرص على نشر الاسلام وتخريج الدعاة له على اعلى مستوى من العلم ، ويصرف من ميزانية الدولة ملايين الجنيهات لهذا الغرض ؟ !

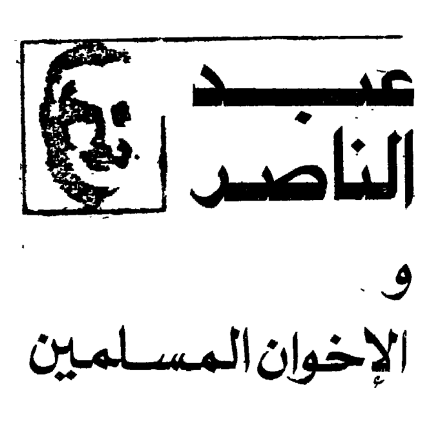
●● ومن الأمور الملفتة للنظر أن عددا كبيرا من الذين اتهموا عبد الناصر بالالحاد ، ونظامه بالكفر ، كانوا اعضـــاء فى اللجان العديدة التى كانت تشرف على نشر الدعوة الاسلامية خارج مصر ، وفى اللجان التى كانت تدير العمل الاسلامى ، داخلها .

ومنهم من كانوا أعضاء فى التنظيم الطليعى السرى .

ومنهم من كانوا يلقون دروسا دينية داخل السجن الحربى على الاخوان المسلمين .

ان الوقـــائع والأرقام تدحض كل الافتراءات التى أرادوا من ورائها تشويه وتحطيم زعامة اسطورية قدمت الكثير لمصر وللأمة العربية .

وكانت مشكلة هذه الزعامة انها رفضت المتاجرة بالدين ، أو استخدامه كسلاح سياسى ضد الخصـــوم ، ذلك أن زعامة عبد الناصر ، ومكانته فى قلوب الغالبية الساحقة من الناس ، استندت الى انجازات حقيقية غيرت حياة الغالبية وأفادتها .



منذ شهور قليلة نشرت السيدة زينب الغزالى مذكراتها ، واوردت فيها جزءا من قصة جمال عبد الناصر مع الاخوان المسلمين ، وبالتحديد احداث عام ١٩٦٥ .

وقد نسبت السيدة زينب الغزالى الى نفسها بطولات كثيرة . فقد رفضت كل المساومات التى شاركت فيها أجهزة الأمن ، حتى تنضم الى الاتحاد الاشتراكى ، وقد عرض عليها أن تعين وزيرة لذا قبلت ، ولكنها رفضت عضوية الاتحاد الاشتراكى والوزارة أيضا ! .

وعندما التى القبض عليها بتهمة الاشتراك فى مؤامرة ١٩٦٥ ، كان جمال عبد الناصر ، وعبد الحكيم عامر يحضران عمليات تعذيبها ، وقد قرأت بنفسها خطابا « على ورق مكتب رئيس الجمهورية » مكتوبا فيه بالنص « بامر جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية تعذيب زينب الغزالى فوق تعذيب الرجال » التوقيع جمال عبد الناصر ٠

والسيدة زينب الغزالى واحدة من ابرز قادة مؤامرة ١٩٦٥ ، حيث كانت الاجتماعات تتم فى بيتها ٠

وكانت التهم التى وجهت الى الاخوان المسلمين هى : احياء تنظيم الاخوان ، والاعداد لمؤامرة لقلب نظام الحكم بالاتصال بجهات اجنبية ، والحصول على اسلحة من الخارج ٠

ومنذ فترة والاخوان المسلمون ينفون هذه الاتهامات تماما ، وهم يكتفون بالنفى ، ولا يعللون الأسباب التى دعت عبد الناصر الى محاكمتهم مرة اخرى ، فاذا كانوا يكشفون عن اهداف محاكمتهم عام ١٩٥٤ بانها كانت ضد الاخوان ، والانفراد بالسلطة ، فهم يعجزون عن تبرير أحداث ١٩٦٥ ، ويكتفون بالقول بان ما نسب اليهم كان ملفقا ! ٠

والسيدة زينب الغزالى تكشف السر لأول مرة من وجهة نظر الاخوان فى هذه الأحداث فتقول انه « تاكدت لدينا الأخبار بأن المخابرات الأمريكية ، والمخابرات الروسية ، والصهيونية العالمية قد قدمت تقارير متنوعة بتعليمات لعبد الناصر بأخذ الأمر بمنتهى الجد للقضاء على هذه الحركة الاسلامية والا فسينتهى كل ما حققه عبد الناصر فى المنطقة من تحويل عن الفكر الاسلامى ، وبث اليأس فى النفوس من امكان اى اصلاح أو بعث عن طريق الاسلام ٠

وهذا هو التبرير الذى يقدمه الاخوان المسلمون لتفسير ما ينادون به من ان مؤامرة سنة ١٩٦٥ ملفقة ٠٠ فهى ملفقة لأن

المخابرات الأمريكية ، والمخابرات الروسية ، والمخابرات الصهيونية قد التقت جميعها وارسلت لعبد الناصر « بتعليمات » أى أن عبد الناصر كان يعمل لحساب هذه المخابرات جميعا وينفذ أوامرها ، والأمر الذى وجهته لعبد الناصر هو القضاء على الاخوان المسلمين ، والا فان مهمته فى تحطيم الدين الاسلامى سوف تفشل !

فعبد الناصر كانت لديه مهمة أساسية هى أن يحطم الاسلام ويبث اليأس فى النفوس من امكان أى اصلاح عن طريق الاسلام !

هذه هى معلومات المخابرات التى « تأكدت » لدى الاخوان المسلمين ·· وهذا هو الاتهام الذى يوجهونه الى عبد الناصر !

والسيدة زينب الغزالى التى تحدثت فى « أيام من حياتى » عن مؤامرة ١٩٦٥ باسهاب تروى بعد ذلك كيف تعرفت على عبد الفتاح اسماعيل فى السعودية عام ١٩٥٧ وفى الكعبة قال لها « يجب أن نرتبط هنا ببيعة مع الله على أن نجاهد فى سبيله ، ولا نتقاعس حتى نجمع صفوف الاخوان ·· وبايعنا الله على الجهاد والموت فى سبيل دعوته ··

« وكانت خطة العمل تستهدف تجميع كل من يريد العمل للاسلام لينضم الينا ، وكان ذلك كله مجرد بحوث ، ووضع خطط حتى نعرف طريقنا · فلما أردنا أن نبدأ العمل كان لابد من استئذان الاستاذ الهضيبى باعتباره مرشدا عاما لجماعة الاخوان لأن دراساتنا الفقهية حول قرار الحل انتهت الى انه باطل ، لأن عبد الناصر ليس له أى ولاء ، ولا تجب له أى طاعة على المسلمين حيث انه يحارب الاسلام ، ولا يحكم بكتاب الله تعالى » ·

« والتقيت بالأستاذ الهضيبى لأستأذنه فى العمل باسمى وباسم عبد الفتاح اسماعيل ، وأذن لنا فى العمل بعد لقاءات عديدة شرحت له فيها الغاية · وكان أول قرار لبدء العمل هو أن يقوم الأخ عبد الفتاح اسماعيل بعملية استكشاف على امتداد مصر كلها على

مستوى المحافظة والمركز والقرية . والمقصود من هذا أن نتبين من يرغب فى العمل من المسلمين ومن يصلح للعمل معنا مبتدئين بالاخوان المسلمين لجعلهم النواة الأولى لنداء التجمع » .

« وكان هذا العمل - تجميع الاخوان - يتم تحت اشراف المرشد العام ، وكنت أزور المرشد وأبلغه مجمل ما اتفقنا عليه ، وما وصلنا اليه ، وكنا اذا عرضنا عليه صورا من الصعوبات التى نلاقيها قال : « استمروا فى سيركم ، ولا تلتفتوا الى الوراء » .. وكان تارة يقر ما يعرض عليه ، وتارة يعطى بعض التوجيهات حتى انه أوصانا أن نضم الى مراجع بحوثنا « المحلى لابن حزم » .

وتقـــول السيدة زينب الغزالى أن الهضيبى قد أوكل كل المسئوليات الى سيد قطب حيث كانوا يتصلون به حسب أمر الهضيبى حتى اعتقل ، عندما فكرت فى الذهاب الى الهضيبى ليرشح لها من يخلف سيد قطب .. الا أنه تم القبض عليها ..

وهكذا تقدم السيدة زينب الغزالى فى كتابها الذى صدر عام ١٩٧٨ ، وبعد وفاة عبد الناصر بثمـــانى سنوات ، وفى معرض الهجوم العنيف عليه ، تتقدم شهادة كاملة تقول فيها :

انه كان هناك تنظيم للاخوان المسلمين .. تنظيم جديد طافوا البلاد والمحافظات والمدن والقرى لتجميع أعضائه .

ان دراساتهم انتهت الى انه ليس لهم أى ولاء لعبد الناصر ولا تجب طاعته على المسلمين لأنه يحارب الاسلام ولا يحكم بكتاب الله تعالى .

ان الأستاذ حسن الهضيبى المرشـــد العام كان على علـــم بتفاصيل هـــذا التنظيم الجديد ، وكان يوجه أعضاءه ، ويحـــل ما يصادفهم من عقبات .

ان المرشد العام قد رشح نيابة عنه الأستاذ سيد قطب ليقوم بمهمة الارشاد ، وانهم ظلوا على اتصال بالمرشد الجديد سيد قطب حتى اعتقل .

وهكذا تقدم السيدة زينب الغزالى واحدة من قيادات مؤامر

١٩٦٥ اعترافا كاملا حول للجزء الأول من الاتهام الذى وجـــه الى الاخوان المسلمين ، وهو احياء تنظيم الاخوان المسلمين الممنوع بحكم القانون ! فهى تقول انهم كانوا يسعون الى تنظيم الاخوان ، وانه تم تجميع عدد كبير منهم يتلقون توجيهات من المرشد العام سواء كان الهضيبى أو سيد قطب فيما بعد ٠٠ وهذا الجزء من الاتهام الذى نفوه أمام المحكمة التى حاكمتهم ٠٠ والسؤال الذى يطـرح نفسه هنا ٠٠ هو : فيم كان قيام هذا التنظيم ، وما هى أهدافه ٠٠ أهى مجرد الصلاة ، والصوم ، والعبادة ٠٠ واذا كان الأمر كذلك لـما احتاج الى تكوين تنظيم سرى ٠

وفى المحاكمة ينفى سيد قطب معرفته بالتنظيم ، وكل ما يعرفه انه سمع أن « هناك شبابا يقرأ لى » ٠

وعندما يواجه باعترافه خمسة أعضاء هم قيادة التنظيم الجديد بأنهم قد اجتمعوا به يقول « انه بعد عدة لقاءات قالوا أن لهم تنظيما سريا يرجع الى عدة سنوات سابقة ، وان هذا التنظيم قائم على اساس انه فدائى ينتقم لـما جرى للجماعة سنة ١٩٥٤ ، ولـكن انا قلت لهم أن هذا الهدف صغير لا قيمة له ، ونتائجه اخطر من فوائده » ٠

وعند الحديث عن الأسلحة يقول « الأسلحة من السعودية عن طريق السودان » ، وهذه الأسلحة قد طلبت منذ فترة من لخـوان لسعودية ثم نسى الموضوع نهائيا حتى جاءت رسالة بأن الأسلحة شحنت أنى دارو ٠

وعن الاغتيالات يقول سيد قطب « لم تتقرر الاغتيالات ، وانما اقترح احمد عبد المحسن أسماء للاغتيال نتيجة الدفاع عن كشـف التنظيم ٠٠ اقترح رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء ، ورئيس المباحث ـ على ما أذكر ـ ورئيس المخابرات العامة ، ومدير مكتب المشير عامر ، ودى مجرد اقتراحات » ٠ ٠٠

وينفى سيد قطب أن التنظيم قد عمل منجزات فهو « بيحاول يعمل » ٠

ويدور حديث طويل حول نسف الكبارى ، ومحطات الكهرباء ، والقناطر ، يؤيد بعضه سيد قطب ، وينفى الآخر ٠٠ ثم يقرر ان « نظام الحكم الحالى نظام جاهلى » ٠

وهكذا يقدم سيد قطب الدليل الثانى ٠٠ هناك تنظيم ٠٠ نعم ٠٠ التنظيم سرى ٠٠ نعم ٠٠ التنظيم مسلح ٠٠ نعم ٠٠ اعدت خطة للاغتيالات ٠٠ نعم ٠٠ التمويل من الخارج ٠٠ نعم ٠٠ نظام الحكم جاهلى ٠٠ نعم ٠

ودليل التنظيم هو كتاب معالم على الطريق ٠٠ وكانت الرقابة قد منعت صدوره ولكن عندما قرأه عبد الناصر أمر بطبعه ٠٠ ثم ابلغ عبد الناصر ان الكتاب يعاد طبعه ٠٠ فوافق ٠٠ ومرة ثالثة ابلغ أن الكتاب يعاد طبعه ووافق عبد الناصر على اعادة الطبع ٠٠ وعندما ابلغ ان الكتاب سيعاد طبعه لرابع مرة خلال شهور معدودة ، قال عبد الناصر ٠٠ ان هناك تنظيما للاخوان ! وقد درس الأزهر كتابه « معالم على الطريق » وقال عنه « ان سيد قطب استباح باسم الدين أن يستفز البسطاء الى ما يأباه الدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن فى ذلك من اراقة الدماء ، والفتك بالأبرياء ، وتخريب العمران ، وترويع المجتمع ، وتصدع الأمن ، والهاب الفتنة فى صور من الافساد لا يعلم الا الله مداها » « من دراسة لفضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف السبكى رئيس لجنة الفتوى بالأزهر » ٠

مؤامرة ١٩٦٥ جاءت فى وقت كانت الخطة الخمسية الأولى قد أوشكت على الانتهاء وحققت أكبر نسبة تنمية فى العالم الثالث كله ، باعتراف الأمم المتحدة ، فقد زادت معدلات التنمية لأول مرة عن معدلات زيادة السكان ٠

وكان عبد الناصر قد قدم كشف حساب للمرحلة ، وقد أسماها مرحلة التحول العظيم ، الى أول برلمان نصفه من العمال والفلاحين ، وحدد ثلاثة أعداء للثورة يناوشون ويقومون بالغارات على حدود العمل الوطنى يريدون تشتيت جهده ثم التقدم بعد ذلك الى

تحطيمه . العدو الأول هو الاستعمار ، وقد كانت حربه علينا ضارية ، والعدو الثانى هو اسرائيل والصهيونية العالمية ، ولقد تنبهت منذ وقت مبكر الى خطورة الثورة المصرية خصوصا اذا ما نجحت فى التحول العظيم من التخلف الى التقدم ، اما العدو الثالث فهو الرجعية العربية التى شنت اخطر هجوم على الثورة عندما وجدت فيها قوة وقدرة على التغيير الاجتماعى .

ويحدد عبد الناصر ابعاد المرحلة المقبلة ، والتى اسماها مرحلة الانطلاق العظيم ، وفى مقدمة المهام توسيع اطار الديمقراطية باستمرار ، وتعميق مضمونها ، والتنمية المتواصلة المضاعفة للدخل القومى ، وتحقيق الوحدة العربية . فان النجاح فى التنمية وفى هدف الديمقراطية داخل هذا الوطن سوف يقرب يوم الوحدة ويحدد شكلها النهائى . فالثورة الاجتماعية والسياسية التى تجرى فى مصر لا تحدث فى عزلة عن الأمة العربية وانما هى على مرأى منها ، وهى وثيقة الصلة بوجدانها .

وفى عام ١٩٦٥ كانت حرب اليمن على أشدها ، والثورة اليمنية تكسب ارضا جديدة صلبة .. والوطن العربى يغلى بالانقسامات .

وكانت قوى الاستعمار العالمى تتربص بثورات التحرر فى آسيا وافريقيا .. امكن تنحية بندرانيكه عن الحكم فى سيلان .. ووجه سخط الهند الى باكستان عن طريق الحرب الشاملة معه .. وغزت امريكا وبلجيكا الكونغو .. وحرب فيتنام على أشدها .. وواجه نيريرى فى تنزانيا مؤامرة استعمارية لقلب نظام حكمه ، واسقط سوكارنو ونكروما .. وبقى عبد الناصر ، وفشلت معه كل محاولات الغزو من الخارج والحصار الاقتصادى وتجويع الشعب المصرى ، ووضع جونسون خطة الغزو من الداخل او التفجير من الداخل .. وفى ظل هذه الظروف كشف تنظيم الاخوان المسلمين ومؤامرتهم التى فشلت .. ولكن معارك عبد الناصر مع الاستعمار لم تنته .. فعندما فشل التفجير من الداخل بدا الاستعداد للغزو من

الخارج ، وكانت حرب ١٩٦٧ ، والهزيمة العسكرية التى لم تستطع رغم قوتها وضراوتها أيضا أن تقضى على نظام عبد الناصر ! .

فى يوم ٧ أغسطس ١٩٦٥ أعلن جمال عبد الناصر فى خطابه انه « بعد أن رفعنا الأحكام العرفية منذ سنة وصفينا المعتقلات ، وأصدرنا قانونا خاصا للاخوان المسلمين لكى يعودوا الى أعمالهم ، نضبط مؤامرة .. وسلاحا وأموالا وصلت اليهم من سعيد رمضان من الخارج ، وهذا دليل على أن الاستعمار والرجعية بيشتغلوا فى الداخل » .

وبدأت التفاصيل تنشر عن مؤامرة الاخوان المسلمين الجديدة ، ونوقشت المؤامرة فى مجلس الشعب .. وطالبت نوال عامر عضو المجلس بمحاكمات شعبية لهذه الفئة الضالة والخارجة على المجتمع ، وطلب احمد يونس بتشديد العقوبة والضرب بيد من حديد على هذه العناصر المخربة التى تريد أن تعيث فى الأرض فسادا .

وتولى الجيش أمر هذه المؤامرة .. فصلاح نصر يقول ان المخابرات إعتذرت عن تتبعها لأنها كانت مشغولة بمعارك فى الخارج .. ووزارة الداخلية كانت بعيدة حتى أن زكريا محيى الدين رئيس الوزراء ووزير الداخلية اتصل بشعراوى جمعة وزير الدولة يشكو له من أن كمال أبو المجد الذى يعمل معه موجها فى تنظيم الشباب قد القى القبض عليه ، وتم الاتصال بعبد الناصر وتدارك الأمر وأفرج عنه قبل مرور ٢٤ ساعة .

وقدم أعضاء التنظيم الى المحاكمة فحكمت باعدام سبعة نفذ الحكم فى ثلاثة هم سيد قطب وعبد الفتاح اسماعيل ويوسف هواس وتم تخفيف عقوبة الاعدام على أربعة لصغر سنهم ، كما حكم على ٢٥ شخصا بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وعلى ١١ شخصا بالأشغال الشاقة من ١٠ الى ١٥ عاما ، وحكم على المرشد العام السابق حسن الهضيبى بالسجن ثلاثة أعوام ، كما اصدرت دوائر المحاكم أحكاما أخرى على ٨٣ واعتقل عدد كبير من أعضاء الجماعة .

وفى يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ تحدث عبد الناصر فى افتتاح

مجلس الأمة عن هؤلاء المعتقلين فقال : اعتقلنا عـــددا من الاخوان المسلمين بعد عمليات الارهاب التى كانت موجودة من سنتين ، طبعا ماكانش مفروض ان احنا حانعتقل هؤلاء الناس الى الأبد ، ولكن كان حتى المفروض ان احنا سننظر فى هذه الاعتقالات وكانت فيه بعض التقارير موجودة للافراج قبل العدوان وقبل النكسة ، ولكن طبعاالظروفاللىانحطينا فيهاخلتنا نوقفأى افراج ما كنش ممكنان احنانفرج،ولكنأنا اشعرالنهاردةان وضعناالداخلىيمكننا ان احنا نفرج،وعلى هذا نصدقعلى الافراجعن عددكبير من المعتقلين ، ومش حيفضل من المعتقلين الا الناس اللى كانوا اعضاء فى الجهاز السرى ، والتنظيمات السرية المسلحة ، وهؤلاء الناس كان عليهم احكام،شلت عنهم الأحكام ، أما عضو صحى أو عضو عام وعملنا لهم قانون انهم يرجعوا الى وظائفهم ، فنتج بعد كده بسنتين من ١٩٦٤ هذه العمليات الارهابية وانتم أخدتم فيها قرار هنا فى مجلس الأمة ، وده خلانا نمسك كل الناس اللى كانوا مشتركين فى تنظيمات ارهابية مسلحة أو حكم عليهم فى السابق ، وأفرجنا عنهم .. هؤلاء الناس بنفرج عنهم بالتدريج ، ولكن عددهم مش هو العدد الكبير .. عددهم أقل من ١٠٠٠ » .

وعندما مات عبد الناصر كان عدد المعتقلين من الاخوان ٢٥٠ شخصا ، وكانت هناك خطة موضوعة .. ومعتمدة للافراج عنهم .

هكذا انتهت علاقة عبد الناصر بالاخوان المسلمين ، ووضعت السطور النهائية فى هذه العلاقة التى بدات قبل الثورة بسنوات ، عندما كان عبد الناصر وعدد من الضباط الأحرار يبحثون عن حل للقضية الوطنية عند الأحزاب ، والمؤسسات السياسية . فكانوا يلتمسون عندها حلا ، ولكنهم لم يجدوه .

وفى فترة ما انضم خالد محيى الدين الى الاخوان المسلمين ، والتقى بهم أنور السادات ، وتردد عليهم جمال عبد الناصر . وقد بعد هؤلاء عن الاخوان عندما وجدوهم يأخذون خطا سياسيا مخالفا لاجماع الحركة الوطنية بتأييد الطاغية لسماعيل صدقى .

وبعد الثورة مباشرة تردد الاخوان فى اعلان تاييدهم لها ، ثم صدر بيان تأييد مقتضب بعد أن غادر فاروق البلاد ، وعنـدها تقدم الاخوان بشروط للثورة كى يعلنوا تاييدها من بين هذه الشروط ألا يصدر قانونا الا اذا أقره الاخوان المسلمون، وأن تعلن الثورة الحجاب على كل السيدات ٠٠ ورفضت الثورة مطلبى الاخوان ، ولكنها فى نفس الوقت اتخذت قرارات لصالح الاخـــوان ٠٠ قدمت ابراهيم عبد الهادى الذى عذب الاخوان المسلمين الى المحاكمة ، وأحدى التهم الموجهة اليه هى ما ارتكبه ضد الاخوان ، وقد حكم عليه بالاعدام ، وخفف الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة ٠

اعادت الثورة التحقيق فى مقتل الشيخ حسن ، وحكم بالسجن ١٥ سنة على الاميرالاى محمود عبد الحميد مدير المباحث الذى دبر الاغتيال ، أصدرت الثورة عفوا خاصا عن الاخوان قتلة المستشار احمد الخازندار ٠٠ أصدرت قرارا خاصا بالعفو الشامل عن كل الجرائم السياسية التى وقعت قبل عام ١٩٥٢ وقد بلغ عدد المفرج عنهم ٩٣٤ مواطنا معظمهم من الاخوان وكانت الثورة قد استثنت الشيوعية من هذا القرار على اعتبار أن الشيوعية جريمة اقتصادية وليست سياسية حسب القانون السائد وقتئذ ٠

وعندما أصدرت الثورة قرارا بتنظيم الأحزاب واعادة تشكيلها سارع عدد من الاخوان بتقديم طلب لتشكيل الجماعة ، وطلب المرشد العام من عبد الناصر ان يستثنى الجماعة من القانون ، وذهب جمال عبد الناصر الى سليمان حافظ وزير الداخلية ، وهناك التقى بالمرشد العام المستشار حسن الهضيبى وتم وضع حل للمشكلة ، وبعدها نمثل الاخوان بعدد من الأعضاء فى لجنة وضع الدستور ، رغم أن الهضيبى عارض قانون تحديد الملكية واصر على أن يكون الحد الأقصى للملكية خمسمائة فدان ٠

وبعدها رفى مايو سنة ١٩٥٣ ؟بت أن هناك اتصالا بين بعض الاخوان المحيطين بالمرشد العام وبين الانجليز عن طريق الدكتور

محمد سالم الذى دبر اكثر من لقاء بين الهضيبى وعشير ايفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية ·

واستدعى عبد الناصر عددا من المسئولين فى مكتب الارشاد ، وطلب اليهم ايقاف هذه الاتصالات التى تضر بالمفاوضات التى تدور بين الثورة وبين الانجليز ، ولكن الاتصالات استمرت سرية ولم تتوقف ·

وبدأ الاخوان فى اقامة تنظيمات سرية داخل الجيش والبوليس وضباط الصف ·

واستدعى جمال عبدالناصر حسن العشماوى والدكتور خميس حميدة وكيل الجماعة والشيخ سيد سابق ، ووضع أمامهم الصورة كاملة ، وطلب منهم التوقف عن العمل داخل الجيش والبوليس ، ولكن هذا العمل لم يتوقف ·· وبدأت المنشورات من الاخوان ضد الثورة ·

وفى يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤دوت ثمانى رصاصات فى السرادق الذى اقيم بميدان المنشية بالاسكندرية ليخطب فيه جمال عبدالناصر احتفالا بتوقيع اتفاقية الجلاء ·

على بعد ١٥ مترا من منصة الخطابة جلس الشاب محمود عبد اللطيف عضو الجهاز السرى للاخوان · وما ان بدا عبد الناصر خطابه حتى اطلق الرصاص عليه فأصابت الوزير السودانى مرغنى حمزة ، واحمد بدر سكرتير هيئة التحرير بالاسكندرية · وهجم العسكرى ابراهيم الحالاتى الذى كان يبعد عن الجانى بحوالى أربعة أمتار وقبض عليه ومعه مسدسه ·

ومحمود عبد اللطيف يعمل « سباكا » بامبابة ، درس فى القسم الليلى بالتعليم الابتدائى عدة سنوات ، واعتقل عام ١٩٤٩ ، وهو عضو فى الجهاز السرى للاخوان ومسئوله هو المحامى هنداوى دوير ·

ويقول انه قبل الحادث باسبوع أخبره هنداوى باتفاقية الجلاء بين مصر وبريطانيا ، واتهمها انها خيانة ، واتفقنا نحن

للثلاثة ، سيد حجاج ، وهنداوى دوير ، وأنا ، على أن من تتاح له الفرصة منا لاغتيال الرئيس عبد الناصر ينفذ فى الحال ٠

وقبل الحادث بيومين توجهت الى منزل هنداوى فى الساعة الثانية عشرة والنصف ليلا واخبرته أنى مسافر الى الاسكندرية لأنفذ الخطة فى اجتماع الرئيس هناك وكنت قد علمت بسفر الرئيس من الجرائد ، فعرض على هنداوي الحزام الناسف ، ولكننى رفضت فأعطانى مسدسا و ١٥ طلقة و ٢ جنيه وقال على بركة الله ، ومريت يوم السفر الصبح على نويتو واخذت منه بناء على أوامر هنداوى خمسة جنيهات ٠

عندما كان الراديو يذيع تفاصيل خطـاب الرئيس وانطلقت الرصاصات التى لم تصب الرئيس ٠٠ كانت شوارع القاهرة تشهد صورتين :

الأولى ان هنداوى دوير اسرع الى منزله ، واخــذ زوجته وأولاده وسافر بهما الى اهله فى المنيا حيث تركهم هناك ، وعاد ليسلم نفسه ـ من تلقاء نفسه ـ الى الشرطة معترفا ان ما حدث كان خطأ ، وبعد ذلك طلب تخفيف الحكم عليه لأنه احس بالخطأ وسلم نفسه قبل أن تطلبه الشرطة ٠ وهذا يؤكد دوره الفعلى فى الحادث ٠٠ وان الحادث ليس تمثيلية ولا مدبرا ٠

الصورة الثانية هى صورة على نويتو الذى أخذ منه محمود عبد اللطيف حقيبة السفر حيث اغمى عليه ، واخذ يبكى ويقول : خربتم بيتى ٠٠ لأنه كان يعلم بمعاقبة الاغتيال سلفا ٠

وهذا ايضا يعني أن الحادث ليس مدبرا وليس تمثيلية ٠٠

وقدم الاخوان للمحكمة ٠٠ المشـكلة من جمال سالم ، وانور السادات ، والفت ثلاث دوائر للمحاكمه ٠٠ وصدرت الأحكام باعدام سبعة من قادة التنظيم ٠٠ وبالأشغال الشاقة المؤبدة على سـبعة وبراءة ثلاثة ٠ وقد بلغ عدد الذين حكمت عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ شـخصا والذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية ٢٥٤ شـخصا ، واعتقل عدد كبير منهم ٠

وفى اللجنة التحضيرية المؤتمر القومي تحدث عبد الناصر فى معرض مناقشة خالد محمد خالد عن الاخوان المسلمين فقال : حاكمنا الاخوان المسلمين ، هل حاكمناهم افتراء أم لأنه كان يوجد جيش مسلح يستخدم للانقضاض على هذا الشعب ٠٠ الم يحدث هذا سنة ١٩٥٤ ، هل بدانا بالعدوان ، هل تركناهم فى السجون ٠٠ خرجوا من السجون ٠٠ وأكثرهم أفرج عنه قبل أن تنتهى مدة العقوبة ، وأكثرهم ممن كانوا فى وظائف وفصلوا ، وضع لهم قانون خاص كى يعودوا الى وظائفهم ٠٠ هذا هو العدل الذى كنا نتبعه ٠٠ لم نقل ابدا ان هذه فرصة يبقوا فى السجن ٠٠ امامهم عشر سنوات أو ١٥ سنة نتخلص منهم ، أنا لا أريد أن أتخلص من شخص فى هذا البلد ٠٠ أريد أن اجمع كل أبناء هذا البلد ٠

اذا كان حادث ١٩٥٤ تمثيلية مدبرة ٠٠ بعد كل هذه الوقائع ٠٠ فما هو الهدف منها ٠٠ التخلص من الاخوان ٠٠ وهل كان عبد الناصر يحتاج الى تمثيلية ليتخلص من الاخوان ٠

اذا كان هذا هو الهدف ، فلقد جاءه مرتين ٠٠ الأولى عندما ايقن الاخوان أن قانون تنظيم الأحزاب ينطبق عليهم ، وكان يمكن الا يتدخل عبد الناصر بشخصه ليعيد الجماعة ٠

والثانى هو قرار الحل الذى صدر للاخوان عقب احداث الجامعة الذى اشتبك فيه شباب الاخوان مع شباب هيئة التحرير وأطلق الاخوان الأعيرة النارية ٠ فقد صدر بعدها قرار بحل الجماعة وتدخل الملك سعود ، وعادت الجماعة مرة ثانية ٠٠ فاذا كان الهدف هو التخلص منها ٠٠ فلماذا تمت الموافقة على عودتها بعد ان حلت بالفعل ٠٠

الرئيس السادات فى خطابه بمحافظة المنيا (يوليو ١٩٧٤) قال ان حادث الاخوان ليس مدبرا ، وانه حصيلة مؤكدة وهو شاهد عليها ٠

عبد اللطيف البغدادى قال فى مذكراته ٠٠ ان حادث ١٩٥٤

مؤكد .. كمال الدين حسين احتج على القبض على الاخوان عام ١٩٦٥ بعد ابعاده عن السلطة ، وهذا يعنى انه يوافق على أن أحداث ١٩٥٤ حقيقية !

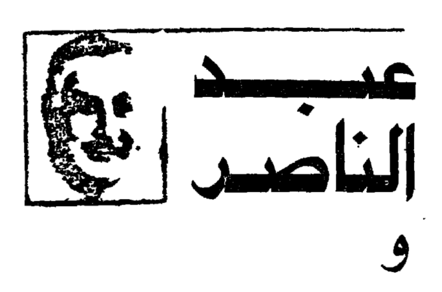
هل كان الاخوان المسلمون متآمرين .. نعم .. وتاريخهم الطويل قبل الثورة يشهد بذلك .. قتلا ، ونسفا .. قتلوا النقراشى وقاضى المحكمة الذى حكم ضدهم ، المستشار الخازندار ، ونسفوا كثيرا من المنشآت والبيوت .

هل عذب الاخوان المسلمون .. نعم أيضا .. وهى حقيقة مؤسفة .. ويقول شمس بدران بصراحة « اننى اتحمل المسئولية الكاملة عن كل ما وقع مما يسمى بالتعذيب فى القضايا التى أشرفت على التحقيق فيها .. فاذا كانت وسيلة الضغط والاجبار قد اتبعت فى بعض الحالات للحصول على المعلومات من المتهمين ، فقد كان ذلك يستمد من مصلحة عليا وهى أمن البلد وانقاذها من الدمار والنسف ، وكان يمكن أن ابرىء نفسى واقول اننى كنت أنفذ أوامر كبار المسئولين الذين طلبوا منى ذلك ، ولكن لا أقولها .. بل فعلت ما فعلت عن قناعة ، وأنا لست ضد الاخوان المسلمين ، بل كنت عضوا بالجماعة سنة ١٩٥٤ .. وأنا لم ابتدع عمليات التعذيب .. فقد سمعنا بما جرى فى عهد السعديين » .

لقد كنا فى سباق مع الزمن .. اما أن نسبقهم ونعتقلهم أو يسبقوننا وينسفون القاهرة ، ولا يمكن أن تكون فبركة أو تلفيق الأسلحة التى ضبطناها ، والرسوم الكروكية التى رسمها مهندسوهم موضحين فيها أماكن النسف .

هل كان المطلوب السكوت على ذلك حتى تقع الكارثة لاثباتها كما حدث فى الكلية الفنية العسكرية ، أم كان المطلوب الانتظار حتى يتم قتل الدكتور الذهبى لاثبات الجريمة على فاعليها ..

ومع ذلك .. فان عمليات التعذيب التى تعرض لها الاخوان خطأ نحن أول من يدينه .



الأقباط المصريين

د. ميلاد حنا

الدكتور ميلاد حنا .. استاذ بكلية الهندسة بجامعة عين شمس وواحد من ممثلى التيار المسيحى . تقدمى فى مصر الذى يؤمن بان من المسيحية الحقة الارتباط بارض الوطن والدفاع عنه ضد الاستعمار والصهيونية وان التعصب الدينى بعد عن جوهر المسيحية وان الوحدة الوطنية هى السياج الذى يحمى وحدة مصر واستقلالها . وان فى حياة السيد المسيح وحوارييه تكمن البذور الأولى للمساواة وان الديمقراطية النابعة من طين مصر وتراثها هى المناخ اللائم لحرية العبادة والعقيدة .

س ـ كيف كانت احوال الأقباط فى ظل عبد الناصر ؟

جـ ـ قبل ثورة ٢٣ يوليو لم يكن للاقباط اى علاقة بالثورة فلقد شاءت الأقدار ألا يكون من بين اعضاء مجلس قيادة الثورة ضابط قبطى واحد ٠

وحاولت الثورة تدارك الأمر بعد ذلك فكانت تختار قبطيا من « التكنوقراط » معروفا عنه حسن السمعة لتمثيل الأقباط فى كل وزارة وغالبا ما كان هذا الوزير استاذا جامعيا ٠

ولعل أبرزهم كان د٠ كمال رمزى استينو المشهود له بالكفاءة والنزاهة والخبرة فى ميـدانى الزراعة والتموين وان لم يكن من المعروف عنه نشاطه السياسى ٠

وظل الأقباط فى حالة ترقب طوال سنوات الثورة الأولى ، عازفين عن المشاركة فى النشاط السياسى فى تنظيمات الثورة لأنهم كانوا يشعرون بصعوبة بالغـة لاستئناف نشاطهم مثلمـا كانوا يفعلون أيام انتخابات الوفد ٠٠ حزب ثورة ١٩١٩ التى وحدت عنصرى الأمة ٠

وعندما تقرر اجراء انتخابات عامة لأول مرة لمجلس الأمـة سنة ١٩٥٧ كان الأقباط لديهم قناعة بانه من المستحيل أن يصل قبطى بالانتخابات الى مجلس الأمة ٠٠ فالأحزاب السياسية التى ارتبطوا بها تاريخيـا كانت محلولة ٠٠ ولا يوجد فى الســاحة السياسية غير تنظيم واحد ، وهو الاتحاد القومى ، الذى لم يكن من بين قياداته أقباط معروفون بنضالهم السياسى ، وتغيبت أسماء كفخرى عبد النور وويصا واصف وسنيوت حنا ومكرم عبيد أبطال ثورة ١٩١٩ الذين شاركوا بكفاحهم فى تكوين وقيادة حزب الوفد ٠

كما كان من الضرورى وفقا للقانون حينذاك أن يكون المرشح عضوا فى تنظيم الاتحاد القومى ٠

لكل هذه العوامل احجم الأقباط عن المشـاركة فى المعركـة الانتخابية ٠

ولقد ادرك عبد الناصر بحسه السياسى هذه المشكلة ، ولجا

لأسلوب جديد لم يمارس من قبل لحلها ، ولنضمن « تواجدا » قبطيا في المجلس النيابي الجديد .. ماعلقت عشر دوائر اختيرت بدقة ، ومعروف ان اغلبيتها السكانية قبطيـة ، على المرشحين الأقبـاط ورفض الاتحاد القومي الموافقة على ترشيح أى منافس مسلم فى الدائرة .

وفى كل المجالس النيابية التى تلت مجلس ١٩٥٧ استغنى عن نظام قفل الدوائر واكتفى بحق رئيس الجمهورية فى تعيين عشرة أعضـاء فى المجلس النيابى لتمثيـل الاقليـات فى المجلس بصورة رمزية .

هذه التفاصيل ضرورية لمعرفة موقع الأقبـاط فى الحيـاة السياسية وفى المجال البرلمانى خلال فترة حكم عبد الناصر .

الا ان الأقباط سعدوا بقرارات ١٩٦١ ، والمناخ العام الذى أوجده عبد الناصر من عدالة اجتماعية واعطـاء كل مواطن نفس الفرصة بصرف النظر عن وضعه الطبقى او معتقداته الدينية .

واستقرت فى هذه الفترة قواعد جديدة كالمساواة فى دخـول الجامعات وامتحانات القبول للوظائف العامة وغير ذلك من الأمور فقد أشيع الفكر التقدمى فى كافة نواحى الحيـاة وبالتالى قل الاحساس القبطى بالغربة وتسلح بالعلم والمعرفة لكى يأخذ مكانه فى المجتمع الذى كان فى طريقه لوضع قواعد وأسس جديدة .

وقام بعض رجال الدين المسيحى بتفسير العلاقة بين العدالة الاجتماعية والمسيحية مستندين فى ذلك الى حياة السيد المسيح وتلاميذه من بعده .

س ـ ولكن .. هل حدثت فتنة طائفية أيام عبد الناصر ؟

ج ـ عهد عبد الناصر يذكره أقباط مصر كعهد اخاء فى العلاقات بين المسلمين والأقباط ولم تحدث خلاله منازعات طائفية حادة كالتى حدثت فى السنوات الأخيرة .

فلقد كان عبد الناصر حريصا على الوحدة الوطنية التى تجمع شعب بلادنا أقباطا ومسلمين منذ مئـات السنين ، والتى اثبتت

اصالتها وقوتها في مختلف الظروف وخلال كل المعارك .

وفي منتصف الستينيات ، على ما أذكر ، عبر عبد الناصر عن هذه الحقيقة في حديث له مع الصحفي الهندي « كارانجيا » عندما سأله عن العوامل التي حققت بها الثورة المصرية انتصارها في مواجهة كل أنواع الهجمات المادية للثورة .. فقال عبد الناصر :

هناك فارق أساسي بين الأمة والدولة ، ونحن دولة وامة أيضا ، وبمعنى آخر أمة واحدة ودولة واحدة .. شعب واحد متحد وغير منقسم .

ولقد تصادف أن قاد للكنيسة القبطية هذه الفترة الأنبا كيرلس السادس الذي كانت تربطه بعبد الناصر مودة خاصة .. حتى انه كان أول من اتجه لعبد الناصر بعد اعلان هجوم اسرائيل على مصر صباح ٥ يونية ١٩٦٧ لكي يشد من أزره .. وقابل عبد الناصر فورا وبدون موعد سابق .

ولقد توطدت العلاقة بينهما خلال العدوان بعد ان ارسل الأنبا كيرلس برقيات متتالية الى مجلس الكنائس العالمي .. يستنكر العدوان على الأراضي المقدسة ويحذر من اى محاولة لتدويل مدينة القدس .

وبوحى من الأنبا كيرلس وبمشاركة منه أرسل زعماء الكنائس الشرقية رسالة الى مجلس الكنائس العالمي بعد عدوان ١٩٦٧ بشهر واحد يحتجون على تأييد الكنائس الغربية لاسرائيل .. وقالوا في رسالتهم ان استمرار وجود اسرائيل هو اهانة لضمير الغرب المسيحي .

فالعلاقة بين الرجلين نشأت وتدعمت من خلال المعارك النضالية للامة والغريب ان تصادف رحيل الأنبا كيرلس عقب رحيل عبد الناصر بأيام .

لكننا لا نستطيع أن ندعى أن عهد عبد الناصر كان خلوا من اى مشاكل فيما يتعلق بالنزاع الطائفي وقد حدثت بعض الاحتكاكات في بعض مناطق الوجه القبلي اثر هزيمة ١٩٦٧ وما صاحبها من

هزات نفسية للشعب . وانتهز عبد الناصر فرصة افتتاح الكاتدرائية الجديدة بمنطقة الأنبا رويس بالعباسية بالقاهرة عام ١٩٦٨ بمناسبة نقل رفات القديس مرقس من كنيسة البندقية الى هذه الكنيسة الجديدة لمضى ١٩ قرنا على استشهاد هذا القديس الذى كان اول من بشر بالمسيحية فى مصر .

والقى عبد الناصر خطابا فى الكاتدرائية اكد فيه على الدور الرئيسى لأقباط مصر فى حركة انتشار المسيحية فى العالم .

كما أكد ان مصر تزهو بتراثها القبطى كزهوها بتراثها الاسلامى .

وعلى اثر هذا الخطاب خمدت الفتنة الطائفية تماما .

لقد كان عبد الناصر يقيم دولة تساوى بين جميع المصريين .. ولا يتميز فيها مصرى على مصرى الا بما يقدمه من جهد وفكر وعرق لبلده فى أى مجال .

س ـ وكاستاذ جامعى .. ما هى التغيرات التى طرأت على الجامعات فى عهد عبد الناصر ؟

ج ـ سوف يظل شعب مصر يذكر لعبد الناصر الفضل فى قضيتين أساسيتين فى مجال التعليم .. الأولى هى مجانية مراحل التعليم باكملها .

فرغم ان طه حسين ، وقد رفع شعار التعليم كالماء عام ١٩٥١ ومصر التعليم واعطى شرائح كثيرة من المجتمع حق التعليم الالزامى والمجانى ، الا أن عبد الناصر الغى المصروفات فى كل مراحل التعليم من أولها الى آخرها .

أما القضية الثانية فهى زيادة حجم التعلم العالى وانشاء ما يسمى بجامعات الأعداد الكبيرة .

ففى أوائل الستينيات أعطى عبد الناصر التعليمات للجامعات بقبول ضعف الأعداد التى تقبلها قبل ذلك .

كما انشئت العديد من الجامعات الاقليمية لمنح الفرص لأبناء الريف لاستكمال تعليمهم .

لذلك فلقد تميز عهد عبد الناصر بأن القوى والطبقات الشعبية من أبناء الفلاحين والعمال وصغار الموظفين كانت قادرة على أن تغزو الجامعات ·· حتى ان بعضا منهم قد تمكن من أن يحتل كراسى المدرسين ثم الأساتذة أحيانا ·

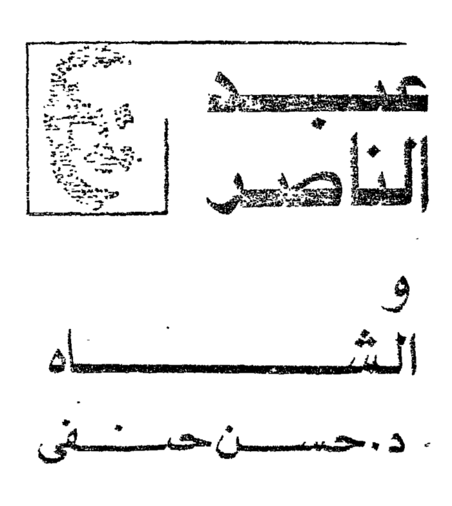
وفى أثناء السنوات الطويلة التى قضيتها فى الجامعة ، اما طالبا خلال الحرب العالمية الثانية او مدرسا فأستاذا بعد ذلك ، يمكن أن أقرر بأن أسوار الجامعة كانت مغلقة تماما أمام الطبقات دون المتوسطة ·

س ـ فى الستينيات كنت أستاذا فى الكلية الفنية العسكرية· فما هى ملاحظاتك عن تلك الفترة ؟

جـ ـ خلال انتدابى للتدريس بهذه الكلية التى كانت تنتقى خيرة الشباب الحاصلين على الثانوية العامة على أساس القدرات الذهنية والجسمانية · دون أى تأثر بالخلفية الطبقية ، لم يكن من السهل على معرفة أصولهم الطبقية لأنهم كانوا جميعا يرتدون نفس الملبس بحكم القواعد العسكرية ولم اكن استطيع أن أميز بين طالب وآخر من مظهره كما هو الحال فى الجامعات العادية ·

ولكن كانت الكلية تقيم حفل استقبال لأهالى الطلاب الجدد بعد أن يقضوا فترة الاختبار الأولى ·· وما كان يذهلنى حقا كيف أن أصحاب الجلاليب الزرقاء من الرجال الذين يلبسون « البلغة » كما هى معروفة فى مصر والبلاد العربية ، ولبس الحذاء كما هو معروف فى الدول الغربية ، ومن السيدات اللاتى يتحلين بالجلباب الأسود والطرحة كما هو معروف فى الريف المصرى ·· ان هؤلاء آباء الطلبة النوابغ ·

ان الفترة القصيرة التى حكم فيها عبد الناصر مصر كانت زاخرة بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الجوهرية وفى كافة نواحى الحياة فى مصر ·· ولا أتصور ان هناك مصريا واحدا لم يلمس عبد الناصر حياته بشىء ايجابى ·



يرى عبد الناصر أن الشاه كان أداة للاستعمار يستخدمه كيف يشاء ، ويوجهه لضرب قوى التحرر في المنطقة وعلى رأسها حركة التحرر العربية ولإخضاع شعوب المنطقة تحت النفوذ الاستعماري .. كان محرضا في حلف بغداد . ومحرضا في عدوان ١٩٥٦ ومؤيدا له ، وكان منفذا للمخطط الاستعماري لحصار القومية العربية التي بلغت أوجها بقيام الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٥٨ ، يقول عبد الناصر :

« كان شـاه ايران محرضا فى حلف بغـداد . كان محرضا لانجلترا قبل العدوان . وكان مؤيدا لانجلترا وقت العـدوان ، وكان محرضا ضد الأمة العربية ، وضد القومية العربية . وكنا دائمـا نتسـاءل : لماذا هذا الموقف العدائى الذى يتخذه شاه ايران منا » .

ويرى ناصر أن الاستعمار يعبر عن مصالح القوى المستغلة للشعوب والشركات العالمية المتحكمة بالمواد الأوليه والأسواق والأيدى العاملة ومناطق النفوذ ، ويعتبر كل من يمكن هذه القوى من ممارسة استغلالها والتحكم بمقدرات الدول الصغيرة والفقيرة عميلا لها ..

وفى هذا يقول عبد النـاصر :

« واننـا نعلم أيضـا أن أعوان الاستعمار لا يمكن الا أن يكونوا للاستعمار أعوانا ينفذون أوامره ، واننـا ننظـر الى هؤلاء الأعوان كذلك . لأننـا حين صممنا على أن تستقل بلدنـا استطعنا أن ننتزع الاستقلال انتزاعا ، واننا نعلم أن هذه الروح تسرى فى كل شعوب الدنيا . ونعلم أن شعب ايران الذى ثار ليتحرر من الشاه والذى انتكست ثورته لا يمكن أن يقبل أن يخضع للاستعمار أو لمناطق النفوذ ، ولا يمكن أبدا أن يكون مطية للصهيونية العالمية لتتحكـم فى ايران » .

وعندما يهاجم ناصر الاستعمار القديم والجديد فانه يعتبـر الشاه أداة للاستعمار الغربى يستخدمه كشرطى للمنطقة ، ولضرب القوى فى جميع حركات التحرير فيه وعلى رأسها حركة التحرر العربى .. وفى هذا يقول عبد الناصر .

« حتى أصبحت ايران مستعمرة أمريكية ، مستعمرة صهيونية تخضع للنفوذ الامريكى والصهيونى . والمستبد شاه ايران الذى يستغل ايران من أجل نفسه .. ينهب أموالها ويسرق ثرواتها .. أصبحت ايران هى الدولة الداخلة ضمن أحد الأحلاف الغربية ، واقعة تحت حماية الغرب ، يعطونها معونات كل سنة .. يسرق

البعض ويصرف البعض الآخر على الجيش ، يدفعه الاستعمار وإسرائيل لسبنا » .

وعندما سقط الشاه تكشفت كل هذه الحقائق التي كان ينبه لها عبد الناصر .

والشاه عندما جعل نفسه أداة للاستعمار فإنه جعل نفسه أيضا نتيجة لذلك مطية للصهيونية .. اعترف بإسرائيل منفذا لأوامر الاستعمار .. يقول ناصر .

« الحقيقة التي نعرفها .. أنه باع نفسه منذ زمن بعيد للاستعمار واعترف بإسرائيل ليرضي أمريكا وأسياده » .

وناصر كان لا يمكن أن يقطع علاقات دبلوماسية مع أي دولة تعترف بإسرائيل أو تتحدى بالصلح معها .. فالصراع بين العرب وإسرائيل صراع حضاري مصيري أساسي لا مساومة فيه ولا وساطة فيه ولا التقاء في منتصف الطريق على حساب الحقوق العربية وحقوق شعب فلسطين .. يقول ناصر

« إن الشاه [illegible] في أحضان الاستعمار صديق للصهيونية والاستعمار والصهيونية .. ويجب أن أقول بنفسه أنه يعترف بإسرائيل ليرضي عملاء الاستعمار والصهيونية وإسرائيل .. لا داعي لأن نبقى لنا سفارة في إيران تمثل سفارتنا في إيران . ولا يمكن بأي حال أن تكون هناك سفارة تمثل جمهوريتنا لدى هذا [illegible] لا بد أن ننتظر اليوم الذي تتحرر فيه إيران من الطغيان والفساد والسيطرة والاستعمار والصهيونية لنعيد فتح هذه السفارة مع شعب إيران الحر الأبي الكريم » .

ويقول ناصر أيضا : « هذا الشاه الذي جعل نفسه عميلا للصهيونية والاستعمار أراد أن يتحدى الأمة العربية ، وأراد أن

من نفسه ومن بلده مطية للصهيونية والاستعمار .. اذا اراد أن يجعل نفسه ، فهو حر يفعل ما يشاء . ولكننا لا نستطيع الا أن نقفل سفارتنا فى طهران ، ولا يكون لنا أى ممثل لدى شاه بهلوى .. شاه ايران » .

ان شعب مصر فى رأى ناصر لا يمكن إن يقبل اية علاقة مع الشاه او ان يترك ممثلا لشعب مصر فى طهران .

يقول ناصر : « لقد قطعنا علاقتنا بايران منذ سنوات لأنها أصبحت مرتعا لاسرائيل والصهيونية ، ونحن بلد مستقل لا يمكن أن نحيد عن الاستقلال » .

لقد خشى الشاه من محاصرة القومية العربية له كحركة تحررية فعاداها ولما كان ناصر أصبح رمزا لهذه الحركة فقد عاداها ممثلة فى شخصه كما عاداه الاستعمار لأنه يعلم ان شعوب المنطقة تلتف حول الزعماء لما تمثله أشخاصها من تحقيق لآمانيـــها فى الحرية والسيادة والاستقلال الوطنى . ومن هنا كان التركيز على شخص ناصر عند الشاه والاستعمار .. يقول ناصر عن الشاه :

« وكان ينظر الى الثورة التى قامت فى مصر والى الحركة التحررية التى قامت فى كل انحاء الأمة العربية .. كان ينظر اليها بخوف ورهبة لأنه كان يشعر ان ثورة قامت فى بلده فى الماضى واستطاع بواسطة الاستعمار أن يقضى عليها وأن ثورة قد تجىء فى المستقبل وتطيح به » .

لقد كانت خطـة الاستعمار اســتعمال الشــاه لضرب القوى المتدعبة فى العالم العربى .

يقول ناصر : « لقد كانت خطة الاستعمار ضرب القوى الثورية وتصفيتها والقضاء على وحدة العمل العربى من اجل فلسطين » .

كانت القومية العربية كحركة تحررية أكبر خطر يهدد الاستعمار

فى منطقة الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وخرجت المنطقة مدافعة عن استقلالها الوطنى وعن ثرواتها وأسواقها ضد قوى الاستعمار . لذلك فكر الاستعمار فى وسيلة يحاصر بها هذه القوة الجديدة من داخل المنطقة ذاتها فوجدها فى شاه ايران يفصل به بين حركة التحـــرر العربى وظهيرها التقليـــدى الذى عاونها فى الخمسينيات والستينيات .

والشاه فى تصور ناصر اكبر تاجر بالدين وآخر من يعلم عن الإسلام شيئا . يزيف الشعارات ، ويستخدم الاسلام لوضع المنطقة كلها داخل مناطق النفوذ .

الاسلام فى الظاهر والاستعمار فى الباطن .. الاسلام تجارة فى صالح الاستعمار وليس فى صالح الشعوب .

يقول ناصر : « لقد زيف الشعارات الوطنيـة والشعارات الاسلامية . وكنا نتساءل لماذا يزيف الشعارات ؟ وكان الجواب دائما سهلا ويسيرا . ليضعنا داخل منطقة النفوذ » .

الاسلام فى تصور ناصر مرادف للوطنية ولا يرمى الا الى تحقيق مصلحة الشعوب فى الاستقلال الوطنى دون استغلال .

ان التجارة بالدين وتزييف شعارات الاسلام لا يمكن أن تخدع الشعوب اذ سرعان ما تكتشف ألاعيب الاستعمار وتعلم أن الهدف ليس الدفاع عن الاسلام بل عن مصالح الاستعمار .

يقول ناصر : لا يمكن لأى فرد ان يزيف الشعارات لأنه بتزييف الشعارات يخدع نفسه ولكنه لا يستطيع ان يخدع الشعوب . لقد زيفت الشعارات الوطنية والشعارات الاسلامية ولكن الوقت كشف ان هذه الشعارات المزيفة انما كان الغرض منها أن تخدع الأمة العربية فتدخل فى الاحلاف ومناطق النفوذ ، ولكن الأمة العربية لم تخدع ولم تتأثر بهـذه الشعارات الزائفة ، ولن تتأثر الأمة الاسلامية بدعوة الشاه لأنها على وعى بمصالحها » .

يقول ناصر : « لن يكون لكلامه أى تأثير لأنه بلد اسلامى ولكن شاه ايران لا يمكن لن نعتبره مسلما لأنه مطية للصهيونية وللمستعمرين لأن الخارج يكون خارجا عن دين الاسلام ووحدة المسلمين » .

لن حلف بغداد فى رأى ناصر اكبر مظاهر هذه التجارة بالدين ..

يقول ناصر : « ان شعب ايران اليوم يستطيع ان يكشف أن كل ما يدعيه الشاه حينما كان يتكلم عن حلف بغداد وحينما كان يتكلم عن أن هذا الحلف اسلامى .. ان هذه الأحلاف التى ينادى بها أعوان الاستعمار ليست الا السند الأكيد للاستعمار ومناطق النفوذ ، وليست الا السند الراسخ للصهيونية العالمية . لقد باعوا أنفسهم للصهيونية والاستعمار .. أما عن الأمة العربية فاننا سنكافح فى سبيل حرية بلدنا وفى سبيل حقوق شعب فلسطين » .

أراد ناصر أن يكشف الاعيب الشاه على العالم أجمع قائلا : « ليرى العالم أجمع كيف كان هذا الشاه يزيف الشعارات ، وكيف كان هذا الشاه تحت اسم حلف بغداد يريد أن يخدع الأمة العربية وأن يكبلها كما كبل ايران » .

ولكن عبد الناصر يرى أن الشاه مصاب بعقدة مصدق ، وكان يرهب الاتجاهات الوطنية ويخشى منها على نفسه وعرشه وحياته ، يقول ناصر : « كان من الواضح أن الشاه عنده عقدة مصدق .. مصدق الذى قام ليحرر بلده ويقضى على الاحتكارات التى قامت فيها .. مصدق الزعيم الذى قام ليقضى على النفوذ الأجنبى .. مصدق الذى استطاع الشاه بالتعاون مع الاستعمار أن يقضى عليه وعلى ثورته .. كان شبحه دائما يقف امام هذا الشاه فى كل وقت .. كانت عقدة مصدق هى التى تدفع شاه ايران دائما الى ان

يضع نفسه داخل النفوذ الأجنبي .. واذا كان شاه ايران قد باع نفسه بثمن بخس فان شعب ايران لا يمكن أن يبيع نفسه [illegible] أو بكل كنوز الدنيا » .

يرى ناصر أن من يعادي شعبه ويقف ضد الحركة الوطنية لا يجد أمامه الا أن يلقي بنفسه في أحضان الاستعمار ، [illegible] الاستعمار ويستعديه ضد شعبه ، وضد الحركة الوطنية .

وشاه ايران في رأي ناصر مثل نوري السعيد في العراق وعدنان مندريس في تركيا .. كلهم عملاء الاستعمار مناهضون للحركة الوطنية في بلادهم . يعرفون مصيرهم تماما ويحاولون [illegible] بعضهم البعض انقاذ ساعة الخطر .. يقول ناصر : « في عام ١٩٥٣ ركب الشاه طائرة وهرب . وذهب الى نوري السعيد .. أين نوري السعيد اليوم ؟ أين عدنان مندريس اليوم ؟ أين [illegible] اليوم ؟ انه غير موجود اليوم الا شاه بهلوى وحده ! » .

ولم يعش ناصر حتى يرى سقوط الشاه وفراره والتنقل في عواصم الدنيا [illegible] .

ولا غرابة أن ساعد ناصر الخميني في ثورته الأولى ضد الشاه في يونيو ١٩٦٣ بل كان يمد انصاره بالسلاح والرجال والمال .

ولم يعش ناصر حتى يرى ثورة شعب ايران بقيادة الامام الخميني .

والشاه في تصوير [illegible] الثورة الشعبية في ايران [illegible] ايران .. [illegible] .. [illegible] بالأمس .. [illegible] .

[illegible]

العرش مرة أخرى . ولكن هل يستطيع شاه ايران أن يذبح كل شعب ايران أو يخدعه .. اننا حين نأخذ هذه الخطوة (قطع العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وايران) نشعر بالأسف لأن العلاقات التي كانت تربطنا بشعب ايران كانت علاقات متينة ووطيدة » .

يفرق ناصر اذن بين شاه ايران وشعب ايران .. بين الحاكم والشعب ، وأي هجوم على حاكم بعينه لا يعني الهجوم على الشعب . الأول عرضي متغير أما الثاني فدائم ثابت .. الحاكم يمثل نظاما سياسيا في لحظة تاريخية معينة .. أما الشعب فباق عبر التاريخ .

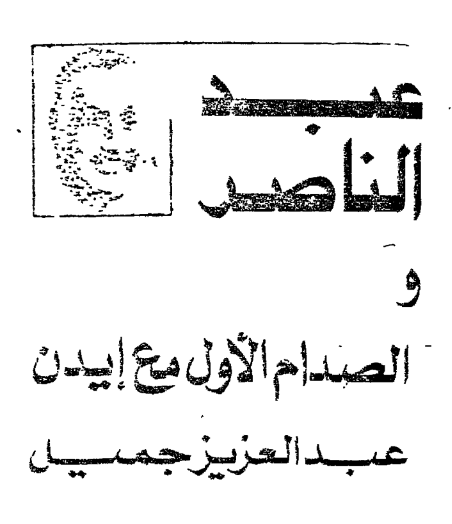
يدافع ناصر عن حرية شعب ايران ضد استبداد شاه ايران قائلا :

« اننا نؤيد شعب ايران في حركته من اجل التحرر حتى يكون هذا الشعب سيد نفسه لا مطية للاستعمار والصهيونية .. اننا نؤيد الحرية في كل مكان .. اننا نؤيد شعب ايران في قضيته من أجل الحرية ضد الاقطاع والسيطرة الأجنبية » .

وهذا هو السبب الذي من أجله عادى الشاه عبد الناصر الذي اتخذته الشعوب رمزا لحركة التحرر الوطني من الاستبداد والاستغلال .. يقول ناصر :

« وكنا دائما نتساءل لماذا هذا الموقف العدائي الذي يتخذه شاه ايران منا .. ولكن كان الجواب دائما سهلا يسيرا لأننا كنا دائما أيها الأخوة المواطنون نكشف أعداء الحرية ، ونكشف حكم الطغيان » .

وتغيرت أمور كثيرة في العشر سنوات التي تلت وفاة عبد الناصر بحيث تجعلنا نقول : انها دورة الزمان .



عبد الناصر و الصدام الأول مع إيدن

عبد العزيز جميل

بدأت حياتي العسكرية تلميذا وزميلا لجمال عبد الناصر ثم صديقا حميما له ، وكان أول قائد أعمل تحت إمرته . وظل هكذا طوال حياته . وكان هذا أعظم ما حدث لي وأعز ذكرياتي ..

وتبدأ القصة منذ يوم التخرج ..

اصطفينا في فناء الكلية الحربية . كل دفعة يونية ١٩٤٠ لنستمع الى أركان حرب الكلية يعلن كشف التوزيع ، والوحدات والأسلحة التي سوف نعين فيها ونبدأ حياتنا العملية ومستقبلنا العسكري .

وأذكر وأنا أقف فى الطابور فى يوم شديد الحرارة أننى تمنيت لو يكون من حظى العمل فى السودان ، وأن ألحق بوحدة من القوات المصرية المرابطة هناك .

لقد أمضيت طفولتى فى السودان ، وكانت طفولة سعيدة ، وكان والدى ضابط أركان حرب الكلية الحربية السودانية ، وذلك باعارة خاصة من الجيش المصرى .. وكان لنا أصدقاء وأقارب كثيرون هناك ..

وقد توفى والدى رحمه الله ونحن عائدون من القاهرة ، الى الخرطوم ، بعد الاجازة ، وقد وافته المنية فى وادى حلفا ، وكان علينا اما أن نعود الى القاهرة أو أن نواصل الرحلة الى الخرطوم ونصفى أمورنا هناك قبل العودة النهائية .. واختارت والدتى مواصلة الرحلة .. ولكن قوبلنا بعطف وحب غمرنا ودفعنا للبقاء وقتا أطول بكثير مما قدرنا .. وأصبح السودان وأهله وذكرياته جزءا عزيزا من حياتنا .

ولهذا تمنيت أن أعود للسودان ، ضابطا بالجيش المصرى مثل والدى .. وأن أقابل الذين أحاطونا بالرعاية والاكرام .. وأن ألتقى بمن عرفت وأحببت من أصدقاء الطفولة وأن نجدد الذكريات .

وافقت على أركان حرب الكلية ينادى باسمى ويعلن « الكتيبة الثالثة مشاة بنادق » .. وتبخرت أحلام السودان وأحسست بشىء من خيبة الأمل ، ولكن سريت عن نفسى بأن المستقبل طويل وقد أذهب يوما فى حركة تنقلات .

وانفض الطابور ـ وراح كل ضابط جديد يسأل عن مكان وحدته وموقعها ، وكان هناك أربعة خريجين آخرين وزعوا على نفس الكتيبة ، ولهذا ذهبنا نحن الخمسة نسأل عن عنوان الكتيبة .

وضحكت عاليا وقهقهت حينما كان الرد : « الكتيبة الثالثة مشاة بنادق فى الخرطوم » .

وصلنا فى النهاية للخرطوم ووجدنا فى استقبالنا ثلاثة ضباط مرحين ضاحكين قدموا انفسهم : زكريا محيى الدين .. عبد الحكيم عامر .. جمال عبد الناصر .. وقالوا لنا اننا وصلنا فى لحظة مناسبة لأنهم يحتفلون اليوم بحدث سعيد هو ترقية الملازم ثانى جمال عبد الناصر الى رتبة الملازم الأول ..

وأحسسنا بالود والألفة ، وروح الزمالة وسعدنا باللقاء ثم بالاحتفال فى الميس ، ودفع الكرم زميلنا الى أن يتبرع بما بقى من « البتاور » وبقدرة الزيتون للمساهمة فى الاحتفال .

ووجدنا « القومندان » لا يقل مرحا .. وكان ضابطا بدينا .. ياكل بحماس ويقول « ساكون أول من يصل الى رتبة لواء .. عندى كل المؤهلات .. كرش وعقل تخين ! » .

وجاء القائد وحيا المحتفلين ، ورحب بنا ثم خرج ، وعرفنا انه ضابط صارم صامت لم يتزوج ، وانه « عسكرى ناشف » يعيش الضبط والربط ، وروى لنا الضباط انه أضاف جريمة جديدة الى القانون العسكرى لم تكن موجودة من قبل أطلق عليها « شروع فى ضحك » ، وقد فاجأ ذات يوم ضابطا كتم ضحكة ازاء بعض الأوامر الشديدة فقرر احالته للتأديب وعوقب ! .

واحسست اننى فى الخرطوم ووسط هذه الصحبة وأن مستقبلى فى الجيش وغمرتنى السعادة .

وكان النظام فى الجيش يقضى بأن الضابط الخريج ويسمى « ضابط يك » يعين تحت امرة ضابط أعلى منه رتبة لكى يدربه على العمل و « النوبتجية » كما كان يسمى ، ويصبح هذا « ضابط عظيم » يدشن حياة مرءوسه العسكرية .

وتوجهنا فى صباح اليوم التالى الى مكتب القائد لنتلقى مهامنا الجديدة .. وأسماء الضباط « العظام » الذين سوف نعمل تحت امرتهم .. وحينما جاء دورى ودخلت قال لى القائد :

« انت سوف تعمل تحت امرة الملازم أول جمال عبد الناصر » .

ونظر الى فاحصا وسكت لحظة ثم قال « لقد اختارك بنفسه » قالها وكأنه يريد أن يهنئني على هذا الشرف .

وخلال الحفل كان أبرز شخصية بين الضباط الموجودين من كل الرتب ، وكان لا يقل مرحا ولكنه يبقى دائما محترما ومهابا ..

وحينما قدمت نفسى وأديت التحية العسكرية لم تكن هناك رهبة بل احساس بأننى أعرفه من قبل ، وأن العمل معه لن يكون « ضبط وربط » فقط .. وتذكرت حديثا شريفا كان يردده أبى « الأرواح جنود مجندة ما ائتلف منها ائتلف وما اختلف منها اختلف » وكان يردده حينما ينسجم أو يصطدم مع أحد زملائه أو قيادته ..

ورفع عبد الناصر الكلفة على الفور وطلب الى أن أجلس ، وبدأ يتكلم : « الحياة العسكرية هنا تختلف كثيرا عن الحياة العسكرية فى الكلية أو فى الكتب .. ويجب أن تفتح كل حواسك لتتعلم من التجربة والممارسة بقدر ما تعلمت من المحاضرات » .

وخرجت مع « الضابط العظيم » فى الليل فى دورية تفتيش على الدشم ، أى مواقع الحراسة حول الكتيبة ، وكانت الحرب العالمية الثانية تزحف على شرق افريقيا والسودان ، وكانت تعليمات الحراسة مشددة .. وبدأنا بأول « دشمة » وأهمها .. وكانت عالية تطل على الثكنات من ارتفاع بعيد .. وصعدنا السلالم .. وحينما اقتربنا من برج الحراسة استمعنا الى غطيط وشخير عال .. وكان بالطبع جندى الحراسة مستغرقا فى نوم عميق بحيث لم يشعر بنا بل ظل نائما ويغط ونحن نقف على رأسه ، وتأهبت لتنفيذ وتطبيق اللوائح العسكرية ولكن جمال عبد الناصر ربت على كتفى وقال « انتظر ولا تتكلم أو تتحرك » وتقدم هو بهدوء وسحب بندقية عسكرى الحراسة الذى واصل شخيره وحملها ونزلنا ..

وابتسم عبد الناصر وقال لى : « طبعــا ما فعلته انا غلط بالنسبة لكل ما تعلمناه فى الكلية الحربية ، ولكن اسهل شىء كان ان نوقظ الجنــدى بعنف ، وأن نوبخه وربما أن نشتمه ونسبه ـ كالعادة ـ ثم أن نطلب اليه أن يقدم نفسه للمكتب فى الصباح وأن يحاكم ويجازى ٠٠ ولكن أحب أن أؤكد لك اننا أحيانا نكون قد خسرنا جنديا بهذا الاجراء ٠٠ ان الجندى اذا لم تغفر له غلطته أو يكتفى بتأنيبه على الخطأ ٠٠ يعتاد الخطأ والجزاء ولا يعود يكترث به ٠٠ ويتبلد أو يتحول الى عنصر فاسد « فاقد » ولكن الآن سوف يستيقظ الجندى ولا يجد بندقيته وسوف يشعر بفزع لا يقل عن شعوره بالخجل وسوف يأتى فى النهاية ليبلغ عن فقد بندقيته ، فنلقى عليه درســا فى واجباته ومعنى محافظته على ســلاحه ٠٠ وننصحه بأن لا يكرر هذا حتى لا يفقد كرامته أمام زملائه وضباطه ٠ ولن يصدق ٠٠ وأغلب الظن ان الدرس سوف يرسب فى أعماقه وسوف يحرص على أن لا يرتكب خطأ ثانية » ٠

وحينما وجــد عبد النــاصر اننى اقتنعت تماما قال لى : « يا عبد العزيز ٠٠ العسكرى المصرى بياخد ٥٤ قرشا فى الشهر ٠٠ وعلشــان يحرس الخواجات والباشــوات ٠٠ ويموت علشــانهم كمان » ٠

وأحسست اننى لأول مرة ارى « النفر » كما كان يسمى الجندى بازدراء كبشر ٠٠ مطحون ! ٠

حدث كل شىء كما توقعـــه عبد الناصر تماما بل وأصبح « الجندى » من أفضل العناصر فى الكتيبة ، وأدركت منذ اليوم الأول لماذا كان هذا الضابط بالذات محبوبا من الجنود محترما من الضباط ٠

وتصاعدت الحرب فى شمال افريقيا وامتدت السنتها الى السودان ٠٠ وذات مســاء استأجرت دراجــة وذهبت للنزهة فى أم درمان ٠٠ وفوجئت بعد قليل بصفارات الانذار وبغارة جوية على

الخرطوم .. وعدت مسرعا الى الثكنات .. فقد كانت التعليمات تقضى « بالتواجد » والعودة فورا لدى حدوث أى غارة .

واستوقفنى رجال البوليس السودانى على حافة كوبرى يبعد قليلا عن الثكنات وعبثا حاولت اقناعهم أننى ضابط مصرى وأننى يجب أن أعود فورا الى موقعى ، وأصروا على أن أبقى وأن أنزل الى الخندق أيضا .. وثارت مناقشة حامية ، وفى النهاية اكتفوا بأن أقف معهم حتى تنتهى الغارة .

وفوجئت بأن رأيت طائرة تتجه نحو الثكنات المصرية ، وكانت دهشتى أشد حينما وجدت طلقات مدفع رشاش تنهمر ضد الطائرة وانها حولت اتجاهها وعادت بعيدا عن الثكنات .. كانت الأوامر صريحة مشددة بأن لا نشتبك مع اى طائرة مغيرة وأن ننزل جميعا الى المخابىء .

وعدت الى الثكنات بعد انتهاء الغارة وكان اول ما فعلت أن ذهبت الى « جمال عبد الناصر » استفهم منه عما حدث ، ولكننى وجدته فى نقاش عنيف مع القائد ، وعدد من الضباط يقف حولهما .. ووجدته ثائرا منفعلا يقول بأسلوب لا يخاطب به القادة « غارة على موقع مصرى فيه قوات وفيه أسلحة .. نرحب بها أو نرد عليها .. ولماذا يلقى بنا هنا .. اذن » ، وكان انحياز الضباط يبدو واضحا الى صفه .. ولا يجد القائد ما يبرر به لومه سوى « التعليمات » ، ولكنه أسرها فى نفسه واصر على أن تأخذ اللوائح العسكرية مجراها وأن يبدأ التحقيق مع جمال عبد الناصر .

وفى المساء جلسنا نستمع ــ كالعادة ــ الى راديو برلين ، كما كنا نستمع الى كل الاذاعات ، وكان هناك مذيع عربى عراقى مشهور يدعى « يونس البحرى » وقد أورد خبر الغارة فى النشرة ثم شفعها بتعليق « ان القيادة الألمانية تعتذر للقوات المصرية فى الخرطوم عن الغارة التى قامت بها خطأ طائرة ايطالية على الثكنات المصرية ..

وقد كان المقصود بها التكنات البريطانية القريبة ·· وبالطبع لن يتكرر هذا الخطأ ·· وموقف المانيا النازية مز مصر ومن القوات المسلحة المصرية لا يحتاج الى بيان » ·

وعلق جمال عبد الناصر ساخرا « متشكرين ·· المان طليان انجليز فرنساويين ·· مافيش فرق كلهم ولاد كلب عايزين يخلصوا على بعض علشان يحلوا محل بعض ·· واحنا الضحية » ·

لم يكن لديه أى أوهام فى هذا الأمر ··

وقد بدأ التحقيق مع جمال عبد الناصر ·· ولم يكن هناك من يريد أن يأخذ على مسئوليته ادانة أو مجازاة عبد الناصر ·· وأطلقنا على القضية « عبد الناصر ضد المحور » ، ولهذا أرسلت أوراق التحقيق الى قيادة اللواء التى أرسلتها الى قيادة الفرقة التى أرسلتها الى قيادة الجيش فى القاهرة ·· واكتشفت القاهرة أن هناك نقاطا لابد من استيفائها قبل مجازاة ضابط مصرى دافع عن ثكنات مصرية ضد طائرات مغيرة ·· فعاد الورق وأخذ دورة أخرى على نفس الجهات ، وعاد الى القاهرة التى طلبت مرة ثانية عدد الطلقات التى أطلقت وعدد الفوارغ المضبوطة ·

وظل ملف قضية « عبد الناصر ضد المحور » ينتقل بين القيادات حتى انتهت الحرب ، ونقلنا جميعا من السودان ·· ووزعنا على وحدات أخرى ·· وأصبح جمال عبد الناصر احد الضباط المرموقين فى الجيش المصرى وأركان حرب الكتيبة ·

وذات يوم استدعانى قائد الكتيبة التى كنا بها وقال لى :

ـ مبروك ··

ـ مبروك أيه يا أفندم ؟

ـ اتحكم على جمال عبد الناصر ·

ـ اتحكم عليه فى ايه يا أفندم ؟

ـ فى قضية ضد المحور ·· وضحكت ·

وقال ·· لابد أن يدفع ثمن الطلقات التى أطلقها من غير تعليمات ضمن التعويضات الألمانية ·

وطلب الى القائد الذى كان قائدا معروفا « بعسكريته » وشراسته ·· أن أحضر الملف ·· وكان قد تضخم خلال عدة سنوات من المراسلات ·· وطلب الى أن أتركه ليضيف الخطاب الأخير ·

وجلست الى مكتبى فى غرفة مجاورة ، وبعد قليل شممت رائحة دخان ، وخرجت أبحث فوجدته يتصاعد بكثافة من غرفة القائد ·· وجريت الى هناك فوجدته قد وضع الدوسيه كله فى جردل وأشعل فيه النار ·

وصحت :

ـ ايه ده يا أفندم ؟

ـ الملف ·· جمال عبد الناصر يدفع ثمن فوارغ ·· بذمتك ده جيش ؟

ـ حنروح فى داهية كده يا افندم ·

ـ داهية العن من اللى احنا فيها دى ··

وانتهت قضية « جمال عبد الناصر ضد المحور » ·

● ●

ولم يمنع استمرار التحقيق والمراسلات أن يرقى عبد الناصر الى رتبة اليوزباشى « ·· ولم يمنع أن يتقدم الضباط بمذكرة يطلبون فيها أن يعين جمال عبد الناصر مساعدا لأركان حرب الكتيبة ، وكان هذا منصبا لا يتولاه سوى ضابط برتبة صاغ ولكن الضباط أصروا على أن يعين فيه عبد الناصر ·· وتم لهم ما أرادوا ، وكانت أول مرة فى الجيش المصرى يعين « يوزباشى » فى منصب مساعد أركان حرب كتيبة » ·

أصبح عبد الناصر هو المرجع والحكم والميزان فى القضايا العامة والخاصة ، والصغيرة والكبيرة ، ولا يحسم فى شىء الا بعد

استشارته ومعرفة رأيه ‎٠٠‏ وكان دائما ، الرأى الصائب ‎٠٠‏ كان كثرنا علما وثقافة ‎٠٠‏ وكانت هوايته التى تطغى على كل الهوايات الأخرى هى الكتب والقراءة ‎٠٠‏ ولم يكن ممكنا أن نقضى ليالى الخرطوم الطويلة فى شىء أمتع من الجلوس اليه ، والاستماع لتلخيصه لآخر كتاب قرأه ، وكنا نعتمد عليه فى تثقيفنا وفى التحليق بنا فى عوالم وآفاق لم نكن لنتجه اليها أو نعرفها من قبل ‎٠٠‏ وكان يستغرق فى الاطلاع ‎٠٠‏ وننتظر نحن كما كان يقول عبد الحكيم عامر ‎٠٠‏ أن يعطينا الكتاب فى « برشامة » ، وحينما يكون عبدالناصر يعم الدفء والحماس ويتبدد أى ضجر أو ملل ‎٠٠‏ وكانت اهتماماته « الثقافية » وقراءاته متنوعة ، ولكن محور حياته كانت « السياسة » واذا ما كانت الليلة سياسية فلابد أن يغلى الدم فى عروقنا ، وأن لا ننام طوال الليل من الحرقة والألم ٠

ـ حملة هبكس باشا لم تكن حملة عسكرية لقمع التمرد ، ولكن وسيلة استعمارية وحشية للتخلص من فلول جيش عرابى ‎٠٠‏ لم يستطيعوا أن يحتملوا بقاء ولو عنصر واحد أو بذرة وطنية مختفية فى الجيش الذى كاد يهزمهم ‎٠٠‏ دبروا حملة هبكس باشا ، ولم يكن هناك مانع أن يقودها جنرال انجليزى وبها ضباط انجليز فاقدين ‎٠٠‏ وذلك حتى لا تثور شبهات ‎٠٠‏ ثم تنقطع أخبار الحملة ويعلن أنها تاهت وضاعت وأبيدت فى الصحراء ‎٠٠‏ حملة عسكرية بكاملها لا يعود منها أحد ‎٠٠‏ لماذا لا يجرى تحقيق تاريخى حول هذه الحملة ويقوم مؤرخ عسكرى أو مدنى ببحثها ويستقصى التفاصيل ويكشف ما حصل ٠

التاريخ الذى درسناه هذا ليس تاريخ مصر ولا تاريخ السودان ، ولكنه تاريخ اخترعه الانجليز لمصر والسودان ودرسوه لنا ٠

ثورة المهدى لم تكن ضد مصر أو المصريين ‎٠٠‏ كانت ضد الاستعمار وضد الأتراك والشراكسة ‎٠٠‏ كانت امتدادا لثورة عرابى

وضد نفس الأعداء ·· والمهدى كان يريد أسر جوردون باشا حيا لكى يفتدى به غرابى ·· ثورة المهدى كانت ثورة دينية وطنية ·· مهما كان انحراف المهدى بعد ذلك » ·

ـ الضباط المصريون هم الذين اكتشفوا منابع النيل ، وهم الذين بدأوا اكتشـــاف مجاهل افريقيا ، والأوربيون انتابهم فزع وأخذوا يتنبهون الى « الخطر المصرى » والاستعمار المصرى فى افريقيا ·

ومرة طلب ولى عهـد بريطانيا من الخديوى اسماعيل تعيين « صمويل بيكر » محافظا فى مديرية فى السودان ، ومجاملة له وافق ثم طلب منه تعيين جوردون حاكما للسـودان ووافق ·· وبدأت المصيبة من داخلنا ·

ـ العرب حملوا الحضارة والاسلام الى افريقيا ·· وانتشرت من شمال الى شرق الى غرب افريقيا وقامت ممالك ودول أكبـر حضارة من أوروبا ثم اتهموا انهم تجار رقيق ·· كل ما فعلوه هو اصطياد الرقيق ·· وحتى الآن يقولون هذا ·

ان أكبر تاجر رقيق فى التاريخ هو الملـكة اليزابيث ملـكة بريطانيا ·· ومؤسسة الامبراطورية ، واكبر سوق لتجارة الرقيق فى التاريخ كانت فى ليفربول فى بريطانيا ·

السردار الانجليزى قتل فى القاهرة ·· وكانت جريمة غامضة ما زالت أسرارها الكاملة غير معروفة الى الآن ·· وكثيرون يعتقدون ان الانجليز ضحوا به تماما مثـل الجنرال هيكس ، ولـكن طلب الانجليز طرد الجيش المصرى من السودان وزيادة الأرض المزروعة قطنا فى السودان وزيادة حصة السودان من مياه النيل ·· وأخيرا نصف مليون جنيه تعويضا لزوجة السردار ·

السيدة كان عندها ضمير اشمأزت ورفضت المبلغ وابتذال حادث زوجها ولكن طرد الجيش المصرى .. وسقطت أول وزارة وطنية فى مصر .

الاستعمار ليس لديه منطق .. أى شيء يبرر أى شيء .. الاسطول البريطانى قطع كذا ألف ميل من بريطانيا الى الاسكندرية ووقف أمام الإسكندرية ووجه مدافعه ولما بدأ الجيش المصرى يعد الطوابى والمدافع البحرية أرسل القائد البريطانى انذارا بأن مصر تهدد سلامة الاسطول البريطانى وانه سيضطر لضرب الاسكندرية لحماية الأسطول ..

.. وهكذا ..

ولهذا كان توفير الكتب لجمال عبد الناصر وتنظيم مكتبة عبد الناصر .. مهمة نتسابق جميعا اليها خصوصا عبد الحكيم عامر الذى كان « مريدا » متفانيا وكان ايمانه بعبد الناصر وحبه له بلا حدود .

وفى الصيف كنا ننزل ـ عبد الناصر وأنا ـ بملابس خفيفة .. بالقميص والبنطلون .. أما عبد الحكيم عامر فكان يصر بوصفه « ابن عمدة » على أن لا يسير حتى فى الصيف الا بطقم كامل .. بدلة وطربوس وربطة عنق .

وذات يوم وخلال جولتنا التقليدية فى العصر .. دخلنا مكتبة فوجدنا كتابا كان يبحث عنه من زمن .. وفرح به فرحا كبيرا .. وسأل عن ثمنه ، فقال صاحب المكتبة ١٢٠ قرشا ، وكان قد بقى معه خمسون قرشا ، وطلب ما معى من نقود .. ولم تكن تتعدى عشرين قرشا ، ولم يكن مع عبد الحكيم اكثر من هذا ، وفى ذلك الوقت كانت هذه مبالغ مناسبة مع ضباط صغار .. وأخفى عبد الناصر أسفه « وألمه » وضحك ، واعاد الكتاب وقال : « نأتى

لشرائه غدا » ٠٠ وظللنا نقلب في بعض الكتب الأخرى ونتغلب على خجلنا ثم استدرنا لننصرف ، ولم نجد عبد الحكيم ٠٠ وسألنى :

ـ اين عبد الحكيم ؟

ـ لا أدرى ٠٠

وأخذنا نتلفت هنا وهناك حتى رأيناه مقبلا وهو يلهث ٠٠ وقال :

ـ أين الكتاب ؟
ـ لماذا ؟
ـ سنشتريه ٠
ـ كيف ؟

وأخرج جنيها من جيبه وطلب الى صاحب المكتبة ان يلف الكتاب ٠

ولم نعرف كيف حصل عبد الحكيم على الجنيه الا حينما اشار الى رأسه ولم نجد عليها الطربوش « النسر » وكان اشهر ماركات الطرابيش ٠٠ لقد خرج وباع طربوشه وعاد بالجنيه حتى لا يحرم جمال عبد الناصر من كتاب يريده ٠٠
وقال له :

ـ ده انا شفت الدموع حتفر من عينك عليه ٠

● ●

وانا اعتقد ان كل من عرف عبد الناصر فى ذلك الوقت او فى اى وقت ، كان على استعداد لأن يفعل اى شىء من أجله ٠

وأذكر ذات يوم اننى قلت له « ان شاء الله لو تزوجت ٠٠ وان شاء الله لو خلفت ٠٠ وان شاء الله لو جبت ولد لابد أن اسميه جمال » ٠

وهو ما حدث ولكن بعد ذلك بسنوات ٠

ويومها رد عبد الحكيم قائلا « مش يجوز ·· عندنا حسابات كثيرة نصفيها ·· مش كده يا جيمى » ·

ورد ثالث « يجوز ·· نسوانا تطفش ·· طول النهار والليل مع جيمى » ·

والطريف أن جمال عبدالناصر كان أول من خطب فينا ·· وقد كانت خطيبته الأولى حسناء شقراء فارهة الطول وبارعة الجمال ، وكنا نغبطه ·· على سعادته ونفرح له ، وكانا يبدوان منسجمين تماما لبعض الوقت ·· وشجعناه وأيدناه ، وان كان على حسابنا وحساب لقاءاتنا ، وجلساتنا ، ولكن بعد قليل بدأنا نحس أن الحماس برد والعلاقات فترت ، وبدأت اجتماعاتنا تعود كما كانت ·· وما لبث أن أعلن لنا انه يراجع نفسه ·· وكان السبب كما قال :

ـ الملك ·· الكلام بخلص ·· مافيش اهتمامات مشتركة ··

وحينما أرسلنا من يستقصى الأسباب من الطرف الآخر قالت الخطيبة :

ـ أهم حاجة فى حياته السياسة ، وأنا مابافهمش حاجة ولا أعرف أتكلم فيها ·

● ●

وكانت القوات المصرية فى السودان تنقسم الى قسمين : قسم المحظوظين فى الخرطوم ، وقسم المنفيين فى بور سودان ·· والضباط أو الأفراد المغضوب عليهم كانوا ينقلون الى بور سودان ·· وكان هناك سريتان من اسوات المسلحة هناك ترابطان فى ثكنة قديمة من ثكنات الجيش المصرى أيام الخديوى اسماعيل ·

وبعد قليل وجدنا أنفسنا فى بور سودان ·· جمال عبد الناصر أصبح أركان حرب كتيبة وعبد الحكيم عامر وصلاح سعده وأنا ·· ولم نشعر بالنفى أو الغربة والوحشة طالما كنا معا ومعنا « جيمى » · ورتبنا برنامجا حافلا من الجلسات والمناقشات والرياضة ، وكان

« جيمى » يحب رياضة التنس والسباحة .. وكان القائد فى بور سودان بكباشى تركى قديم .. يعيش ليأكل ويشرب ، ويتفنن فى أنواع الطعام وفى الحصول على الخمور ، ويجيد الطهو بنفسه ، وكان أشهر الأطعمة بالنسبة اليه هى « الكفتة » حتى أطلق عليه الجنود اسم البكباشى على كفته ..

ومرت الحياة عادية .. ولم يخطر ببالنا أن أحداثا كبيرة ووقائع مثيرة يمكن أن تحدث فى هذا المنفى وأن نصبح نحن « أبطالها » :

مرة دخل علينا « على كفتة » متهللا يرقص فرحا :

ـ هل تعرفون من سوف يزورنا بعد ثلاثة أيام ؟

ـ من ؟

ـ تصوروا .

ـ هتلر !؟

ـ من نفس المستوى .

ـ تشرشل !؟

ـ تقريبا .

ـ تقريبا .. أحد من الأسرة .

ـ أنتونى ايدن .. تصوروا .. أنتونى ايدن بنفسه .

ـ وما علاقتنا .. هل سندخل الحرب ؟

ـ لا .. سوف يزورنا أنتونى ايدن وسوف يتفقد موقعنا قبل القوات البريطانية وقبل القوات الهندية ، وسوف يتناول المرطبات عندنا فى الجيش .

ـ يا مرحب ..

وانهمك « القائد » انهماكا مضاعفا فى الاعداد لحدث الأحداث هذا ، وأخذ يتودد الينا حتى لا تحدث أى هفوة تفسد أحلامه ·· وذات يوم قال لنا فى نشوة :

ـ أنتونى ايدن يستطيع طبعا أن يجعلنى « لواء » مرة واحدة !

ـ طبعا ·· ومارشال لو طلبت ·

وفى ليلة الزيارة قرر القائد تقديم العشاء مبكرا لكى ننام مبكرين ونصحو مبكرين ونكون فى أتم « اللياقة » لاستقبال الضيف العظيم ·· ولكن لدى الانصراف طلب الينا عبد الناصر ان نلحق به فى غرفته لأمر مهم ·

وذهبنا وكان على غير عادته حادا متجهما ·· وقال لنا مباشرة :

ـ هل تعرفون لماذا يزورنا أنتونى ايدن غدا ؟

ـ زيارة مثل كل الزيارات ·· يبدو أن المعارك سوف تشتد فى المنطقة ·

ـ ربما ·· ولكن الزيارة هى لسبب آخر ·

ـ ما هو ؟

ـ ايدن يتفقد الثكنات لأن الانجليز طلبوا اخلاءها لتقيم بها القوات البريطانية فى بور سودان ، وننتقل نحن الى الخيام ·

ـ وهل ترفض مصر أى شىء ·· مصر وافقت على كل حاجة ··

ـ وما العمل ؟

ـ ليس هناك غير عمل واحد ·· على جثثنا ·

وأفقنا على صدمة كهربائية ، وساد الصمت ·· وتابع هو كلامه :

ـ يطردوا الجيش المصرى من السودان ويرجعوا الجيش المصرى الى السودان ، ويسكنوا الجيش المصرى فى الثكنات ، وينقلوا الجيش المصرى للخيام ·· الجيش المصرى « ملطشة »

يفعلون به ما يريدون ‥ حتى ثكنات مصرية بناها المصريون من مائة عام يستخسروها فينا لكى ترتاح القوات البريطانية ‥ يأخذوها ‥ ولكن بعد آخر طلقة وعلى جثة آخر عسكرى مصرى .

ونظرت الى عبد الناصر فوجدت شخصا كأنما أراه لأول مرة ‥ تمثال من الجرانيت الصلب الملتهب ‥ ونظر الى هو بدوره ، وقال بلهجة لا تقبل الجدل :

ـ عبد العزيز ‥ تجهز الهاون والمدافع وتقوم بقياس المسافة بين الثكنات وبين بيت المحافظ البريطانى ‥ وبين المواقع البريطانية .

والتفت الى عبد الحكيم وقال :

ـ تجهز العربيات والسلاح والذخيرة .

وقمنا وادينا التحية العسكرية .

ـ تمام يا افندم .

وانصرفنا ‥ لكى نجهز « للمعركة » ، وقال عبد الحكيم :

ـ سيكون فيلما هائلا ‥ سريتان وثلاثة ضباط وامبراطورية ‥

ولم ننم طوال الليل ‥ لأن غدا سيكون يوما آخر .

وفى الصباح كانت كل الثكنات مستعدة تماما للزيارة ‥ ووقف جمال عبد الناصر أركان حرب القوة شامخا مشرقا بكامل الهيبة العسكرية يصدر التعليمات ، وهو يقف على الباب فى انتظار الضيوف ‥ ونحن حوله نقلب احتمالات المجهول .

ونظرت فلم أجد « على كفتة » ‥ وكانت هذه لحظته التى يحلم بها ‥ وسألت عبد الناصر :

أين يكون ؟

فقال لى :

ـ اسكت .

ولم يبق سوى دقائق على وصول الموكب ‥ وأعدت السؤال بشىء من القلق ‥ ورد عبد الناصر :

ـ لا تسأل ٠٠ اسكت ٠

ونظرنا الى بعضنا فى دهشة وسكتنا ٠

واهل الموكب حاشدا مهيبا وتقدم جمال عبد الناصر نحو ايدن ، وصافحه « ندا لند » وتدم نفسه أركان حرب القوة واعتذر لأن القائد مرض فجأة ٠٠ وانابه عنه فى الاستقبال ! ٠

وابتسم أنتونى ايدن ، وبدأ مفاجأ ، وربما معجبا بنائب القائد وضباطه الثلاثة ، وصافحنا بود شديد ، وكذلك فعل كل من معه ٠

وقاد جمال عبد الناصر وبجواره أنتونى ايدن الموكب داخل القشلاقات ٠٠ ولأن الاثنين من طول متقارب ، ولأن خطوتهما سريعة أيضا فقد سبقا الجميع بمسافة قليلة ٠٠ وانهمكا منذ الدقيقة الأولى فى حديث متبادل ٠٠ وكانت هناك طرق طويلة فى الثكنات سار فيها الموكب حتى يصل الى الطرف الآخر منها ، وأخذنا نتبادل الأحاديث مع باقى الضيوف ، وأخذوا يمتدحون نظام ونظافة الثكنات ، ويبدون اعجابا بنا وبالقوات المصرية عامة ٠٠ حتى تصورنا انه ربما كانت هناك غلطة ، وان المعلومات التى وصلت الى جمال عبد الناصر غير صحيحة واننا قد قضينا ليلة عصيبة بلا مبرر ٠

ونظرنا فوجدنا عبد الناصر وانتونى ايدن قد ابتعدا مسافة أطول عبر الطريق وقد استغرقا فى حديث بدا أنه عادى ان لم يكن وديا ٠

وفجأة ٠٠ وجدنا أنتونى ايدن يستدير الى الخلف ٠٠ ويعود ادراجه سريعا وبجواره عبد الناصر والاثنان صامتان ، لا يتبادلان كلمة ٠٠ ولم يلتفت ايدن لباقى الموكب الذى وقف مندهشا ، مستغربا ٠٠ واتجه فورا الى الباب الذى دخل منه وطلب السيارات للعودة ٠

وبدا أن أمرا خطيرا قد حدث ، واخذ الجميع يتبادلون نظرات التعجب والتساؤل ، ولكن لم يعرف احد شيئا ٠٠ واقترب الحاكم

العام البريطانى من ايدن بعد أن لحق الجميع به ولكنه كان مقطبا ولم يزد عليه .. وركب الجميع السيارات وعاد الموكب .

ووقف عبد الناصر هادئا باردا لم يبد عليه أى انفعال .. ولكن بابتسامة الذى رضى عما فعل .. وسألناه عما حدث فقال :

ـ قال أنتونى ايدن انه معجب دائما بمصر وبالمصريين وأن لها مكانة خاصة فى نفسه ، وأنه درس العربية والفارسية فى شبابه .. ويريد الآن تجديد معرفته بها .. وقال ان الجيش المصرى .. جيش ذو تاريخ .. وذو تراث كبير وانه قرأ كثيرا عنه ، وان المصريين والبريطانيين فتحوا السودان معا ، وان سلامة السودان وأمنه مهمة مشتركة بين المصريين والبريطانيين .

وبعد هذه الديباجة .. دخل فى الموضوع وقال .. هذه ظروف حرب تشتد يوما بعد آخر ، وتتحمل عبئها القوات البريطانية ، وقد نطلب اليكم طلبا صغيرا وتضحية فى سبيل هدفنا المشترك ، وهى أن تتخلوا مؤقتا عن هذه التكنات لتحتلها القوات البريطانية ، وسوف نوفر لكم كل وسائل الراحة فى مواقع أخرى ..

وفوجىء ايدن مفاجأة شديدة حينما رددت عليه وقلت .. أخشى يا مستر ايدن أن يكون هذا صعبا .. ونظر الى كمن لسعه ثعبان ، وقال : كيف ؟

ـ ليس من السهل اقناع قوات مصرية لكى تتخلى عن تكنات مصرية لتحتلها قوات بريطانية .

ـ ولكننا حلفاء .. وقضيتنا واحدة .

ـ اذن .. لماذا لا تتحملون التضحية أنتم .

ـ ولكننا نحارب .

ـ أنتم تحاربون فى سبيل قضيتكم ومصالح بلادكم .

ـ وفى سبيل بلادكم أيضا .. ان مصالحنا مشتركة .

ـ كيف تكون مشتركة يا مستر ايدن .. أنتم تحتلون بلادنا منذ ستين عاما بالقوة ولنا مطلب واحد هو الاستقلال .

ـ اننى أقدر مشاعرك وافهم مطالبكم ولكن سنبحث هذا كله بعد انتصارنا ‥ وبعد نهاية الحرب ‥ اننى متهم بالتحيز للعرب جميعا ‥ وللمصريين خاصة ٠

ـ ربما ‥

ـ والآن ‥ كيف السبيل الى اخلاء هذه الثكنات ‥ ومتى تستطيعون هذا ؟

ـ هناك سبيل واحد يا مستر ايدن ٠

ـ ما هو ؟

ـ القوة ‥

ولم يرد ايدن وبدا أن صاعقة نزلت فوق رأسه ‥ ولم ينظر الى واستدار ‥ وعاد ‥ والباقى رأيتموه ! ٠

وذهبنا لنستريح لحظات حتى تقبل الدبابات والقوات البريطانية لتحاصر الثكنات وتقتحمها ٠

وفجأة ‥ قال عبد الناصر :

ـ على كفتة ‥ نسيناه ٠

ونادى أحد صف الضباط وقال له :

ـ اتركه ‥ اطلق سراحه ٠

ـ يطلق سراحه ؟

وضحكنا حتى استلقينا على الأرض حينما عرفنا ان جمال عبد الناصر رتب مع أحد ضباط الصف واثنين من العساكر اعتقال القائد فى غرفته واغلاقها عليه ‥ من بعد العشاء حتى تتم الزيارة ٠

ولم يكن سوى جمال عبد الناصر فقط بعلاقته بالجنود وصف الضباط ليستطيع تدبير مثل هذا الاجراء ٠

وجاء على كفتة كالمجنون يصيح :

ـ مجلس عسكرى ‥ مجلس عسكرى ‥ فصل من القوات المسلحة ‥ والله العظيم فصل من الجيش وسجن ‥ مصيبة ‥ مصيبة ! ٠

ولم يكتـرث له احـد ·· كنا فى شـغل عنه بالاحتمالات الممكنة ، وقد توقعنا كل شىء وأى شىء ·

ومر يوم ويومان ولم يحدث شىء ·

ثم قامت الدنيا وقعدت واهتزت أسلاك التليفونات وانهمرت التلغرافات بين بور سودان والخرطوم والقاهرة · وتوافدت القيادات الكبيرة للتحقيق ·· وتجاوبت أصداء القصـة كل الوحـدات ·· يوزباشى مصرى تحدى ايدن ورفض اخلاء ثكنات بور سودان ·

وفى النهاية ·· استقر الأمر على أن نبقى فى الثكنات وعلى أن لا نخليها لكى تحتلها القوات البريطانية ، ولم يوقع على أى منا أى جزاء ·

وتقرر أن نظل فى بور سودان حتى تنتهى مدة خدمتنا فى السودان ·· وكان باقيا عليها اربعة اشهر ·

وللاسف عرفنـا بعد أن نقلنا الى القاهرة أن البريطانيين حققوا ما أرادوا واستولوا على الثكنات ·· ولم يكونوا يستطيعون هذا طالما كان جمال عبد الناصر هناك ·

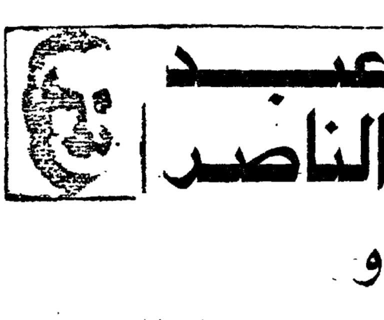
● ●

وفى سنة ١٩٥٥ ـ أظن ـ كان هناك عشـاء فى السفارة البريطانية تكريما لأنتونى إيدن ، وحضره جمال عبد الناصر ، ورأيته فى الصورة يجلس الى جواره وينهمكان فى حديث بدا حارا ووديا ·· تماما مثل حديثهما فى الطرقة ·

وبعدها بعام واحد ·· كانت حرب ١٩٥٦ ، وأعلن أنتونى ايدن ·· ان العدو الحقيقى هو جمال عبد الناصر ولا سبيل الا القضاء عليه ·

وسـقط ايـدن فى حـرب السويس وانتهت الامبراطورية البريطانية كلها ، ولم يكتب احد من المؤرخين ان هذه كانت نهاية مواجهة بدأت فى مدينة نائية هى بور سودان فى نوفمبر ١٩٤٩ ·

السفير : عبد العزيز جميل



الإستعمار الجديد

أبو سيف يوسف

منذ عشر سنوات اعتادت الجمهرة الغالبة من القوى الوطنية التقدمية العربية ان تتوقف مرتين كل عام لتحتفل بذكرى جمال عبد الناصر : مرة بيوم مولده ، والثانية يوم رحيله · وهذا أمر طيب ومطلوب ان نعترف بالجميل لصانعيه لا سيما اذا كان الأمر يتعلق بتكريم ذكرى هذا القائد الفذ من قادة حركة النضال الوطنى والاجتماعى فى الوطن العربى ·

وعندما نشير الى اهتمام قطاع واسع من القوى الوطنية والتقدمية العربية بالاحتفال بذكرى عبد الناصر فان الأمر لا يمكن

أن يتوقف عند حد « مجاملة القوى الناصرية » او حتى عند مجرد الاشادة مرة أخرى بالدور التاريخي الذى اضطلع به القائد العربي .

ذلك ان الوقوف عند هذا الحد ربما ساعد على تغذية دعاوى ودعايات مخططة تذهب الى أن الناصرية قد اصبحت من مخلفات التاريخ ، وان زوالها كحركة ، وكتنظيم سياسى ، ليس الا مسألة وقت .

ومن هنا يتحتم علينا ونحن نحتفل بذكرى ٢٨ سبتمبر ان نحاول اثبات بطلان هذه المزاعم وذلك بالتأكيد على ما تمثله الناصرية من حضور حقيقى ، أو « حضور نضالى » ، خصوصا فى الواقع الوطنى والقومى الراهن : واقع اشتداد جزر الحركة الثورية أمام هجوم امبريالى يستهدف فرض الهيمنة الأمريكية الصهيونية على مقدرات مصر والأمة العربية .

وعلى الرغم من أن لكل تعريف مخاطره فاننا نعنى « بالناصرية » هنا ــ وبشكل عام ــ الجناح الراديكالى والتيار الوطنى القومى التقدمى فى ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهو الجناح الذى قاده عبد الناصر ، والذى التزم فكرا وممارسة منذ بداية الثورة بربط النضال من أجل الاستقلال السياسى بالنضال من أجل الاستقلال الاقتصادى وذلك فى اطار رؤية استراتيجية تعتبر مصر جزءا من الأمة العربية ، ونضالها رافدا من روافد القومية العربية ، وانها مسئولة مسئولية خاصة بحكم تاريخها وموقعها ووزنها السكانى والحضارى عن تحقيق هذه الوحدة العربية .
من هذا المنطلق تطرح وجهة النظر التى يتضمنها هذا المقال على أساس الفرضية التالية :
بعد مجىء الضباط الأحرار الى الحكم فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وفى ظرف تاريخى محدد ، دخلت الثورة فى مواجهة متزايدة العنف والتعقيد مع قوى الاستعمار الجديد ، وفى هذه المواجهة حققت الثورة انتصارات ضخمة كما لقيت هزائم مريرة . وان دراسة

وقائع هذه المقاومة من شانها ان تجلو ـ وبكيفية خاصة ـ المضمون التقدمي للثورة التي قادها عبد الناصر ، وتبرز مكانها على خريطة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتؤكد على حقيقة ان الناصرية لم تزل تمثل تيارا رئيسيا قويا وفاعلا في مجرى حركة النضال الوطني والاجتماعي ، وانها بالتالي مدعوة الى ان تعيد طرح برنامجها في مواجهة الغزوة الاستعمارية الجديدة متحالفة مع كافة الفصائل الوطنية والتقدمية في الوطن العربي ٠

ان المنهج الذي يحكم هذه المحاولة يفرض أن نتعرف على :

١ ـ تصور أو رؤية الناصرية للاستعمار الجديد ٠

٢ ـ اتجاهات حركة يوليو لمواجهة الاستعمار الجديد ٠

٣ ـ ما تحقق من انجازات خلال المعركة ٠

٤ ـ ثم نختتم هذه المحاولة بطرح ثلاثة اسئلة والاجابة عليها ، وهي :

(أ) لماذا لم يستسلم عبد الناصر للاستعمار الجديد ؟

(ب) ما الحلقة المفقودة أو الضعيفة في موقف عبد الناصر من الاستعمار الجديد ؟

(جـ) الى أي حد يمكن ان تكون الناصرية مؤثرة وفاعلة في الوضع الراهن المحيط بمصر والمنطقة العربية ؟

اولا ـ رؤية الناصرية للاستعمار الجديد :

قبل أن نتعرف على تصور الناصرية للاستعمار الجديد يحسن ان نتفق على مفهوم الاستعمار الجديد ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى أن نحاول استكشاف اتجاه هجوم الاستعمار الجديد على نظام عبد الناصر ٠

(أ) يستخدم اصطلاح الاستعمار الجديد (نيوكولونيالزم) بمضمون محدد : وهو انه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية - في ظل توازن جديد للقوى الدولية والنهوض العاصف لثورات التحرر الوطني ٠ واتساع قاعدة القوى الديموقراطية في العالم لم يعد

فى مقدور الدول الامبريالية أن تتعامل مع البلدان الآخذة فى النمو بنفس الاساليب القديمة وبدلا من الاقتصار على استخدام العنف بوجهيه السياسى والعسكرى لجأت قوى الامبريالية الى اساليب أكثر مرونة تضمن بها مواصلة استغلال بلدان آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية وربطها برباط التبعية وذلك بما يؤدى الى حرف مسيرتها عن طريق التطور المستقل .

ويستخدم الاستعمار الجديد فى سبيل تحقيق هذه الاهداف:

- أدوات اقتصادية تتمثل اساسا فى تصدير راس المال فى شكل المعونات والقروض والتجارة الخارجية .
- ادوات اجتماعية تتمثل اساسا في جذب او تجنيد طبقة اجتماعية ، أو فئات طبقية ترتبط مصالحها بمصالح المستعمرين الجدد وتصبح شريكة لهم فى استغلال أوسع للجماهير الشعبية .
- أدوات ايديولوجية تتمثل فى استغلال الروابط الثقافية والدينية والتربوية والخبرة التقنية .
- أدوات عسكرية تتمثل فى الاحلاف والقواعد والتسهيلات العسكرية التى يحصل عليها المستعمرون من البلدان الآخذة فى النمو ، كما تتمثل فى نظم التسلح التى يفرضها الاستعمار الجديد على جيوش هذه البلدان .

وهذه الادوات قد يجرى استخدامها كلها فى آن واحد ، وقد يتم التركيز فى ظروف معينة على واحدة منها أو على بعضها (مثلا الأدوات الاقتصادية) لكن الخبرة العلمية للبلدان الآخذة فى النمو قد برهنت على ان المستعمرين الجدد لا يستبعدون من جدول أعمالهم نقطة استخدام العنف المسلح اذا ما نشأ موقف يوجب استخدامه ، وفى جميع الأحوال فان استخدام الأدوات المشار اليها لا يتخذ فى التطبيق العملى شكل ضغوط سياسية ودبلوماسية واقتصادية فحسب ، وانما يقترن فى العادة بشن الحرب النفسية واثارة الصراعات القومية والفتن الدينية والطائفية وبتنظيم شبكات الانقلابات ضد الأنظمة الوطنية .

وكانت مصر الثورة على راس الدول التى تعرضت لهجــوم الاستعمار الجديد ٠

منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وضح ان الولايات المتحدة الأمريكية خرجت من الحرب كأقوى هذه الدول وأغناها ، وكانت لها استراتيجية بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط ٠

أ ـ السيطرة على المنطقة تحت تأثير عاملين : الأهميــة الفريدة للموقع ، ووضع اليد على حقول النفط ٠

ب ـ الحلول محل الامبراطوريتين البريطانية والفرنســية فى مناطق نفوذهما بالمنطقة ٠

وكانت استراتيجية للضباط الاحرار بســيطة : تحقيــق استقلال مصر وتحديثها ٠

وعلى الرغم من أن جمــال عبد الناصر كان قد اعترف فى « فلسفة الثورة » بأنه كان يعرف ما يريد ولكنه لم يعرف الطريق الى تحقيق ما يريد الا انه من الثابت أنه كان يسترشد بعدد من الأفكار ٠٠ قليل لكنه يشكل نوعا من العقيدة الثابتة فى مقدمتها :

أ ـ الاستقــلال السيــاسى مشروط وجودا وعدما والاستقلال الاقتصادى ، وهذا بدوره شرط بناء القوة الذاتية ٠

ب ـ المدخل الى بناء القوة الذاتيه هو التصنيع وبدونــه يصعب العمل على رفع مستوى المعيشة وتحسين أوضاع الجماهير العاملة ٠

ج ـ مصر التى يشار اليها هنا هى مصر المنتمية الى أمتهــا العربية ٠

ولقد بدا أن قادة ثورة يوليو كانوا مستعدين للتعاون مع الأوساط الدولية التى تستجيب لمطالب هذه الاستراتيجية ، وكما نعلم فقد فضلوا فى البداية ان يتجهوا الى الولايات المتحدة الأمريكية والى المانيا الاتحادية ولم يستبعدوا ايضا بريطانيــا ، وفى ٣ اغسطس ١٩٥٤ صرح جمــال عبد الناصر لمراســل وكالــة الاسوشيتدبرس بان مصر تأمل فى الحصول على مساعدات أمريكية

مالية وفنية واقتصادية فى حدله السلم وأكد على أنه يحضل التعاون مع الغرب على التعاون مع الشرق .

وبالمقابل قدم الغرب وعده إلا أن الصراع بين النظام الجديد وبين الولايات المتحدة الأمريكية ما لبث أن ظهر قرنه . وفى وقت مبكر لقد أزعج الادارة الامريكية ما بدأت تلمسه من نزعات « الوطنيــــة المتطرفة » فى صفوف الضباط الشبان .

ففى ٥٣/١١/٢٩ أصدر مجلس قيادة الثورة قرارا بحظــــر التعامل وتداول الأغذية مع القوات البريطانية فى مصر .

وفى ٥٤/٣/٢٢ أعلن عبد الناصر أن الشعب المصرى مستعد لمواجهة الانجليز فى القناة . وكان النظام الجديد كما نعلم يفاوض، وفى الوقت نفسه يغذى ويشجع العمل الفدائى فى منطقة القناة ، الا ان هذا لم يلق قبولا حسنا عند المسئولين الأمريكيين .

وعندما زار فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا القاهرة أدلى فى ٥٤/٤/١٨ بتصريح يؤيد فيه الجلاء عن قناة السويس ولكن بالتدريج ، وبشرط ان يتم تنظيم الاشراف الفنى على قاعـــــدة القناة غير أن هذا بدوره لم يلق القبول الحسن عند النظام الجديد .

وفى ٧ اغسطس أعلنت القاهرة عن المؤتمر الاسلامى .

ثم صدر فيما بين وقعه عبد الناصر ونهرو بهجوم الاحــــلاف العسكرية ، وكان هذا بعد شهر من توقيع اتفاقية الجلاء مـــــع بريطانيا بالأحرف الأولى .

وفى ٣١ اغسطس فاجأ عبد الناصر الغرب بأنه يرفض أن تشترك الدول العربية مع الدول الغربية فى أى مشروع للدفاع عن الشرق الأوسط وبذلك ضرب حلف بغداد فى مقتل .

هنا تحركت الادارة الأمريكية لتمارس سياسة العصا الغليظة فرفضت تدعيم السلاح للنظام الجديد الذى اكتشف فيما بين ١٩٥٢ ـ ١٩٥٥ ان ثمن طلب المعونة العسكرية الأمريكية هو ان يسمح مصر للخبراء الأمريكيين بدراسة برامجها ومنشآتها العسكرية والداخلية

وان تنضم لحلف بغداد ، وأن تمتنع عن تنمية علاقاتها مع أوروبا الشرقية .

لكن عبد الناصر عد هذا كله انتهاكا فظا للسيادة الوطنية .

واقترن رفض تقديم المعونة العسكرية بتحريض اسرائيل ضد مصر ، فأدرك النظام الجديد أن الادارة الأمريكية تمارس الضغط عليه بوضعه تحت وطأة الابتزاز الاسرائيلى .

وفى ظل هذا الوضع اشتركت مصر اشتراكا فعالا فى مؤتمر باندونج واعلنت سياسة الحياد الايجابى ، وعدم الانحياز وهى السياسة التى اعتبرها وزير الخارجية الأمريكى دالاس سياسة « لا اخلاقية » .

وعقابا لعبد الناصر على ذلك قامت اسرائيل بهجوم مفاجىء على خمسة مواقع مصرية بقطاع غزة ، وكان ذلك فى ٥٥/٨/٢٨ .

وفى ٩/٢٧/من السنة نفسها ردت القاهرة بصفقة الاسلحة التشيكية .

وعلى الرغم من أن قيادة ثورة يوليو لم تكن قد فقدت الأمل فى اقناع الغرب بتقديم المساعدات الاقتصادية لمصر (وكانت الولايات المتحدة قد تعهدت بالاشتراك مع بريطانيا والبنك الدولى بتمويل السد العالى) الا أن هذا لم يمنع حكومة الثورة من أن تعقد فى ٥٦/٢/١١ اتفاقا لانشاء مفاعل ذرى وأن يوقع عبد الناصر فى ٥٦/٣/١٢ بيانا مع الزعماء العرب يعلن فيه رفض الأحلاف الأجنبية والتمسك بحقوق عرب فلسطين كاملة ، وتأييد الأردن ضد أى عدوان اسرائيلى ،ومطالبة فرنسا باستقلال الشعب العربى فى شمال افريقيا ثم يأتى ١٩ يوليو ١٩٥٦ لتعترف فيه مصر بجمهورية الصين الشعبية .

فى مواجهة هذه السياسة التى اعتبرتها دول الغرب معادية سحب فوستر دالاس فى ٥٦/٧/١٩ باسلوب استفزازى عرض تمويل مشروع السد العالى ، وكان رد النظام المصرى مباشرا

وصارما ففى ٢٤ يوليو ٥٦ اعلن عبد الناصر استقلال سياسة مصر الاقتصادية واتجاه البلاد الى التصنيع وفى ٢٦ يوليو اعلن تأميم قناة السويس ليستخدم ايراداتها فى التنمية الداخلية .

وردت واشنطن بتجميد الاصول المصرية وحاولت ان تفرض نظاما للاشراف الدولى على القناة والواقع ان الولايات المتحدة الأمريكية قد أزعجها ان المثل الذى ضرب به عبد الناصر بتأميم القناة بات يهدد بأن تغطى موجة التاميمات ابراج النفط فى المنطقة اى بضياع مصالح عمالقة النفط الأمريكيين الذين كانوا فى ذلك الوقت قد تمكنوا من وضع ايديهم مائة فى المائة على مصادر النفط فى المنطقة (وفى الوقت نفسه وبعد أن دفن عدوان سنة ١٩٥٦ على مصر عيبة بريطانيا وفرنسا وتحركت الولايات المتحدة لترث التركة فكتب دالاس رسالة سرية بعث بها الى الرئيس ايزنهاور يحذر من الأخطار التى تهدد المصالح الأمريكية محددا أنها :

« تأتى من نزوع البلدان العربية نزوعا لا راد له نحو الاستقلال (فهذا) سيؤدى الى تقوية القومية العربية وتدعيم هذه القومية من شأنه أن يصعد الكفاح ضد الاستعمار فى المنطقة وهذا هو الخطر الرئيسى على « الغرب » .

هذا الخطر حاولت واشنطن أن تستوعبه بما سمى « بمبدأ ايزنهاور » الذى اعلن عام ١٩٥٧ بأن الشرق الاوسط يعانى من فراغ فى القوة ويتطلب سد الفراغ :

١ ـ اعطاء رئيس الولايات المتحدة حق ارسال قوات أمريكية الى المنطقة كلما اقتضت الضرورة .

٢ ـ او العمل على عقد محالفات ثنائية ومتعددة الأطراف بين دول المنطقة .

لكن جمال عبد الناصر رفض الانضمام الى المشروع الأمريكى وحدد :

« سنملأ هذا الفراغ بانفسنا ، والحقيقة اننا فعلنا ذلك »

ومنذ ذلك الوقت دخلت المواجهة بين عبد الناصر والاستعمار الجديد مرحلة جديدة ·

ففي العام نفسه رفضت امريكا بيع القمح لمصر كما رفضت شراء القطن المصري وذلك عندما رفض عبد الناصر السماح لخبراء الولايات المتحدة بالتفتيش على الجيش المصرى وعلى الصناعات الحربية والمفاعلات الذرية ، اذ ذاك هدد مساعد وزير الخارجية الأمريكية ان الولايات المتحدة ستزود اسرائيل بمزيد من الأسلحة اذا وجهت مصر دعايتها ضد واشنطن ·

صحيح انه فى الستينيات وعلى عهد الرئيس كنيدى حاولت واشنطن ان تجمل صورتها أمام شعوب العالم الثالث ، وبالفعل ادخلت تغييرات كبيرة على اساليبها فاعلنت انها تتعاطف مع الحركات القومية للبلدان الآخذة فى النمو ، وانها تتجاوب مع نزوع هذه البلدان الى تنمية اقتصادها ، بل زادت على ذلك بأنها على استعداد لدعم القطاع العام فى البلدان التي يوجد فيها (وهو الأمر الذى عارضته بحزم على عهد دالاس وايزنهاور) ثم اهتمت اهتماما خاصا بزيادة المساعدات الاقتصادية لبلدان الشمال الافريقى ومن بينها مصر ·

غير ان اسلوب الاستيعاب او « سياسة الحدود الجديدة التى بشر بها كنيدى لم تكن – على الأقل فى حالة مصر الناصرية – بأحسن حظا من سياسة « العصا والجزرة » التى كرسها دالاس · ذلك ان المواجهة بين الناصرية وبين الاستعمار الجديد قد اصبحت بين قوتين لا سبيل الى التصالح بينهما · ومن ثم يتعين أن تقوم الواحدة منهما بنفى الأخرى · ومن هنا سوف لا نسترسل فى ذكر المزيد من التفصيلات المتعلقة بهذه المواجهة وانما سنكتفى – ونحن نتحدث عن تحول التناقض الى تناقض عدائى أن نشير الى اهم الوقائع ·

فواقع الأمر هو ان قيادة يوليو قد اخذت ترتاب فى جدوى المعونات والمساعدات الاقتصادية التى يقدمها الغرب ، ذلك ان الدول

الآخذة فى النمو أخذت منذ الخمسينيات تعانى من مجموعة العوامل المتشابكة .

« من ركود حاصلات السلع الأولية وعدم القدرة على تصدير السلع المصنعة على نطاق واسع ، وتزايد عبء الدين الخارجى ان هذه العوامل عددت بعرقلة مجهودات التنمية فى معظم هذه البلدان » .

« ثم كان أن وجدت هذه الدول نفسها معرضة لاغراء قبول المزيد من المساعدات والقروض وتدفقات رأس المال الأجنبى بغرض تغطية عجز ميزان مدفوعاتها ، ومن ثم تزايد ولوج معظم بلدان العالم الثالث « مصيدة الدين الخارجى » وبالتالى تزايد اعتمادها على قنوات التجارة والتمويل الدوليين التى تسيطر عليها مجموعة الدول الصناعية المتقدمة وبذا دخلت عملية التنمية فى العالم الثالث فى طريق مسدود ، ثم ان الخبرة العملية قد أوضحت بالمثل انه اذا كان البنك الدولى على استعداد لأن يمنح القروض فان موافقته على ذلك كانت مشروطة بأن يجرى البنك ـ قبل منح القرض ـ دراسة لا للمشروع الفنى المقترح فقط ولكن لاقتصاد البلد المقترض بأسره .

أما عن قروض البنك الدولى فيتم منحها بشروط قاسية من بينها أن يتم السداد بالدولار ـ كما انه يتدخل ليضع معايير السياسة الاساسية للبيان الضريبى فى البلد المعنى ، كما يقوم بتحديد طريق توزيع موارد الميزانية فيه ، ويحدد سياساته التسعيرية .

اذن اذا كان عبد الناصر قد استراب فى طبيعة المساعدات الاقتصادية الأمريكية فقد كان محصنا ضدها من منطق عقيدته الثابتة عن وحدة الاستقلال الوطنى والاستقلال الاقتصادى .

وفى الوقت نفسه لابد وان يكون قد طرح هذا السؤال :

ماذا أخذت مصر فعلا من المعونة الغذائية الأمريكية ان كشف الحساب كان أمام عبد الناصر .

في ١٩٥٧ كانت المعونة ٧ ملايين دولار ، ارتفعت الى ١٠٨ ملايين عام ١٩٦٠ وفي ١٩٦٤ ارتفعت مرة أخرى الى ١٦٤ مليونا ثم بدأت تنخفض فوصلت الى خمسة ملايين عام ١٩٦٧ والى صفر عام ١٩٧٠ .

وهنا لابد من الاشارة أيضا الى انه في منتصف الستينيات شرعت واشنطن تخفض — وبكيفية حادة — الشحنات الغذائية لمصر والجزائر . وكان هذا بعد فشل الضغط الامريكي على البلدين لتحويلهما عن مسارهما السياسي المستقل .

واستبق عبد الناصر الاحداث فقام بأكبر عملية تأميم في الفترة من ١٩٦١ — ١٩٦٤ مهاجما مواقع رأس المال الاحتكاري الأجنبي . وحدث ذلك بالطبع من منظور محدد : الشروع في تنمية البلاد تنمية مستقلة ، لكن ما حدث ظل في منظور واشنطن يحمل الخطر الداهم على المصالح الأمريكية في المنطقة ومنطقة الشرق الأوسط وغيرها أيضا .

يكفي على سبيل المثال أن نعلم

(أ) انه في النصف الأول من الستينيات (والتاريخ هنا مهم لأنه يقرب من حرب ٥ يونيو) أصبحت ليبيا خامس أكبر منطقة منتجة للبترول في شمال افريقيا والشرق الاوسط . وبحلول ١٩٦٨ تجاوزت ليبيا العراق والكويت لتصبح ثالث أكبر منطقة بعد السعودية وايران ، ومعنى ذلك ببساطة أي في ١٩٦٧ كانت الاحتكارات الأمريكية قد حققت سيطرتها على تسعة أعشار بترول ليبيا الرخيص الثمن والعالي الربحية هذا عن ليبيا في « الدائرة العربية » .

(ب) أما عن الدائرة الافريقية فتكفي الاشارة الى انه منذ منتصف الستينيات (ومرة أخرى نحن نقترب من حرب يونيو ٦٧) اشتد هجوم الاحتكارات الأمريكية على القارة الافريقية وتركز

نشاطها في أكثر المناطق غنى بالثروات المعدنية والبترولية (مناجم الذهب في جنوب افريقيا وبترول الشمال الافريقي وحزام النحاس في كاتنجا) .. وكانت الولايات المتحدة تستورد ٩٠٪ من انتاج افريقيا من الكوبالت أساسا من زائير ـ الكونغو ليوبلدفيل سابقا) وخمس انتاج للعالم الصناعي من المنجنيز ، وربع انتاجه من اليورانيوم (من زائير وجنوب افريقيا وجابون) ونصف انتاجه من الكروم (جنوب افريقيا وروديسيا) .

ان هذا كله يفسر بالطبع لماذا لجأت واشنطن الى القوة العسكرية لترث أو لتزيح مواقع الاستعمار البلجيكي المنهار في الكونغو ولكنها هناك وجدت مرة أخرى مصر الناصرية تقدم اسنادها للحركة الوطنية الكونغولية ممثلة في زعيمها باتريس لومومبا . وفي ذلك الوقت تنادت النظم الافريقية الوطنية التقدمية لتقديم المساعدة « للكونغو » ووقف الزعيم الغاني كوامي نكروما يوضح طبيعة المعركة التي يخوضها شعب الكونغو فقال : « على شعوب افريقيا ان تساند الكونغو في معركته فان معركة الكونغو استمرار لمعركة السويس . وقال : بعد السويس أدركنا جميعا أننا نستطيع ان نتحرك ونقدر على الوصول ».

مثل هذه الوقائع البارزة في المواجهة بين عبد الناصر والاستعمار الجديد تغني عن كل تعليق : ان التعايش في المنطقة العربية وفي القارة الافريقية . فكان لابد من ان يركز الهجوم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية على مصر باعتبارها القوة الرئيسية التي تهدد المصالح الامبريالية في المنطقة . وكان هذا يعني ببساطة تصفية نظام ٢٣ يوليو باستخدام كافة الوسائل التي تدرجت صعودا من الضغوط النفسية والمؤامرات الداخلية واستهداف حياة عبد الناصر وتوسيع معارك المؤخرة ضد مصر المنطقة العربية وباقامة محاور ضدها أو استنزاف جهودها ، حتى اذا فشلت كل أو بعض هذه الوسائل ، لم تبق من وسيلة غير اللجوء الى الحرب . وكانت.

وكان الاتفاق وتوزيع الأدوار كاملا بينها وبين ادارة الرئيس جونسون . وتم عدوان يونيو ليتزل هزيمة عسكرية ونفسية مريرة بثورة يوليو .

وعندما رفض عبد الناصر ان يستسلم واصلت واشنطن العمل على تكريس الهزيمة معتمدة على الدوام على قوة الردع الاسرائيلية من ذلك مثلا :

ـ انها حولت اسرائيل الى ترسانة هائلة للسلاح وضمنت بكيفية خاصة وعلى الدوام تفوقها فى الجو وشجعتها على مواصلة اعتداءاتها على مصر وسوريا والاردن .

فى الوقت نفسه :

ـ رفضت الادارة الأمريكية على عهد الرئيس نيكسون كل الجهود والمساعى الدولية التى بذلت من اجل تسوية النزاع العربى الاسرائيلى تسوية سياسية والتى قدمت من قبل الرئيس الفرنسى ديجول أو من قبل غيره كما حالت باستمرار بين هيئة الامم المتحدة وبين أن تصل الى هذه التسوية السياسية وظل نيكسون يطالب تارة بالمفاوضات المباشرة بين العرب واسرائيل وتارة يؤيد الاطماع الاقليمية لاسرائيل : ان تكون القدس كلها تحت السيطرة الاسرائيلية ، وأن تبقى اسرائيل فى المناطق الاستراتيجية وذلك طبقا لما جاء فى الورقة التى تقدمت بها الخارجية الامريكية الى لجنة الدول الاربع فى ٣ ابريل ١٩٧٩ .

كان من الواضح ان الولايات المتحدة الأمريكية قد صممت على الخلاص من النظام القائم فى مصر بكل الاسلحة : العدوان العسكرى محاولة فرض شروط اسرائيل . ارباك مصر بتعطيل حل المشكلة .

ترتبط نظرية الاستعمار الجديد عند عبدالناصر باستراتيجيته فى بناء « مصر المستقلة والحديثة » ويشكل مفهوم الاستقلال الاقتصادى جوهر هذه النظرية باعتباره شرط بناء القوة الذاتية فقد جاء فى الميثاق :

« وليس من شك فى ان التقدم الذاتى هو فى جوهره اعظم انواع الدفاع عن النفس ضد الاخطار المتربصة » ٠٠

وقد لخص تجربته فى قمع الاستعمار الجديد عندما حاول ان ينتزع الاستقلال الاقتصادى فقال فى احدى خطبه :

« ان المقـاومة ضد الاستعمـار الجديد تكشف امام الشعوب المستقلة يوما بعد يوم ان استقلالها السياسى لا يمكن تدعيمه بغير الاستقلال الاقتصادى ، وبغير جهود التنوير المتفانية » ٠٠

وتوجد علاقة جدلية بين استمرار البلاد أسيرة للتخلف وبين استفحال الخطر الصهيونى : قال فى خطاب له فى عيد الوحدة ٢٢ = ٢ ـ ١٩٦٢ ٠٠

« لقد تخلفنا طويلا عن العالم ، ان التخلف هو الشىء الوحيد الذى يضمن البقـاء لاسرائيل على ارضنا ٠ والخطر الاسرائيلى يتلاشى حتى قبل هذه المعركة الفاصلة اذا تمكنت الأمة العربية من ان تخلص نفسها من التخلف الذى فرضه الاستعمار عليها » ٠٠

وقصة الاستقلال الاقتصـادى لهـا على الدوام مضمون اجتماعى : فقال فى خطاب له فى ٢٩ ـ ٥ ـ ١٩٦٤ ٠٠

« ٠٠ ان النصر فى المعركة وآثاره الاجتماعية أكد أمام جميع الشعوب ان معارك التحرير السياسى لاتنفصل عن معارك التحرير الاجتمـاعى وان الاستقلال ليس علمـا ونشيدا ولكنه سيادة على التربة الوطنية بكل ما عليها وبكل ما فيها اى انه اقتصادى بأكثر مما هو سياسى » ٠

ثم اكد علىّ هذا المعنى فى مناسبة أخرى :

« ان شعوبنا لا تقنع بالاستقلال علما ونشيدا ، وصوتا فى الأمم المتحدة فحسب ، ولكنهـا تريد الى جانب ذلك أن يكون الاستقـلال مضمونا اجتماعيـا يصون كرامة البشر كمـا يصون الاستقلال كرامة ارضهم ٠٠ لكن عملية البناء الاقتصادى لاتستطيع ان تحمل عبئها الرئيسى الراسمالية المحلية لانهـا لا تستطيع ان

تنافس الاحتكارات العالمية الضخمة . فاذا ارتبطت بها وقعت في شراك التبعية وجرت بلادها الى هذه الهاوية الخطرة .

وتعرف البلدان المستقلة حديثا انها تخوض النضال من أجل الاستقلال الاقتصادى من حلف يضم الاعداء الثلاثة للثورة .. اما العدو الاول فهو الاستعمار القديم والجديد .والعدو الثانى هو اسرائيل التى تنبهت منذ وقت مبكر الى خطورة الثورة المصرية عليها خصوصا اذا مانجحت فى التحول العظيم من التخلف الى التقدم . أما العدو الثالث فهو القوى الاقليمية التى لا تريد لثورة يوليو ان تكون قادرة على التغيير الاجتماعى » . .

وهذا الحلف المعادى لتقدم البلدان المستقلة الحديثة يعمل اطرافه الثلاثة يدا واحدة ويوجههم مخطط واحد .

وهدف هذه الجبهة من الاعداء ثابت :

« هو وضع الارض العربية الممتدة من المحيط الى الخليج تحت سيطرتها العسكرية حتى تتمكن من استغلالها ونهب ثرواتها » ..

ومع ان جبهة الاعداء هذه تهجم فى كل مكان على الارض العربية الا أنها تخص مصر بأشد ضرباتها :

« ليه العدوان الخارجى مستمر علينا ؟ طبعا نجاح هذه الثورة يستلفت النظر فى المنطقة المحيطة بها فى انحاء العالم الثالث واذا ما استلفت النظر هذا النجاح ستحاول الشعوب أن تطبق فى بلادها انظمة تقضى على الاستغلال .

وهذا التناقض المتزايد الحدة بين مصر وبين الاستعمار يتخذ من جانب إعداء التقدم شكل مغامرات عنيفة تجسدت مرة فى حرب السويس ١٩٥٦ . . ومرة اخرى عام ١٩٦٧ فى الحرب التى سميت بحرب الايام الستة التى هى فى الحقيقة مقدمة لحرب لم تنته كما قال عبد الناصر فى خطابه فى مؤتمر العمال العرب فى ٢٩ ـ ١ ـ ١٩٦٩ . .

على ان عبد النـاصر كان يؤكد على حقيقة ان اعداء التنمية المستقلة موجودون فى الداخل ويمثلهم الحزب الذى يضـم اعداء التقدم والتطور . .

وربما كان من الصعوبة بمكان كبير ان نستعرض من هنا كل ما قال عبد الناصر عن ضرورة توفير الشروط اللازمة فى الداخل لانزال الهزيمة بهذا الحزب غير ان افكاره كانت تتجمع حول محاور اساسية :

● محور سياسى : ان تتجمع كل القوى التقدمية وتنظم نفسها وتتصدى عن طريق العمل السياسى لمحاولات القوى المعادية .

● محور اقتصادى : للدفاع عن القطاع العام والاسراع ببناء قاعدة الصناعة الثقيلة .

● محـــور اجتماعى : تحسين أوضـــاع الطبقـــة التى كانت « مغلـــوبة » على امـــرها والتى كانوا يعتبرونهـــا هـــم سلعا انتاجية وهى العمال والفلاحون ..

وكان على الرغم من ان مصر هى مركـز الثقـل فى هجـوم الاستعمـــار الجديد الا انة يتعين ان تخـوض مصر المعركة ضد الاستعمار العالمى على جميع الاصعدة السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية كما ان سيـــاسة مصر الدولية يجب ان تخدم اهداف التنمية لأن :

« عدم الانحياز يرتبط ايضـــا بمشـكلة الاســـتعمار الجديد والسيطرة السياسية والسيطرة الاقتصادية ويرتبط ايضا بمشكلة سياسات القوة التى تتبعها الدول الكبرى » .

ويؤكد عبد الناصر على البعد الدولى للمعركة مع الاستعمار الجديد .

« تشعر الثورة العربية انها لاتمارس دورها وحدها انهـــا تشعر انها تقف من التحالف العظيم لقوى الثورة المعادية للاستعمار والتخلف ، هذه الثورة التى تقف فيها حركات التحرر الوطنية الهائلة التى تجتـــاح آســـيا وافريقيـــا وامريـــكا اللاتينيـــة

جنبا الى جنب مع المعسكر التقدمى التى استطاعت ان تحقق انجازات سياسية واقتصادية وعلمية جبارة ٠٠

● ثانيا : اتجاهات التحرك فى مواجهة الاستعمار الجديد :

ان ما ذكرناه عن تصور عبد الناصر للاستعمار الجديد يوضح كيف تجمعت لديه من خلال المعارك التى دخلها من اجل الاستقلال الاقتصادى ، عناصر رؤية استراتيجية للنضال ضد هذا العدو الذى يريد فرض التخلف على مصر وعلى امتها العربية ٠٠ وفى ضوء هذه الرؤية فان المعركة تدور على المدى الطويل داخل اطار داخلى وعربى ودولى ٠٠

ووفقا لهذا المفهوم حددت الناصرية خط التحرك فى مواجهتها مع الاستعمار الجديد على النحو التالى :

● على الصعيد الداخلى :ـ

ان تنمية الثروة القومية يجب ان تستند الى التخطيط الشامل ٠ والى تأكيد القضاء على الاستغلال واقامة قاعدة للصناعة الثقيلة التى هى القاعدة الحقيقية للتقدم وتوفير العمل والتعليم والعلاج والخدمات لكل مواطن بفرص متكافئة وتحرير الاقتصاد من التبعية والبيروقراطية ٠٠

● على الصعيد العربى ٠

مساندة حركات التحرر فى الوطن العربى بكل الوسائل المتاحة ٠٠

مقاومة الاحلاف العسكرية والقواعد الأجنبية اينما وجدت على الارض العربية ٠٠

استعادة الثروات الطبيعية العربية من ايدى الاحتكارات الاجنبية ٠٠

تأكيد هوية شعب فلسطين ويتطلب تحرير فلسطين عملا سياسيا وعسكريا وهذا العمل مشروط ببناء القوة الذاتية ٠٠

● وعلى الصعيد الافريقى ٠

(١) التضامن مع حركة الثورة الوطنية والاجتماعيه فى افريقيا ضد الاستعمار الجديد والتسلل الاسرائيلى وضد العنصرية٠

● وعلى الصعيد الدولى :

(١) الالتزام بسياسه الحياد الايجابى وعدم الانحياز والبعد عن مناطق النفوذ ٠

(٢) الدفاع عن قضية السلم العالمى والتعاون مع جميع الدول والمساهمة فى ايجاد حلول للمشكلات والازمات الدولية التى تهدد السلم ٠

(٣) تاكيد مبدأ المساواة بين جميع الدول كبيرها وصغيرها واقامة العلاقات الاقتصادية والتجارية والعلمية والثقافية بين الدول على المنفعة المتبادلة والاحترام للسيادة الوطنية ٠

● ثالثا : الانجازات :

بالطبع ٠٠ ان اتجاهات التحرك لا نعنى ان تنفيذ الرؤية الاستراتيجية قد تم دائما بطريقة منزهة عن النواقص والاخطاء او أنه حقق كافة النتائج المتوقعة ٠ كما لا تعنى ان التحرك قد تم على كافة المحاور بنفس الكفاءة واليقظة المطلوبة ٠ او ان الادوات المستخدمة كانت دائما فعالة ومناسبة ٠

ومع ذلك فان تاريخا بأكمله من الانجازات قدكتب فى المعركة مع الاستعمار الجديد وسوف نشير الى اهم وقائعه ٠ ٠

● على المستوى السياسى :

ـ تمكن عبد الناصر من أن يملأ الفراغ الذى نتج عن تصفية الاستعماريين البريطانى والفرنسى فى اعقاب عدوان ١٩٥٦ ولم يدع الولايات المتحدة الأمريكية تأخذ مكانهما ونجح فى اسقاط مبدأ ايزنهاور ٠

ـ وكان تأكيد عروبة مصر فى مقدمة انجازات عبد الناصر فقد نص دستور ١٩٥٦ على ان مصر دولة عربية ذات سيادة وانها جزء من الامة العربية ٠

ـ وكان هناك حضور لعبد الناصر الى جانب حركات التحرر فى نحاء الوطن العربى وافريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية ٠

ـ وكان لعبد الناصر دوره التاريخى فى ايجـــاد حركة عدم الانحياز واغنائها بالممارسة والمضمون ٠

● على المستوى الاقتصادى : ـ

اهتم عبدالناصر بالتصنيع ونجح فى اقامة قرابة الالف مصنع كانت تغطى القـــسم الاكبر من احتياجـــات الشعب الاستهلاكية والكمالية الى جانب الصنـــاعة الثقيلة ٠ وقلمـــا كانت توجد فى الأسواق المصرية فى عهـــده مصنوعات أجنبية ٠ ولقـــد شملت الصنـــاعة : الحديد والصلب والادوية والاسمدة والبتروكيماويات والمنسوجات والمواد الغذائية المصنعة ٠

ولقد جعل عبد الناصر جميع وسائل الانتـــاج ملكية عامة للشعب في اطار القضاء على الاستغلال بكل مظاهره ٠

كذلك اهتم عبد الناصر بتطوير الزراعة واستصلاح الاراضى وكهربة الريف ٠ وكانت معركته المظفره فى بناء السد العالى واحدة من القمم الشامخة التى تشهد على شموخه ٠

وحتى تكتمل الصورة يحسن ان نتوقف عند المعـــارك التى دارت تحت اعلام القومية العربية وخط التعاون مع الدول التقدمية والافريقية ٠

على صعيد المنطقة العربية طرح عبد الناصر شعار القـومية العربية طرحا جديدا يخدم قضايا التحرر فى البلاد العربيـــة ٠٠ ويكسب قضية الوحدة العربية مضمونا اجتماعيا وتقدميا ، ولـم

يتوقف عبد الناصر عند طرح الشعارات بل لقـــد تم على الصعيد العملى ·

(أ) لم تهتم ثورة يوليو بقضية عربية مثل اهتمامها بقضـــية فلسطين · تكفى الاشارة الى حربى ٥٦ ، ٦٧ ، ونجحت الثـــورة فى ان تجعل من القضية الفلسطينية محور عمل مؤتمرات القمــــة العربية · كما نجحت فى أن تكسب لها تأييدا واسعا ومتزايدا فى اسيا وافريقيا · وفى ١٩٥٥ دعت الى انشاء قوة فدائية فلسطينية وعندما قامت منظمة تحرير فلسطين ألقت بثقلها الى جانبها ·

(ب) كانت مصر الناصرية تعمل على تجسيد شعار الوحدة العربية فى صورة مؤسسات : دولة الوحدة (الجمهورية العربيـــة المتحدة) أو دولة الاتحاد الفيدرالى (اتحاد الجمهوريات العربيـــة المتحدة الذى ضم مصر وسوريا والعراق ثم اليمن) ·

كما ان التعاون الاقتصادى اتخذ اشكالا ملموسة ·

وعلى سبيل المثال فى ١٩٦٣ وقعت مصر اتفاقية مع الجزائر لاقامة مصنع نسيج تبلغ تكاليفه ٨ ملايين جنيه · وايفاد خـــبراء لتشغيل ٨٠٠ مصنع بسبب هجرة المعمرين الفرنسيين · وتقديم ١٠ ملايين جنيه لتنفيذ مراحل بناء الدولة الجزائرية الجديدة ·

واتخذ التعاون الاقتصادى شكل اتفاقات تجارية للتعـــاون الاقليمى الع بى (٥٣ ــ ٦١) ، ووقعت فى ١٩٦٢ اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية واتفاق السوق العربية المشتركة الذى وقع فى القاهرة عام ١٩٦٤ ·

ثم لا ننسى اهم هذه المؤسسات الاقتصادية وهو مجلس الوحدة الاقتصادية العربية الذى نقل مقره من القاهرة بعد اتفاقات كامب دافيد ·

ولقد يقال ان بعض مؤسسات التعاون الاقتصادى العربى لم تكن معالة أو انها تجمدت بعد اعلان قيامها (السوق العربية المشتركة) . وهذا صحيح لكن قضية الوحدة العربية تظل قضية النضال الدءوب رغم كل السلبيات من أجل ترسيخ مبادىء التعاون السياسى والاقتصادى .

(جـ) وفى اطار الحديث عن القومية العربية كحركة معادية للاستعمار الجديد لابد من الاشارة الى ان عبد الناصر كان على وعى - ومنذ وقت مبكر - بأن المعركة مع الاستعمار الجديد فى الوطن العربى هى فى الجوهر معركة استرداد الشعوب العربية لثرواتها الطبيعية وفى مقدمتها النفط . من هنا شعاره « نفط العرب للعرب » وهكذا شهدت السنوات التالية لتأميم قناة السويس فى مصر وفى عنفوان صعود حركة التحرير العربى ، ثم بعد ذلك على امتداد الستينيات قيام الدول العربية المنتجة للنفط بانشاء مؤسسات وشركات وطنية للنفط . واستطاعت هذه المؤسسات والشركات ان تصمد فى وجه التحديات وان تتخطى العقبات لتصبح بعد ذلك ركيزة قوية للسيطرة الوطنية على الثروة النفطية » .

وفى الدائرة الافريقية احتدمت المواجهة بين مصر وبين الاستعمار الامريكى الجديد الذى اندفع نحو القارة ليرث دول الاستعمار القديم متعاونا مع اسرائيل والدولة العنصرية فى جنوب افريقيا ، ولم تتوقف ثورة يوليو عند احتضان شعار افريقيا للافريقيين بل قدمت المساعدات العسكرية لحركات التحرير الافريقية ودربت كوادرها وفيما بين ١٩٥٨ - ١٩٦٥ افتتحت حركات التحرير الوطنى أكثر من عشرين مكتبا لها فى القاهرة . وعملت مصر على افشال مؤامرات الاستعمار الجديد التى استهدفت للايقاع بين الدول الافريقية الواقعة على حوض النيل وعلى الرغم من ان التغلغل الاسرائيلى فى افريقيا كان قد بلغ حدا مزعجا للغاية تمكن اسرائيل من اكتساب عطف عدد غير قليل من الدول الافريقية الا ان عبد الناصر تمكن فى

مؤتمر الدار البيضاء (١٩٦١) من انيقنع ممثلى الدول الافريمية الحاضرين بادانة اسرائيل كأداة للامبريالية والاستعمار الجديد لا فى الشرق الأوسط بل وفى افريقيا واسيا .

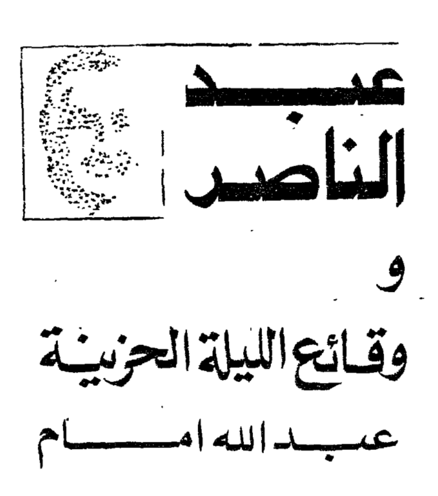
واخيرا ، فقد لا يقل اهمية عن المعارك التى أشرنا الى بعضها ذلك الميراث الذى خلفه فى الفكر السياسى عن الاستعمار الجديد .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى كان من انجازاته البعيدة المدى أنه نجح فى غرس اصطلاح الاستعمار الحديد فى الأدب السياسى المصرى والعربى كما نجح فى كشف طبيعته وأهدافه فى مصر والمنطقة العربية .

ان جوانب اخرى فى تاريخ عبد الناصر وتجربته تحتاج الى مزيد من الأضواء والدراسة ، ولسوف تصدر كتب كثيرة عن هذه الشخصية الفذة التى اعطت الكثير للنضال القومى العربى وحركات التحرر الوطنية فى انحاء العالم ، ولسوف يكون عبد الناصر مؤثرا فى حركة التاريخ فى هذه المنطقة الحيوية من العالم رغم كل التطورات التى حدثت بعد وفاته .

وهذا ما يراه المعلق الفرنسى بيير روندو فى كتابه « مستقبل الشرق الاوسط » اذ يقول فى الصفحة ٢٤٤ من الطبعة العربية الصادرة فى بيروت .

« ان زوال عبد الناصر لن يحل المسألة الشرقية كما يظن الغرب اذ ان هناك أسبابا أبعد وأعمق وأبرز هذه الاسباب دولة اسرائيل التى برزت ضد رغبة أبناء البلاد انفسهم وبغض الاستعمار والحذر من الغرب لكثرة ما ارتكب من أخطاء ، هذه الأسباب كلها ستجد فى الشرق العربى دوما وابدا من يفضحها وستحوذ على عطف الجماهير العربية لمحاربتها . وسيجد العالم نفسه كل يوم فى بلاد العرب ازاء ناصر جديد يعمل ضد الاستعمار وربيبته اسرائيل ويقود العرب نحو التحرر والقوة والوحدة » .



ـــ كانت الجماهير العربية على امتداد الوطن العربى كله تموج فى الشوارع باكية منتابة عقب سماعها نبأ غياب القائد والزعيم جمال عبد الناصر كانت هناك أحداث أخرى تجرى فى منزل الرئيس بمنشية البكرى طوال الأيام الثلاثة منذ يوم وفاته حتى يوم تشييع الجنازة .

لم يكن سهلا أن يتم اختيار مبنى مجلس الثورة لخروج الجنازة .. فقد رشح أكثر من مكان .. وخرجت لجان من الوزارة تعاين حى الأزهر لتكون الجنازة من هناك .. ولكن رجال الأمن

اعترضوا .. لم يكن سهلا اختيار مكان الدفن .. فقد وضع مشروع لتحويل المنطقة كلها الى متحف لثورة يوليو .

وعندما جاء دور اختيار خليفة الرئيس .. برز دور حسين الشافعى الذى حاول عرقلة الاختيار بشتى الطرق .

ولكن اللجنة العليا قررت أن يكون خليفة عبد الناصر هو انور السادات تطبيقا لما ورد فى الدستور ، وقال السادات بانه سوف يحكم من خلال المؤسسات لأن الفراغ الذى تركه عبد الناصر لا يمكن أن يشغله فرد واحد وان التزامه الأساسى هو الميثاق وبرنامج ٣٠ مارس على نحو ما سجل فى وثائق مجلس الأمة فى ذلك الوقت .

كان هناك اشخاص يصنعون الأحداث ويشاركون فيها وآخرون بعيدين تماما عن الصورة .

حسن التهامى مثلا لم يعلم بوفاة عبد الناصر الا كأى مواطن عادى رغم أنه كان فى قصر القبة يحتفل بليلة الاسراء والمعراج .

وعندما وجد نفسه بعيدا اتصل بوزير الداخلية ليلة تشييع الجثمان ليخطره بانه جاءه هاتف يقول له ان الجثمان سوف يخطف ! .

الصورة التى نعرفها جميعا هى حشود البشر وطوفان الدموع الذى أغرق الوطن العربى عقب سماع النبأ .

وليلة اذاعة النبأ باتت المدن العربية ساهرة باكية حتى الصباح .

وفى منزل جمال عبد الناصر كانت الصورة مختلفة لقد عاد الرئيس مرهقا بعد توديع أمير الكويت .. قال له كل الذين كانوا من حوله .. لا داعى لأن تودع الأمير مادمت غير قادر .. ولكنه أصر على ان يكون وبنفسه فى وداع الأمير .

وجاءته السيارة ــ على غير العادة ــ حتى ممر الطائرة وتحامل على نفسه .. حتى عاد الى بيته .

خلع ملابسه وارتدى البيجامة وتمدد على الفراش ، وكان

الى جواره مجموعة من الأطباء على راسهم منصور فايز ورفاعى كامل ٠

وكان واضحا أن الأطبـاء يحاولون جهدهم وقد فقـدوا كل الأمـل ٠

وفى منزل شعراوى جمعة دق جرس التليفون ٠ وكان المتكلم هو سامى شرف ٠٠ لقد اتصل به فؤاد عبد الحى ، يأور الرئيس ، وطلب اليه أن يحضر مع شعراوى فورا الى منزل الرئيس ٠

ومر سامى شرف على شعراوى وحملتهما سيارة واحدة الى منزل الرئيس ٠

ولم يتكلم احد وانما فيما من الجو فى المنزل أن ثمة طارئا رهيبا يحدث ٠

وصعدا الى غرفة الرئيس ، ولم يكن بها أحد غير الأطباء ، وكان الرئيس ممددا على فراشه بالبيجامة ٠٠ وتوصيلات كهربائية تحيط بجسمه ٠

وانتفض جسم الرئيس وظن الحاضرون انها الحياة تدب فيه ، ولـكنها كانت الصدمة الكهربائية ولحظـات بعدها ٠٠ ثم انسابت الدموع من عيون الأطباء ٠

وخرج الجميع من الغرفة ليتركوا جثمان عبد الناصر لأسرته تلقى عليه نظرة الوداع ٠

وفى هذه الاثناء وصل محمد حسنين هيكل وزير الاعـلام ورئيس تحرير جريدة الأهرام ٠٠ وعلى صبرى ٠

ثم وصل حسين الشافعى وانور السادات والسيدة زوجته ٠٠ كان واضحا انهم جميعا لم يعلموا بالنبأ ٠٠ وان من اتصل بهم طلب اليهم الحضور لمنزل الرئيس لأنه مريض ٠

وجاء أمين هويدى ، وتأخر الفريق محمد فوزى فى الحضور ٠

وانهارت السيدة الجليلة حرم الرئيس ٠٠ كان البكاء يتصبب من عينيها ٠

وأمسكت السيدة الجليلة بيـد شعراوى جمعة صارخة ٠٠ ماتولى جمال ٠

فى قصر القبة كانت الصورة مختلفة ايضا ..

كان وزير الدولة ، حسن التهامى ، قد أقام احتفالا بمناسبة الاسراء والمعراج حضره كل العاملين برئاسة الجمهورية .. ودعى للحديث فيه الشيخ احمد حسن الباقورى .. الذى كان يجلس على المنصة بصحبة حسن التهامى والدكتور حسن صبرى الخولى .

ويقول د. حسن صبرى الخولى الذى علم بالنبأ من ابنه الصديق لأولاد عبد الناصر ، ولأنه يسكن فى منزل مقارب لبيت الرئيس .. كما علم أن أفرادا معينين من الذين يحضرون احتفال قصر القبة ، يهمس شخص فى أذن أحد منهم .. فيخرج ولا يعود .. وخرج اكثر من عشرة اشخاص فرادى ولم يعودوا ، ولم يلفت ذلك نظر أحد .

فقد استمر حسن التهامى يخطب .. واستمر الشيخ الباقورى يتحدث عن الاسراء والمعراج .

وعندما كانت جثة جمال عبد الناصر تدخل قصر القبة كان الجالسون فى القاعة يصفقون للشيخ الباقورى .

فى بيت عبد الناصر جلس الوزراء الذين قدموا .. فى حالة ذهول .

وتنبهوا الى أنهم يجب أن يتغلبوا على أحزانهم ويفعلوا شيئا ..

اقترح حسين الشافعى دعوة أعضاء مجلس الثورة القدامى .

ورفض الاقتراح .. فقد ترك عبد الناصر مؤسسات دستورية قائمة .

هناك مجلس الأمة .. ومجلس وزراء ولجنة مركزية للاتحاد الاشتراكى ولجنة تنفيذية عليا .. وعلى هذه المؤسسات أن تتحمل المسئولية .

وجلس هيكل يكتب البيان الذى استقر الرأى على أن يلقيه أنور السادات من الاذاعة ..

فلم يكن هيكل قد اتصل . كوزير للاعلام . بالاذاعة

والتليفزيون وطلب أن يقتصر على اذاعـــة القرآن الكريم دون ان يعطى أى تفسير .

وظلت كل موجات الاذاعـة وقنوات التليفزيون تبث القرآن الكريم دون أن يعرف أحد داخل هذين الجهازين ما الذى حدث .

وعلى الفور تقرر أن يبعد جثمان عبد الناصر عن منزله تهدئة لأعصاب أسرته .

وبحث عن مكان تنقل اليه الجثة فاقترح أن تنقل الى قصر القبة ، فهو الوحيد المجهز بثلاجة ضخمة يمكن أن تسع الجثمان .

كان اهتمام عبد الناصر الأول باعادة بناء القوات المسلحة ، وكان يدفع الوزراء الى أن يزوروا رجال القوات المسلحة ويجلسوا معهم وينقلوا اليهم نبض مصر ويعملوا على حل مشاكلهم .

وكان تواجد الوزراء فى الجبهة أمرا طبيعيا ..

وفى هذا اليوم كان عـدد من الوزراء قد انتهوا من زيارة الجبهة فى الاسماعيلية وتوجهوا لزيارة القوات المسلحة فى مدينة بور سعيد .

ويقول سعد زايد ، انه كان معه فى بور سعيد ، صدقى سليمان وكمال هنرى أبادير وحافظ غانم .

« واستدعى صدقى سليمان من بور فؤاد لأن القاهرة تطلب عودة الوزراء فورا .. وأثنـــاء عودتنا كنا نخمن سـبب هـذا الاستدعاء » .

وفتح سعد زايد راديو سيارته ، وكان معه فى نفس السيارة حافظ غانم وكمال أبادير .

« لاحظنا ان الاذاعات كلهـا لا تذيع الا القرآن ، واخذنا نخمن .. لم يخطر ببالنا اطلاقا اننا سوف نسمع بعد لحظـات البيان الذى ألقاه أنور السادات .. عندما سمعنا النبـأ كانت سياراتنا قد تخطت مدينة المنصورة .

وفى لحظات وجدنا الآلاف على الطريق .. وفى الشوارع . وطوال الطريق وحتى سراى القبة ، التى وصلناها الساعة

الثانية بعد منتصف الليل ، كانت الجماهير تزحف فى الشوارع من هول الصدمة صارخة باكية غير مصدقة .

كان الجثمان قد نقل الى قصر القبة وكنت مصرا على ان القى عليه نظرة الوداع الأخيرة .. ومنعنى الحرس .

وطلبت من رئيس الحرس أن يحقق لى هذا المطلب فوافق .

دخلت الصالة الكبيرة .. كان الجثمان ممددا فوق منضدة ومغطى بملاءة بيضاء ..

كشفت الغطاء .. قبلته .. وذهلت .. كانت على وجهه ابتسامة صافية ساكنة لم اتصورها .

وحدث بعد دفن جمال عبد الناصر .. أن قال لى الدكتور عبده سلام وزير الصحة :

« سوف اقول لك أمرا غريبا لم أره فى حياتى .. لم ار أبدا ميتا مبتسما هذه الابتسامة العريضة الا جمال عبد الناصر » .

وقلت له :

— حدث لى نفس الشىء .. لقد مات راضيا .

عقد مجلس الوزراء اجتماعا مشتركا مع اللجنة التنفيذية العليا فى مصر الجديدة .

وكان جدول أعمال الاجتماع غير معد سلفا .. ولكن البحث دار حول عدد من النقاط :

● موعد الجنازة وعنوانها .

● أين يدفن جمال عبد الناصر .

● اصدار بيان من المجلس واللجنة العليا بمنجزات عبد الناصر .

● كيف يدور العمل بعد وفاة عبد الناصر . وفقا للدستور .

وفى البداية استدعى المجلس النائب العام ، على نور الدين ، واستمع الى تقرير من الأطباء عن سبب الوفاة .. وناقشهم فى التقرير ..

قال الدكتور منصور فايز : « اننا بذلنا كل جهودنا ولكنه قضاء الله » .

وكان هناك حديث طويل حـــول مرض جمال عبد الناصر وصراعه الطويل مع المرض .

بعد مؤامرة الانفصال قرر الأطباء ، لأول مرة ، أن جمـال عبد الناصر مريض بالسكر .. وانه يمكن السيطرة على المرض اذا ضبط انطعام وضبط المجهود وضبط الانفعال .

وقال عبد الناصر .. انه لا يمكن أن يسيطر على انفعالاته .. ومع المعارك التى خاضها كانت مضاعفات السكر تزداد .. حتى قرر طبيبــه الخاص ، لصاوى حبيب ، أن مضاعفات السكر قد احدثت تاثيرا في شريان القدم اليمنى وآلاما شديدة فى أعصاب الساقين .. وكان عبد الناصر يكظم الألم الشديد وهو يسير .. ولكنه لم يسترح .

وعندما ذهب الى موسكو عام ١٩٦٨ قال له الأطباء .. ان شرايين الساق اصيبت بالتصلب نتيجة مضاعفات السكر ومنعوه عن الترف الوحيد فى حياته ، وهو السجاير . وطلبوا منه أن يعود الى العــلاج .. وذهب مـرة ثانية ليقضى ثلاثة أسـابيع فى تسخالطوبو .. وعاد الى مصر على أمـل أن يواصل علاجه بعد ثلاثة شهور . ولكنه رفض أن يعود للعلاج .. فقد شغل فى حرب الاستنزاف .. وقال : « كيف أذهب للعلاج واولادى يموتون » .

وجـاء الدكتور شازوف وزير صحة الاتحـاد السوفيتى مع مجموعة من خبراء القلب .. ونصحوه بالراحة التامة .

ولكنــه لم يســترح .. كان امامه مؤتمر الرباط ، وزيارة لليبيا .. وامضى اربع ساعات فى ليبيا واقفا داخل سيارة جيب وسط جموع البشر .

وقرر الأطباء أن يرغموه على الراحة .. ولكن غارات العدو جعلته يعاود العمل .

وجاءه الدكتور شازوف مذعورا لمـا يقوم به ، وطلب اليه أن يبقى شهرا فى راحة تامة .. ولكنه رفض .. ووقف بعدها أمام

المؤتمر القومى يشرح مبادرة روجرز ، واحس ان الاعضاء لم يقتنعوا .. فعقد اجتماعا ثانيا وثالثا .

وبعدها قرر أن يذهب الى مرسى مطروح للراحة وأمر بالا يتصل به أحد .

وتفجرت الأزمة فى الأردن .. ولم يرسل اليه احد اية تقارير ..

وجاءه معمر القذافى فى اليوم التالى ، وسمع أنباء الأردن .. وقرر ارسال الفريق صادق برسالة الى الملك حسين .. ثم انضم اليه معمر القذافى وجعفر نميرى .

وعاد الى القاهرة .. بعد ان وجه الدعوة لعقد مؤتمر القمة .. وفى الطريق كان يرتب لعقد المؤتمر من تليفون سيارته .. ولم يسترح الا بعد أن أوقف نزيف الدم فى الأردن .

اقترح حمدى عاشور داخل مجلس الوزراء أن تخرج جنازة جمال عبد الناصر من الأزهر .. حيث دوى صوت جمال سنة ١٩٥٦ ، باننا سنقاتل ولن نسلم ابدا .

وشرح المعانى الكبيرة وراء خروج جنازه من مسجد الأزهر ..

واقترح شعراوى جمعة أن تخرج الجنازة من مبنى مجلس قيادة الثورة أحب الاماكن الى قلب جمال عبد الناصر ، والمكان الذى شهد اخطر وأعم قرارات ثورة يوليو فى بدايتها .

وشكلت لجنة لدراسة مكان خروج الجنازة من شعراوى جمعة وحمدى عاشور وأمين عويدى وحسن طلعت .

وقبل الفجر بلحظات كان الرجال الأربعة يطوفون بشارع الأزهر ..

ووقفوا أمام المسجد يتناقشون .. وعرفهم الناس .. فصاحوا فى وجوههم صارخين « هاتوا جمال عبد الناصر » .

ذهبوا الى وزارة الداخلية ، وهناك قال حسن طلعت ، مدير المباحث العامة ، انه لا يمكن السيطرة على الجنازة فى هذا الشارع الضيق ، وان اجراءات الأمن لحماية الرؤساء والملوك الذين

سيشاركون فى الجنازة سوف تكون مستحيلة فضلا عن أن أغلب بيوت الشارع قديمة يمكن أن تنهار من ضغط الزحام .

واستبعد اقتراح اخراج الجنازة من مبنى مجلس الثورة .

فى لحظات حسمت اللجنة الشرعية المشكلة برئاسة الدكتور لبيب شقير ، وعضوية ضياء الدين داود وحافظ بدوى المسألة الدستورية .

فالدستور واضح أن ينوب نائب رئيس الجمهورية عنه أثناء غيابه ..

لذلك فان أنور السادات نائب الرئيس ينوب عن الرئيس فى تولى مهامه ..

واقترح انور السادات ان يبقى ليكمل مهمة الرئيس نائبا .. وقائما بالعمل .. ولكن الاغلبية لم توافق .. لماذا يظل الأمر مؤقتا اذا كان الدستور ينص على ذلك ، ولابد أن تكتمل المسيرة فى ظل سيادة القانون وسيادة المؤسسات الشرعية .

واذا كان اعضاء المجلس المشترك قد اتفقوا على شكل نظام الحكم بأن يتولى انور السادات المسئولية فقد اختلفوا حول صيغة البيان الذى يمكن أن يصدروه ..

اعترض كمال رفعت .. وكان اعتراضه خاصا بقضية الديمقراطية ..

واعترض حسين الشافعى .. وكان اعتراضه خاصا بقضية الاشتراكية ..

تلاعبوا اعترض على كلمات فى صياغة البيان ، وتقرر حسم لكل المناقشات أن تصدر هذه البيانات بعد ذلك عن اللجنة المركزية أو اللجنة التنفيذية العليا .. وقد حدث ذلك فعلا .

تقدم سعد الدين الشريف الى المجتمعين باقتراح عكفوا على دراسته ..

الاقتراح كان يقول بان يدفن عبد الناصر فى المسجد الجديد الذى تقيمه جمعية أبو بكر الصديق فى منشية البكرى ..

وكان للاقتراح عدة أسباب : أولها .. أن المسجد قد انتهى اعداده تماما .. وأن عبد الناصر قد ساهم فيه من اموال التبرعات التي كانت ترد الى رئاسة الجمهورية ، وكان دائم السؤال حول العمل فيه .. والمسجد قريب من مبنى القيادة ، وفى نفس الموقع الذى كان يقف فيه جمال عبد الناصر ليلة الثورة .. وهو أيضا مجاور منزله .

وتمت الموافقة على الاقتراح بعد دراسته .. ولم يكن هناك أى تفكير فى نقل جثمان جمال عبد الناصر من هذا المدفن الى مدفن آخر .

كان التخطيط ان يفتح شارع أمام المسجد داخل الكلية الفنية العسكرية بحيث يرى القادم من شارع صلاح سالم مسجد جمال عبد الناصر .. وأن يتحول مبنى القيادة المجاور الى متحف لثورة ٢٣ يوليو .. وبهذا يكون فى موقع وسط يرى من كل الاتجاهات .. وتتحول المنطقة كلها بعد أن يعاد تخطيطها الى مجمع لثورة يوليو ..

ووضع المشروع كاملا .. ولكنه لم ينفذ طبعا ..

وكان المسجد بعيدا .. بعيدا عن النقطة التى ستخرج منها الجنازة .. لذلك فقد احتاج الأمر الى دراسات خاصة بالأمن .

تقرر أن يعهد بأمر أمن الجنازة الى القوات المسلحة .. وتكون الشرطة معاونة ومساعدة لها .. وأن تسير الجنازة الرسمية فقط من مبنى مجلس الثورة حتى مبنى الاتحاد الاشتراكى .. ولكن ذلك لم يحدث .. فقد اختل توازن الأمن نظرا لضغط الجماهير .. ولم يكن ممكنا السيطرة الكاملة على الجنازة .

فقبل الجنازة بيومين ، وعندما أعلن عن مكان قيامها ، احتلت الجماهير حديقة الحرية المواجهة لمبنى مجلس قيادة الثورة .. وسدت الجماهير جميع الطرقات .. وامكن نقل الجثمان من قصر القبة الى مبنى القيادة بالطائرة .. ولم يتمكن كوسيجين من أن

يصل الى مقر مجلس القيادة ليشارك فى الجنازة الا عن طريق انش فى النيل ٠

وكما سدت الجماهير الطرقات الى الشوارع التى ستسير فيها الجنازة ٠٠ فان الناس ساروا فى تجمعات ، ومظاهرات ابتافات فى جميع شوارع العاصمة وبعض المدن الأخرى ٠

ليلة الجنازة اتصل حسن التهامى بوزير الداخلية ليؤكد ان لديه معلومات مؤكدة بأن هناك خطة محكمة لاختطاف جثة جمال عبد الناصر اثناء سير الجنازة ٠

الخطة وضعها بعض اعضاء الطرق الصوفية ٠٠ وسوف يشترك فى تنفيذها القادمون من الريف ، بعد ان اتفقوا على ذلك ٠٠

أما سبب خطف الجثة ٠٠ فهو الطواف بها فى شوارع القاهرة والصلاة عليها فى كل مساجد العاصمة ٠

وجاءت عربة مصفحة ٠٠ وثبت النعش فيها بجنزير من الحديد ٠٠ واحكم الجنزير بحيث لا يمكن أن يفلت منها ٠

ووجد المسئولون أن ضغط الجماهير أقوى من الحديد ومن كل الاستحكامات ٠٠ فوضعت على الفور خطة بأن تسير الجنازة كما هى ٠٠ بينما ينتقل الجثمان بسيارة الى الجانب الآخر من الطريق ٠٠ كان الجثمان يسير فى اليمين ٠٠ والمشيعون يسيرون فى اليسار ٠٠ وبعض المسئولين الذين يعرفون هذه الحقيقة يهرولون وراء الجثمان ٠٠

فقد كانت التعليمات مشـددة لرجال القوات المسلحة بأن يحافظوا على وصول الجثمان سليما مائة فى المائة ٠٠ ولم تكن بالمهمة السهلة ٠٠ وسط طوفان البشر الذى شارك فى الجنازة ٠٠ والذى تغلب على كل القوات المسلحة ٠٠ وعلى جميع رجال الشرطة ٠٠

الأحداث التى وقعت فى تلك الأيام ٠٠ وبعدها لا يمكن أن تفسر الا على ضوء واقعتين :

● الأولى : المذكرة التي ارسلها اعضاء مجلس الثورة الى انور السادات نائب رئيس الجمهورية وطلبوا فيها عودة مجلس الثورة ليقوم حكم مجلس الثورة من جديد .

● الثانية : تفسر خروج الناس وراء عبد الناصر وتمسكها بقيادته ..

عند المقبرة ، وبعد الدفن ، جاءت امرأة عجوز .. فقيرة .. تزيح رجال الشرطة والمسئولين وتصرخ في وجوه الوزراء وهي لا تعرفهم .. ولكنها تبكي وتقول « فايتنا لمين يا اخويا » .

تعبير شعبي دارج .. ولكنه يحمل مضمونا اجتماعيا .. فهذه المرأة كانت تعيش بأمل الغد .. والمستقبل الأفضل .. وكانت مطمئنة الى ان وجود عبد الناصر سوف يحقق لها ما تريد .. وما تأمله .

واقعة ترددت كثيرا حول نبأ سوف يذاع في نشرة الساعة الخامسة .. كان عبد الناصر يريد سماعه .. ولم يسمع النبأ ..

هذه القصة نشرها محمد حسنين هيكل في مقاله . وكان النبأ موضع تساؤلات عديدة .

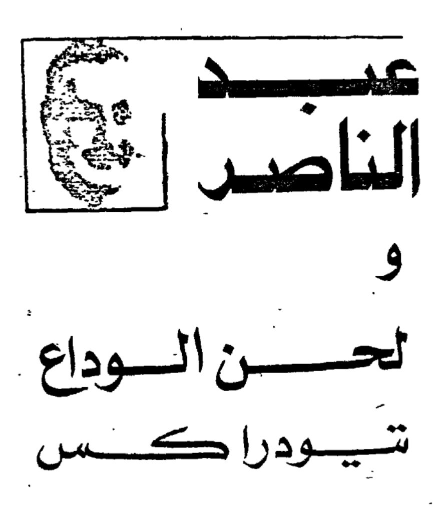
والواقعة نفسها لم يسمع بها أحد .. ولقد جاء هيكل متأخرا .. وبعد وفاة عبد الناصر .. واذا كان قد سمع هذه الكلمات من بعض أفراد أسرته .. وهو أمر لم يثبت .. فان الاحتمال الأرجح ان يكون النبأ حول وصول الملك حسين للاردن .

فقد جاءته أنباء بأن هناك محاولة لنسف طائرة الملك حسين في الجو ..

وكان يخشى ان يكون ذلك صحيحا .. لذلك كان متلهفا على سماع نبأ وصول طائرة الملك حسين سالمة الى عمان .

وقد وصلت الطائرة سالمة بالفعل الى عمان .. ولكن جمال عبد الناصر لم يسمع النبأ .. اذا كانت هذه الرواية صحيحة ..

رحمه الله .. فقد فقدته مصر وفقده العرب والعالم كله .



كما أجمع رأى العالم كله .. شرقه وغربه .. يمينه ويساره .. على أن رحيل جمال عبد الناصر المفاجىء حدث سياسى دولى مهم وانعطاف تاريخى خطير ! .

كذلك أجمع رأى الدوائر الدبلوماسية والاعلامية وكتاب التاريخ .. على أن جنازة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ظاهرة ربما لن تتكرر فى حياة شعب من الشعوب ! .

ومن هذه الزاوية وتلك الأسباب كان اجتماع عدد كبير من ابرز زعماء العالم ورجالاته للمشاركة فى وداع عبد الناصر حتى

مثواه الأخير .. وكان « ميكس تيودوراكس » واحدا منهم .. وفى هذا اللقاء مع الموسيقار والمناضل اليونانى الكبير يروى انطباعاته الفنية والسياسية عن تلك الساعات المثيرة التى عاشها خلال مسيرة الوداع الجماهيرى لعبدالناصر .. وعن قصة « لحن الوداع » الشهير الذى استلهمه من فيض الحب ونشيج البكاء وهدير الهتاف الذى انبعث من أعماق القلوب التى عاشت أمجاده وانتصاراته ونضاله الصلب الشجاع حتى الموت ! .

تيودراكس ليس غريبا عن مصرولم يكن بعيد الصلة عن جمال عبد الناصر .

لقد كانت أمنيته الشخصية التى طالما عبر عنها هى أن يزور الاسكندرية التى شهدت مرحلة ازدهار الحضارة اليونانية ، وتألق الاسكندر الأكبر .. وبعض أقارب وأصدقاء تودور اكس والمعجبين بفنه والمؤيدين لنضاله يشكلون غالبية الجالية اليونانية فى ربوع مصر .. وخاله مسيو « بولاكس » كان قنصلا عاما لليونان فى الاسكندرية .. وكم حدثه فى طفولته عن جمالها وطيبة شعبها ومرحه ! .

وتيودوراكس كانت تربطه صلات سياسية بعبد الناصر ، رغم أنه لم يلتق به فى حياته .

ذلك أن تيودوراكس كان رئيسا للجبهة الوطنية اليونانية ، وكان يمارس من خلالها نشاطا سياسيا واسعا بنفس حماسه الفنى .. فى مواجهة الحكم العسكرى فى اليونان .

ولم يكن نشاط الجبهة الوطنية اليونانية وما يجرى من

تطورات سياسية فى اليونان آنذاك ببعيد عن مشاغل عبد الناصر واهتماماته ٠

لقد كان عبد الناصر رجل دوله ، ورجلا دوليا فى نفس الوقت ٠٠ وما يحدث فى أى مكان فى العالم يقع مباشرة فى بؤرة اهتماماته ، لأنه وعى أن العالم الحديث كل متكامل بشعوبه وشئونه وقضاياه ٠٠ واليونان ليست فقط جزءا من هذا العالم ٠٠ بل هى ايضا عضو فى مجموعة الدول المطلة على البحر الأبيض ٠٠ فضلا عن وجودها فى قبرص ، وصلاتها التاريخية بمصر ٠

ومن هنا كان تأييد ودعم ثورة ٢٣ يوليو للحركة الوطنية اليونانية فى نضالها من أجل التحرر من السيطرة الامبريالية التى حاولت أن تكبل الشعب اليونانى بالقيود وتنتزع منه حريته ٠

ولتيودراكس مكانته السياسية والفنية العالمية ٠٠ ومن الطبيعى أن تختلف أحاسيسه وانفعالاته عن غيره ازاء مسيرة الوداع الأسطورى للزعيم الخالد ٠٠ فماذا يقول تودوراكس ؟! ؟

● ●

« ناصر » كان يمثل بالنسبة للحركة الوطنية والتقدمية فى اليونان ابرز واهم رموز الزعامة فى حركة التحرر وحركة عدم الانحياز ، وكان « ناصر » دوما مؤيدا ونصيرا سياسيا وماديا وعسكريا لكل حركة تحرر فى اى مكان من العالم ٠٠ « ناصر » كان فى مواقفه ونضاله من أجل المبدأ ٠٠ يجسد فى العصر الحديث صفات القديسين وأصحاب [illegible] الات الكبرى التى جاوزت حدود أوطانهم ٠٠

ولذلك عندما سمعت بخبر وفاة « ناصر » وكنت فى المنفى

« باريس » لم أصدقه .. وكنت أود ألا أصدقه .. خسارة هائلة وفجيعة أن يفقد جيلنا هذا الزعيم الشجاع ونحن أحوج ما نكون اليه في ظروف وصراعات العالم المعاصر .

ومن هنا كان قراري بالتوجه فورا الى القاهرة لمشاركة الشعب المصري في محنته التي هي محنتنا جميعا .. والتي مازالت محنتنا منذ رحيل « ناصر » ! .

ان ما يجمع بين الشعب المصري بشكل خاص والشعب العربي عامة ، وبين الشعب اليوناني ، ليس فقط صلات التاريخ والجغرافيا والسمات المشتركة فحسب ، ولكن ايضا ، وهو الأعم ، اننا جميعا في جبهة مواجهة الوان السيطرة الأجنبية التي تهدد أمننا وأمنكم .. أمن الشعوب العربية .

وعندما وضعت موسيقى فيلم (زد) - والحديث مازال لتيودوراكس - كنت أعبر عن وحدة حركة التحرر في العالم كله .. أعبر عن قصة الزعامة والحكم وانتصار الشعب .. أعبر عن مشاعر ٢٠٠ الف يوناني كانوا يعيشون خارج اليونان الذي تحكمه الطغمة الديكتاتورية ..

ناصر منذ حركة السويس عام ١٩٥٦ وما بعد ذلك .. ضرب لأول مرة المثل امام كل الشعوب في العالم الثالث في أن تحافظ على استقلالها وحريتها وفرض احترام سيادتها على دول العالم الكبرى .

لهذه المعاني النبيلة (والمبادىء التي جسدها) « ناصر » جئت الى القاهرة وعشت لحظات وداعه مع شعبه العظيم .. وأستم

تسألونني عن انطباعاتي السياسية واحاسيسي الفنية خلال جنازته المهيبة .. وانا أختلف معكم في وصفها جنازة .

كان وداع « ناصر » مسيرة سياسية .. منظمة .. انتفاضة شعبية لاعلان التصميم على مواصلة النضال الذي بداه .. كانت استفتاء شعبيا على مبادئه .. لقد غمرني شعور عميق آنذاك .. أن الاربعين مليون مصري كلهم ناصر .. وان المائة مليون عربي كلهم ناصريون .. وان الانسانية والتقدم والحرية اضاف ناصر الى تراثها وتراثها لبنات ولبنات .. ومن يحاول أن يقضي على ناصر عليه أولا أن يقضي على كل انصاره وكل ما شيده في ضمير الانسانية الشامخ .

ذلك كان انطباعي بعد دقائق من مسيرة موكب وداعه الروحي المهيب .. ويستوقفني ان المسألة لم تكن بالنسبة لي عاطفية .. وانما هي قصة سياسية بالدرجة الأولى وموضوعية بنفس الدرجة ..

اما عن الانطباعات التي ترسخت بعد انتهاء الاحتفال الاسطوري بوداع « ناصر » .. فهي انني اشعر ، عن يقين ، أن حزن الجماهير وعمقه لا يمكن أن ينسيهم « بناصر » ، وما خلفه وراءه من تراث نضالي وسياسي وفكري ، يمثل الضمان لوحدتها الوطنية والقومية .. لاستقلالهم وحريتهم .. ولسيرهم في طريق التقدم دائما ..

ورغم انني لا اعرف العربية .. فان ملامح الناس وحركتهم ونبرات اصواتهم ولهفتهم كانت تعبر عن قلقهم بعد موت الرئيس العظيم ، لأنهم يعرفون أن قوى معادية معينة تحاول بكل الوسائل

ان تنتهز فرصة غيابه عن الساحة للانقضاض على الثورة .. ولذلك كان احساسى بالمشاعر الانسانية التى أبداها الشعب نحو زعيمه بمثابة اعلان لكل تلك القوى المعادية ، وخاصة اسرائيل وامريكا . ان الشعب المصرى موحد .. ليس حول رجل ميت ، وانما حول مبادىء رجل لا يموت ! .

وينتقل الحديث من الأجواء السياسية فى مسيرة وداع جمال عبد الناصر .. الى انطباعاته عنها كفنان ..

يشرد ذهنه لحظات ، وكأنه غاب بوعيه عنا الى يوم وداع عبد الناصر .. ثم يقول :

« هناك عشرات الألحان والسيمفونيات التى خلدت للبشرية سير الزعماء ولحظات وداعهم .. وأنا لا اجد بينها على الاطلاق ما يعبر ، أو يكاد يعبر ، عن تلك الأمواج البشرية الضخمة .. شعاراتها واناشيدها ودموعها التى صاحبت مسيرة وداع ناصر فى شوارع القاهرة .

لقد شهدت فى حياتى عشرات المسيرات الضخمة والجنازات التاريخية ، خلال الاحتلال النازى لليونان عام ١٩٤٢ ، خرج الشعب فى مظاهرة سياسية ، كنت أظن انه لا نظير لها فى ضخامتها وهيبتها ، وكانت تضم ٢٠٠ الف مواطن .

وفى عام ١٩٤٥ كانت هناك مظاهرة تضم ٤٠٠ الف يونانى يهتفون فى حدة وحماس وعداء للانجليز والأمريكان .

وفى عام ١٩٦٣ شهدت مظاهرة الوداع الشعبى لفقيدنا البطل

« لامبراكس » الذى صور فيلم (زد) قصة حياته .. ثم بعد ذلك خرج نصف مليون مواطن فى اثينا لوداع جثمان للزعيم باباندريو .

وتوقف تيودراكيس لحظات للمرة الثانية وغاب بوعيه عنا .. ثم عاد يقول :

صدقونى .. عندما اقول ان ما رايته فى مسيرة وداع جمال عبد الناصر كان شيئا مختلفا تماما عن كل ما شاهدت من جنازات ومظاهرات .. لقد اثارت دهشتى الى ابعد الحدود وايقظت كل حواسى وملكاتى الفنية .. ولا اعرف أن هناك عملا موسيقيا معروفا يمكن ان يعبر عن مشاعر الشعب المصرى التى جاشت فى ذلك اليوم بكل هذا الحزن والحب والاصرار .. انها شىء فريد .. هائل .. انها سيمفونية تلقائية زاخرة بالغضب والاندفاع والعواطف والنشيد وانهار الدموع .. ومؤسس هذه السيمفونية قائد عظيم هو « ناصر » وشعبه المحب المخلص الوفى ! .

ان تعبير الشعب المصرى عن مشاعره ، وكذلك الشعب اليونانى متصلة لعادات وتقاليد تشترك فيها شعوب البحر الأبيض .. ولا تنسوا أن الشعبين رزحا تحت نير الاستعمار التركى اجيالا طويلة ، وان الحضارات الفرعونية واليونانية والعربية قد تركت بصمات وسمات مشتركة فى وجداننا .

ولقد تعودت منذ الصغر أن ارى الشعب فى اليونان .. يحول جنازات الزعماء والعظماء الى مظاهرات سياسية لبس فيها شعارات

حزينة أو بكاء ، والجماهير الواقفة على جانبى الشوارع ونوافذ البيوت تصفق عند مرور الجنازة ، وقد يهتفون أو يرددون الأغانى الحماسية .

لكن مسيرة وداع « ناصر » كانت مختلفة عن عاداتنا فى اليونان .. وربما عن كل ما تعودته شعوب العالم فى مثل هذه المناسبة ، كانت موكبا سياسيا وروحيا وعائليا .. كما لو انه أبوهم أو أخ عزيز لكل مصرى .

« مكتوب على قلوبنا عبد الناصر محبوبنا » .. « عبد الناصر حبيبنا » .. و .. وهتافات وأناشيد كثيرة كان صداها يتردد فوق مسيرته .. كأنها مظلة من الحب والوفاء واللوعة .

ويتابع تيودوراكس حديثه :

« الحقيقة أن مظلة الايقاع والأحزان .. والأسلوب الذى اختارته الجماهير للمسيرة ظلت تملأ على سمعى ومشاعرى أياما وشهورا .. وكان سهلا على أن أكتبها فى حروف موسيقية .. والمؤلف الموسيقى يختزن فى العادة ما يشاهده وما يسمعه وما ينفعل به أو تصدمه به أحزان الحياة وأفراحها .. ثم فجأة تخرج أحاسيسه المكبوتة فى شكل من أشكال العمل الموسيقى .. وازاء مسيرة « ناصر » لم يستغرق الأمر كثيرا من المعاناة .. لقد فرضت المسيرة حركة وايقاع (لحن الوداع) الذى وضعته عنها .. فجاء مزيجا بين الدراما والمأساة والحماس والاصرار والأمل والدموع » .

اننى أقول لكل الأعداء الذين يتحفزون للشعب المصري بعد رحيل عبد الناصر : عليكم أن تعوا جيدا المثل اليونانى الشعبى « حذار من شعب رجاله يبكون » ! .

نقد الثورة

محمد عودة

انتهت الحملة الضارية المحمومة على عبد الناصر في الحقل ، ولم يتعرض أحد من القادة في هذا العصر لحملة مشابهة . ولا نظن أحدا من أقطابها قدر لها أن تنتهي الى هذا الافلاس .

وهذا على أى حال عمل جدير بتحية وتقدير العقل العربي ، ولكن لابد وأن يكون بداية للتقييم النقدي والموضوعي للعصر .. واستخلاص كل العظات ..

وقد تعرض الرجل والعصر خلال حياته وبعد وفاته لكل أنواع الافتراء والنقد .. سواء من اليسار الطفولي أو الشامت أو من اليمين

لرجعي التخلف والتعصب ·· ولكن يبقى النقد الآخر في اطار الثورة والذى ينبغى أن يكون محل حوار متصل ··

وتتركز أوجه النقد للثورة التى قادها عبد الناصر في خمس ثغرات :

عدم تسييس الجيش الذى حقق الثورة وكان قاعدة السلطة « الثورية » ·

عدم تكوين الحزب الذى يعبر عن الثورة ويرثها ويستمر بها ·

عدم تغيير الجهاز الادارى الذى ينفذ سياسات وخطط الثورة ·

عدم تعميق الثورة الزراعية ، وهى الأساس الذى تقوم عليه الثورة ·

قصور الثورة الثقافية عن الوصول الى القاع ومحو الأمية -

* * *

٢ ـ تسييس الجيش :

كان الجيش هو أداة تحقيق الثورة ، وأصبح بهذا ، الدعامة الأساسية للسلطة الجديدة « الثورية » ولم يكن هذا انقلابا عسكريا ولكن استكمالا للمهمة التى تعثرت الاحزاب الوطنية في تحقيقها وعجزت عنها ·

وقد قامت الثورة ببناء القوة العسكرية للجيش وكسرت حصارا استراتيجيا محكما وطوقا حديديا مفروضا على مصر منذ نهاية عهد محمد على ·

ولكن الجيش الوطنى « الثورى » فى هذا العصر ليس هو الذى يملك الأسلحة الحديثة أو الكفاءة القتالية ولكنه الجيش الذى يملك ما هو أقوى وأهم وهو الفكر والوعى ·

والوعي السياسي بالنسبة للعسكريين لا يعني ممارسة السياسة أو السعي الى السلطة ولكنه التكوين المتكامل الصحيح الذي يوسخ المبادىء الأساسية للجيش ، ويعمق الفهم والايمان بالقضايا التي تحميها وتدافع عنها القوات المسلحة حتى الموت ٠

وهذا هو افضل حماية وتحصين ٠٠ بل الطريق للوحيد السليم ضد المغامرين أو الانقلابيين ٠

وطالما كان الجيش هو الذي قام بالثورة وهو الذي اصبح طليعة « عسكرية » للشعب وقاعدة للسلطة الثورية ٠٠ فقد كان من الضروري أن يعاد تكوينه الفكري والسياسي ٠٠ بنفس اهمية بنائه الاستراتيجي بل وأن يتقدم عليه ٠

ولا يتحقق هذا بمجرد الشرح او التعليم ولكن بانتقاء القيادات والضباط والقواعد من الطبقات والفئات صاحبة المصلحة الحقيقية فى الثورة ، بل ومن صميم هذه الفئات والطبقات وتكوينهم فكريا وسياسيا بقدر تدريبهم عسكريا ٠

وقد فرقت الثورة تفريقا صحيحا بين العمل العسكري والعمل السياسي ، وحرمت على القوات المسلحة الاشتغال بالسياسة ٠٠ ولكنها لم تدرك الفرق بين العمل بالسياسة وبين التكوين السياسي ٠٠ ولهذا ظل الفارق شاسعا بين السياسة والاستراتيجية فى الجيش ٠٠ والضابط او العسكري الحديث فى بلد قضيته الأولى هي سيادته وحريته لا يمكن ان يكون عسكريا محترفا مجردا ٠

وقد كانت هذه هي الثغرة التي نفذت منها وقامت وتكاثرت « البورجوازية » العسكرية التي تربعت على قمة القوات المسلحة ٠٠ والتي قررت أن تحكم وان تتميز واختلست قدرا كبيرا من السلطة والثروة ٠٠ وكان طبيعيا ان تقرر حماية سلطاتها وميزاتها بالوقوف سدا منيعا ضد قيام اى تنظيم سياسي وشعبي ، يثبت عدم شرعيتها أو جدارتها ٠٠ وان تقاوم بضراوة اى محاولة لقيام تنظيم

شبابى أو نقابى ٠٠ يخلق « قوائم » أخرى صحيحة وشرعية للسلطة ! ٠

وقد كان هذا أول أسباب نكسة عام ١٩٦٧ ، وبسقوط هذه الطبقة أمكن البدء في اقامة تنظيم سياسي حقيقي ، وفى اعادة بناء للقوات المسلحة على أسس سليمة ٠٠ وفى تحديد العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة العسكرية كما ينبغى أن تقوم وأولوية الأولى ٠

ولم يقدر للمرحلة الجديدة أن تستمر وهى قد جاءت متأخرة ٠٠ بعد وفاة عبد الناصر ٠

٢ ـ تكوين الحزب :

الحزب والجيش هما ذراعا الثورة اللتان تعمل بهما وهما قدميها اللتان تقف عليهما ٠٠ وبغير حزب لا يكون هناك تعبير صحيح أو استمرار صحيح للثورة ٠

وقد كانت مصر أول بلد فى الشرق عرف التنظيم الحزبى بمعناه الحديث ، وذلك بمولد الحزب الوطنى « الأول » حزب الثورة العرابية ٠

وقد صب الاستعمار البريطانى كل جهده قبل الاحتلال وبعده للقضاء على الحزب ومنع قيام أى حياة حزبية سليمة فى مصر ، وحينما قامت ضد كل التحديات ، إعتبرها الخطر الأول واصبح كل همه هو تشتيت الأحزاب الوطنية أو اصطناع أحزاب عميلة وموالية تفسد الحياة السياسية ٠٠ وفى النهاية عجزت الأحزاب عن تحقيق ما قامت لأجله ٠

ولم يكن هناك من هو اكثر ادراكا لضرورة قيام التنظيم السياسى الشعبى ولدوره من عبد الناصر وذلك رغم كل الافتراءات والترهات الشائعة ٠٠ ولم تلتف الجماهير حول أحد مثلما التفت حوله ، ولم يتغلغل زعيم فى ضميرها ووجدانها مثلما فعل ٠

وهو قد انتهى الى الصيغة الصحيحة لبناء التنظيم السياسى بعد ١٩٦١ ، واستخلاصا لخبرة الاحزاب القديمة ثم هيئة التحرير ، وكانت صيغة التنظيم السياسى الشامل الذى يضم طبقات غير متناقضة المصالح لمرحلة طويلة وتمثيل الأغلبية « العاملة » لقوى الشعب ٠٠ ولم تكن هذه هى نهاية رؤيته فقد كان يرى انها لابد وان تتطور الى مرحلة أعلى متعددة الاحزاب تقوم على حزب أغلبية اشتراكى وحزب شيوعى الى يساره وحزب بورجوازى وطنى الى يمينـه ٠

وقد أعلنت الطبقات المخلوعة الحرب على التجربة ، وانضمت اليها بنفس القدر من العداء البورجوازية العسكرية المعادية للاشتراكية وللتنظيم السياسى عامـة ٠٠ والاشتراكى خاصة ! وهى قد بثت عناصرها فى أرجاء الاتحاد الاشتراكى لكى تحتوى وتجمد التفكير والتنظيم والممارسة فى كيانه ٠

وقد كان الخطأ أن بناء الحزب داخل التنظيم السياسى لم يكن ينال الأولوية التى كان يجب ان ينالها بين مهام عبد الناصر الكثيرة والكبيرة ٠٠ كان ينبغى أن تتحقق مهام الثورة وتتم كل التحولات والتغيرات والانجـازات من خـلال التنظيـم ٠٠ وذلك لتضرب بجذوره الى أعمق ولكى تحقق له تراثا وخبرة فى المحاورة والممارسة تؤهله ٠٠ لوراثة الثورة ولحمايتها والاستمرار بها ٠

٣ ـ تغيير الادارة :

البيروقراطية المصرية هى اقدم نظام من نوعه فى التاريخ ٠٠ وقد ورثت كل سوءات الحكم والادارة خلال ما توالى على مصر من نظم وعهود ٠

واشتهر الاستعمار البريطانى ببراعته فى خلق أجهزة ادارية فى مستعمراته ومناطق نفوذه يسميها « الخدمة المدنية » ويصوغها حيث لا ترى أبعد من مصالحه وأهدافه لتنفذها ٠

وقد ورثت الثورة ·· هذه التركة « البيروقراطية » الثقيلة التى كان لابد من تغييرها جذريا ·· وذلك حتى يمكن أن تنفذ الأجهزة الادارية والحكومية السياسات الخارجية والداخلية « الثورية » ولكن خطوات التغيير كانت أقصر كثيرا من الضرورات ·

لم يكن الجهاز الدبلوماسى المصرى بكياناته القائم ، ليستطيع أن يطبق ويحقق سياسة خارجية عربية آسيوية أفريقية غير منحازة ، كان بتكوينه وانحيازه أبعد ما يكون عن فهم السياسات الجديدة أو الاقتناع بها ·· وقد أضيف اليه « لاصلاحه » رجال البورجوازية العسكرية التى حرصت على الاستيلاء على أكبر نصيب من الجهاز الدبلوماسى ·· وهى لم تكن أكثر حماسا أو اقتناعا من الدبلوماسيين التقليديين بالسياسات والعلاقات الدولية الجديدة ·· بل كان كل همها تبريرها أو تعقيدها واحتواءها ·

ولم يتكون بهذا طاقم « دبلوماسى » يعبر عن « الثورة » ويتفاعل أو يتجاوب مع أحداث العصر ·· ودور مصر ومكانها على خريطته ·

ومصر تعيش بسياستها الخارجية بقدر ما تعيش بسياستها الداخلية ، ولم يختلف الأمر بالنسبة للسياسات الداخلية فان الأجهزة الحكومية التى اعتادت لزمن طويل أن تخدم مصالح الاقطاع فى الريف لم تكن لتطبق أو تنفذ قوانين الاصلاح الزراعى بأمانة أو بحماس ·

ولم يكن غريبا أن تخلق كل العقبات أو تتغاضى عن كل الثغرات ·

ونفس الأجهزة التى خدمت لزمن طويل مصالح الرأسمالية الأجنبية أو المحلية فى المدينة لم تكن لتندفع فى تحقيق التغيرات والتحولات « الاشتراكية » والذين لم يقفوا موقف العداء الصريح كانوا يقفون موقف المحايدين فى حدود وظائفهم منتظرين تغير الأزمان والأحوال ·

٤ ـ تعميق الثورة الزراعية :

يقاس عمق الثورة واصالتها فى البلاد النامية والمتحررة بمدى التغيرات والتحولات فى الريف ولا ينطبق هذا على بلد مثلما ينطبق على مصر ٠

ولكن رغم ثلاثة قوانين اصلاح زراعي هي من افضل ما تحقق فى العالم الثالث ، ورغم اكبر حركة استصلاح ارض فى تاريخ مصر الحديث فقد ظلت الثورة الزراعية فى مصر محدودة متعثرة سمحت للملاك والأعيان ان يحتفظوا بالقدر من الملكية ومن النفوذ الذى اتاح لهم استعادة كثير مما جردوا منه ٠

لم تنفذ الثورة الزراعية الى قاع الريف ، والى اشد الطبقات حاجة اليها من المعدمين ومن فقراء الفلاحين واوكلت قيادة الاصلاح الزراعى الى قيادات عليا ٠ اقطاعية الأصل وبيروقراطية ٠ مزدوجة الولاء ٠٠ استطاعت ان تحتوى الثورة « الاشتراكية » من النفاذ او التغلغل فى الريف ٠

وقد كان ايمان الثورة بالملكية الفردية فى الريف صحيحا فى المراحل الأولى للاصلاح الزراعى ، ولكن التحول الى الزراعة التعاونية والزراعة الاشتراكية ٠٠ حتى فى اطار هذه الملكية كان متعثرا ٠٠ ولم تطبق نظم الزراعة العصرية الاشتراكية الكبيرة فى الأراضى التى استصلحتها الدولة وتمنح للعمال الزراعيين او المعدمين ٠٠ وبقيت حتى آل معظمها فى النهاية الى الملاك الزراعيين ! ٠

٥ ـ الثورة الثقافية :

كانت الثورة الثقافية هى اكثر قضية الح عليها عبد الناصر فى سنى حياته الأخيرة ٠٠ وكان على وعى تام بالذين إختلسوا نصيبا كبيرا من الثورة فى القمة والذين لم ينالوا اى نصيب من الثورة فى القاع ٠٠ وكانت دعوته واضحة صريحة الى « ثورة على الثورة » من اجل الملايين المحروقة الصماء المنسية فى القاع من عمال التراحيل حتى كل الذين لم يحصلوا من الثورة الا على مجرد الأمل ٠٠ وحتى تصل اليها ثمار الثورة المادية والروحية ٠

ولقد حققت الثورة ازدهارا ثقافيا لم يتحقق في كل تاريخ مصر وفى كل العلوم والفنون والآداب ولكن لم تستمتع به سوى بورجوازية المدينة ومثقفيها .. وبقيت الأغلبية الساحقة أمية جاهلة موزعة فى كل ارجاء مصر ..

وهذه الأغلبية هى الكبرى رصيد واحتياطى وقاعدة للتخلف وللاستغلال الروحى والمادى الذى تعيش عليه الطبقات المستغلة !

ولهذا فان الثورة الثقافية المصرية بدأت من حيث كان يجب أن تنتهى .. وكان لابد وأن تبدأ من أسفل بالقضاء على الأمية وبتجريد المستغلين والمستبدين والمستعمرين من احتياطيهم « البشرى » .

ومحو الأمية ليس اجراء اداريا أو ثقافيا ولكنه قبل كل شيء عمل سياسى يتطلب قرارا سياسيا ثم تعبئة شعبية شاملة لكى يلتزم كل متعلم بمحو امية جاهل .. وبذلك تندمج الصفوة المتعلمة فى شعبها وفى واقعها .. ولا يظل المجتمع منقسما ثقافيا الى شعبين تفصلهما هوة بعيدة ..

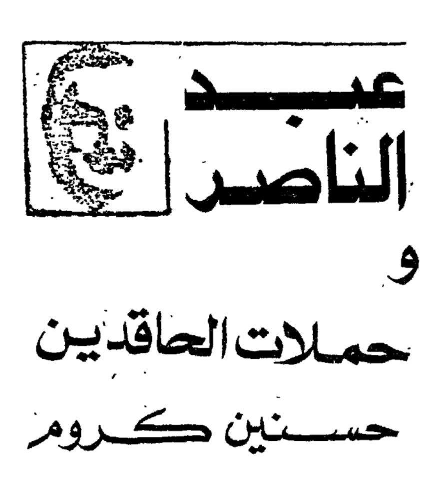
وقد كافحت كل القوى والأجهزة البيروقراطية الثقافية والتعليمية حتى لا يتحقق محو الأمية .. وحتى لا يمكن تصحيح مسار الثورة الثقافية .. وظلت المشكلة قائمة بل وتزداد تعقيدا ! .

* * *

ان ما حققته ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر هو ولا شك أعمق وأعظم تغيير حدث فى تاريخ مصر كله ، وهو افضل مما حدث فى كل بلاد العالم الثالث باعتراف هيئات ومنظمات دولية محايدة . ولكن هذه ثغرات كبيرة نفذت منها رياح سوداء ... ولابد لهذا أن يدور حولها حوار واسع ..

وهذه ليست مقالة ولكنها ورقة عمل فيما نتمنى ! .

محمد عوده



تعرضت شخصية عبد الناصر الى حملة عاتية ألصقت به كل الصفات والاتهامات .. اتهم بالفساد والاستيلاء على اموال الدولة والبطش الذى وصل الى حد اصدار الاوامر المباشرة بتعذيب المسجونين السياسيين داخل السجون والتلذذ برؤيتهم وهم يعذبون .

واتهم بالالحاد والاتفاق مع روسيا وامريكا فى آن واحد للقضاء على الاسلام والمسلمين !!! وبالحقد وتخريب نفس الانسان وتقويض اقتصاد البلاد ..

ولم يقف الأمر عند حد توجيه الاتهامات عبر وسائل الاعلام الرسمية وغير الرسمية ، وانما بدأت تنشر الوثائق وشهادات الشهود والوقائع ، وترفع القضايا فى المحاكم ، تؤكد هذه الاتهامات وتحيلها الى حقائق لا تقبل نقاشا .

.. وظهرت ملامح اخطر وسيلة استخدمت ، وهى « لعبة الأسرار المزيفة » .. وكانت بدايتها فى مجلة الاذاعة والتليفزيون عندما كان ثروت اباظة رئيسا لتحريرها ، خلال عام ١٩٧٥ ، فقد جند طالبا جامعيا يدعى « سيد الباز » ، وحوله الى كاتب سياسى وأخذ فى ابرازه بصورة ملفتة للانظار .

وبدأ هذا الطالب ينشر سلسلة من المقالات تحتوى على اسرار فى منتهى الغرابة عن عبد الناصر ، لدرجة انه نشر نص مناقشة خاصة عن حديث بين عبد الناصر وبين شمس بدران بعد هزيمة يونيو « حزيران » عام ١٩٦٧ مباشرة ، وقال فيها شمس بدران لعبد الناصر : « انك آخر من يتكلم فى الوطنية » ، وقال الطالب : « ان هذه المحادثة تفريغ لاشرطة تسجيل تم الحصول عليها » !!

طبعا لم يتساءل احد : ومن أين حصل هذا الطالب على هذه الاشرطة ؟ واستحالة حدوث حوار كهذا يتحدث فيه شمس بدران الذى كان معزولا فى هذا الوقت من مناصبه واصبح تقديمه للمحاكمة وشيكا ، الى عبد الناصر بهذه الطريقة التى لايجرؤ على مخاطبته بها وهو فى قمة السلطة !!

وقد اتضح ان هذا الطالب شكل جمعية اسمها « جمعية ابناء مصر » انضم اليها توفيق الحكيم وثروت اباظة ورشاد رشدى وقام مصطفى أمين بابراز نشاطها بعض الوقت فى جريدة « الأخبار » وتمجيد سيد الباز ...

وفجأة .. اختفى هذا الطالب من كل وسائل الاعلام ، كما لم يعد اسم الجمعية يذكر بعد أن ادى مهمته !!!

وبتاريخ ٢٥ يناير (كانون الثانى) عام ١٩٧٦ نشرت جريدة « تعاون الطلبة » موضوعا فى صفحتها الاولى بعنوان « مذكرات سياسية للعقاد عن عصر عبد الناصر ١٠٠٠ جنيه تدفعها جريدة الطلبة لمن يقدم هذه الوثيقة التاريخية » ... وأما تفاصيل الخبر المثير فكان كالآتى : ـ

.. « كان الكاتب الكبير المرحوم عباس محمود العقاد يدون مذكرات وملاحظات عن عصر عبد الناصر ..

ورجل فى وزن العقاد لا تحجب آراؤه الا لظرف قاهر . ولم يعد هناك اكراه بعد ان مدت الحرية ظلها على ربوع الوادى . » وتعاون الطلبة مستعدة لدفع الف جنيه لمن يقدم لها المذكرات . ولعلها فى حوزة احد اقارب او اصدقاء العقاد . وكانت سكرتيرة (؟) هذه المذكرات فى حوزته حتى وقت احتضاره . ومن بين ما جاء فى هذه المذكرات رأى العقاد فى اغلاق جريدة (المصرى ثم فى تأميم الصحافة عام ١٩٦٠ وكيف أنه ظل عوزرما ليالى عدة يفكر فى مصير البلد بعد هذه الخطوة وأورد العقاد واقعة حدثت اثناء زيارة الرئيس عبد الناصر للرئيس تيتو فى يوغوسلافيا وقد حل ميقات عيد الأضحى اثناء هذه الزيارة . يقول العقاد : ان فى يوغوسلافيا ثلاثة ملايين من المسلمين وقد اغلقت الحركة الشيوعية جميعمساجد بلجراد ولكن توجد مساجد فى المقاطعات الاسلامية .. وكان المسلمون يتوقون الى أن يصلى رئيس اشهر دولة اسلامية صلاة العيد معهم . ولكنه لم يفعل . وكان العقاد يتمنى أن يتحدث الرئيس عبدالناصر مع الماريشال تيتو فى اعادة فتح احد المساجد فى بلجراد . ولم يكن العقاد يشك فى أن هذا الطلب يلبى لما بين الرئيسين من اواصر ود متينة ، وهكذا تمضى المذكرات والتعليقات) .

.. والامر المدهش ان تزعم الجريدة أن هذه المذكرات مخباة فى حوزة البعض وتعلن عن استعدادها لدفع مبلغ الف جنيه لمن يسلمها لها بينما تنشر مقتطفات كاملة منها !! بل الغريب ان تعلن

هذه الجريدة المفلسة باستمرار عن استعدادها لدفع الف جنيه فى مذكرات تحت تصرفها فعلا ـ لن يسلمها لها ؟ !

.. بطبيعة الحال . كان من المتوقع أن تقيم الجريدة ضجة اخرى .. وتقول أن الشخص الذى في حوزته المذكرات قد ظلر .. ثم تبدأ عملية النشر . وتضع الجريدة ما تشاء من « أسرار » ضد عبد الناصر . فالعقاد ميت ولن يقوم من قبره ليكذب ما ينشر على لسانه ..

وما نشرته « تعاون الطلبة » أوضح اسلوبا آخر استخدم فى العملية وهو الادعاء بوجود اسرار سيكشف عنها النقاب بشرط ان يكون صاحبها من الاموات !!

.. ولهذا رأينا أن السيدة / زينب الغزالى تدعى انها رأت بعينها عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى السجن الحربى وهمـا يشاهدان تعذيب الاخوان المسلمين عام ١٩٦٥ ..

.. وقالت فى حديث لهـا بمجلـة الاذاعة والتلفزيون : ـ « لقد رأيتهما وجها لوجه يشـاهدان التعذيب فى السجن الحربى ولكننى لن اروى عن هذا الان .. »

..كما ادعت أن صلاح نصر مدير المخابرات العامة كان يحقق معها فى السجن الحربى ووجه اليها شتائم بذيئة ..

ولكن صلاح نصر نفى هذا الكـلام واتـهم زينب الـغزالى بالكذب .

واتضحت الحقيقـة وهى أن صلاح نصر لـم يدخل السجن الحربى . وان المخابرات العامة لم يكن لها اى صلة بقضية الاخوان المسلمين عام ١٩٦٥ !!

.. وحاول شوكت التونى المحـامى الذى تخصص فى رفع القضايا العديدة ضد نظـام عبد النـاصر ـ أن يحصل فى احدى

القضايا على حكم من المحكمة بادانة عبد الناصر لانه كان يصدر الاوامر الشخصية المباشرة بتعذيب الاخوان المسلمين فى السجن الحربى .. ولكن المحكمة رفضت الدعوى وقالت فى حكمها عن عبد الناصر « انه لم يكن يعلم بشىء ولم يامر بشىء » .

.. ولم يكن القضاء يجامل عبد الناصر فى هذا الحكم . لأن الحقيقة الدامغة سرعان ما تاكدت عندما نشرت مجلة « الحوادث » اللبنانية بعددها الصادر بتاريخ ٢ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٧ حديثا لشمس بدران الموجود فى لندن عما حدث للاخوان المسلمين فى السجن الحربى عام ١٩٦٥ وهل كان لعبد الناصر صلة به ام لا .

وشمس يعتبر من خصوم عبد الناصر الالداء .. قال فى حديثه المنشور بالحرف الواحد : ــ

« احب أولا أن أقول للقضاء المصرى والرأى العام الذى تجرى تعبئته ضدى .. اننى اتحمل المسئولية الكاملة عن كل ما وقع مما يسمى بالتعذيب فى القضايا التى اشرفت على التحقيق فيها فاذا كانت وسيلة الضغط والاجبار قد اتبعت فى بعض الحالات للحصول على المعلومات من المتهمين فقد كان ذلك يستهدف مصلحة عليا . وهى امن البلد وانقاذها من الدمار والنسف .

وليس لأى ضابط من هؤلاء المتهمين والماثلين امام القضاء الآن اية مسئولية فيما حدث وكان بوسعى ان ابرىء نفسى واقول انا ايضا كنت انفذ أوامر كبار المسئولين الذين طلبوا منى ذلك .. ولكنى لا اقولها .. بل فعلتها فعلت عن قناعة » .

.. وقال عن العدد الذى تم اعتقاله من الاخوان فى السجن الحربى . :

.. « أنا اعتقلت خمسمائة شخص وافرجنا عن مائة وخمسين منهم . ولكن المباحث العامة اعتقلت خمسة الاف بدون علمى او موافقتى . ولم يكن لهم اى دور » ..

كما قال فى تبرير عملية التعذيب التى أمر بها : ـ

اما أن نسبقهم أو يسبقونا وينسفوا القاهرة ولا يمكن أن تكون مجرد فبركة ـ تلفيق ـ الأسلحة التى ضبطناها والرسوم الكروكية التى رسمها مهندسوهم موضحين فيها أماكن النسف .. هل كان المطلوب السكوت على ذلك حتى تتم الكارثة لاثباتها كما حدث فى الكلية الفنية العسكرية أم كان المطلوب الانتظار حتى يتم قتل الدكتور الذهبى لاثبات الجريمة على فاعلها » .

.. ومما يؤكد صدق ما قاله شمس بدران حديث كان قد دار بينى وبين محمد حسنين هيكل قبل عام من نشر الحديث فقد سألته لذا كان عبد الناصر : كان يعلم بحدوث تعذيب الاخوان المسلمين فى السجن الحربى عام ١٩٦٥ .. فقال : ـ

« ان عبد الناصر لم يعلم بذلك . ولكنى سمعت عن حدوث تعذيب واعتقال آلاف من الناس فكتبت فى الأهرام ملحقا لهذا » فغضب منى شمس بدران وقاطعنى . وذات يوم اتصل بى المشير عبد الحكيم عامر بالتليفون وطلب منى ان ازوره فى منزله .وهو على مقربة من بيتى . وعندما توجهت اليه وجدت شمس بدران جالسا بمفرده . فألقيت عليه السلام .. فلم يرد على .. وصدرت عنه همهمة . فجلست بجانبه دون أن اكلمه . وعندما حضر المشير سألنى ان كنا قد تصالحنا فقلت له اننى القيت عليه السلام ولم يرد .. وبدأ شمس يعاتبنى وقال انه غضب من مقالتى .. وذكر أن عدد الاخوان الذين اعتقلهم خمسمائة فقط .. واعترف انه أصدر اوامره باستخدام التعذيب ضد عدد منهم لأنه كان ـ كما قال ـ فى سباق مع الزمن خاصة عندما عرفوا ان الأخوان نجحوا فى تجنيد أحد أفراد حرس عبد الناصر وكان هناك احتمال بتعرضه للاغتيال فى كل دقيقة لأنه لم يتوصل الى معرفة اسم الشخص الذى تم تجنيده من افراد الحرس . وكان هناك احتمال قيام بقية العناصر التى لم يقبض عليها بعد . بعمليات تخريب تؤدى الى خسائر كبيرة

لتصيب الأبرياء وتدمير المنشآت . ولهذا استعمل التعذيب حماية للرئيس وللثورة وللمواطنين .

وقال شمس .. انه .. كانت تحت يده وسائل اخرى يستخدمها لمنع وقوع الكارثة لم تتوانى عن اللجوء اليها .

هذا ما قاله لى « هيكل » مرة قبل عام من نشر حديث شمس بدران .. والذى أعاد تأكيد كلام شمس بدران ما اعترف به الاخوان فيما بعد .. عندما صدر منذ عامين كتاب بعنوان « مذابح الاخوان فى سجون ناصر » اعده أحد الاخوان المسلمين واسمه « جابر رزق » كان من المقبوض عليهم فى تنظيم عام ١٩٦٥ وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاما فقد اعترف بوجود التنظيم والأسلحة ومعسكرات التدريب فى بلطيم ورأس البر والأهم من كل ذلك إعترافه بانه لم يعذب ولم يضرب فى السجن الحربى . وان هناك كثيرا من المقبوض عليهم لم يتعرضوا الى التعذيب بعد ان اعترفوا على التنظيم !! »

.. ولم تتوقف محاولات الاخوان المسلمين فى توجيه الاتهامات لعبد الناصر ومحاولة النيل منه . فقد نشرت مجلة « الدعوة » بعددها الصادر فى شهر ربيع الثانى عام ١٣٩٨ هـ مارس (آذار) ١٩٧٨ موضوعا عن وجود لجنة شكلها عبد الناصر عام ١٩٦٥ لضرب الاخوان المسلمين وتصفيتهم بعد ان تعاظم خطرهم وازدادت شعبيتهم !!!

واللجنة شكلت من : ١ ـ رئيس الوزراء . ٢ ـ قائد المخابرات العامة صلاح نصر ٣ ـ قائد المباحث الجنائية العسكرية سعد عبد الكريم . ٤ ـ مدير المباحث العامة حسن طلعت . ٥ ـ مدير مكتب المشير شمس بدران .

« وقد عقدت اللجنة المشئومة عشر اجتماعات بمبنى المخابرات العامة وبعد دراسة التقارير والاحصائيات السابقة قررت اللجنة

قرارات عديدة أهمها اعتبار الاخوان المسلمين كالسرطان الذى تمكن من جسم الامة ويجب استئصاله للقضاء عليه وذلك بالقتل والتعذيب ومصادرة الاموال وفرض الحراسة والفصل من الوظائف والسجن لمدد طويلة » ٠

٠٠ وهذا التقرير قدمه الى المحكمة المستشار على جريشة فى القضية التى رفعها بخصوص تعرضه للتعذيب ٠

وقد سئل صلاح نصر مدير المخابرات العامة السابق والذى ورد اسمه فى التقرير عن رأيه فى هذا الكلام ٠٠ فقال :

« اولا : ليس هناك لقب اسمه قائد المخابرات ٠ هناك مدير للمخابرات ٠ »

ثانيا : اللجنة لا وجود لها ٠

ثالثا : هذه اللجنة زيفها الاخوان المسلمون فى القضية التى رفعها المستشار على جريشة ٠ اذ قدم أوراقا مزيفة عن اللجنة ولم تأخذ بها المحكمة ٠ ولم تسأل أى أحد من الذين وردت اسماؤهم فى اللجنة ويبدو أن الذكاء خان هذه الأوراق وليس بغريب أن يتعاون المزيفون مع بعضهم البعض فيربطون بذلك بين مدرسة الارهاب والاغتيالات وبين مدرسة العملاء والمأجورين » ٠

٠٠ ايضا ٠ فوجىء الناس بجريدة « أخبار اليوم » تنشر بعددها الصادر بتاريخ ٥ أغسطس (آب) عام ١٩٧٥ نص البلاغ الذى تقدمت به السيدة / فاطمة العبد الى النائب العام ٠ تطلب فيه فتح التحقيق فى وفاة زوجها الدكتور انور المفتى الذى كان رئيسا لقسم الأمراض الباطنية بكلية طب القصر العينى والطبيب الخاص لعبد الناصر ٠

وقالت ان زوجها مات مسموما بعد أن قال فى جلسة خاصة ان عبد الناصر مصاب بالجنون نتيجة مرض السكر الذى يعانى

منه ٠ فتم ابلاغ عبد الناصـــر بهذا ٠ فاصدر امره بقتل الدكتور المفتى ٠٠ فوضعت له المخابرات العامة السم ٠٠

وقالت ان زوجها قبل وفاته نظر الى المرآة وتفحص عينيه وقال لها انه سيموت بفعل السم الذى دس له ٠ ثم اسلم الروح ٠

٠٠ وعندما حققت النيابة فى البلاغ لم تجد اى دليل يؤكد صحة ماورد به ٠٠٠ ولكن الصحف التى اخذت تنشر عن جـرائم عبد الناصر ٠٠ لم تشر الى قفل باب التحقيق لكذب البلاغ ! ٠

٠٠ ولقد سالت الدكتور احمد عبد العزيز استـــاذ الامراض الباطنية بكلية طب القصر العينى عن رايه فى اتهام السيدة فاطمة لعبد الناصر بدس السـم لزوجهـا ٠٠ لأنه كان فى سـهرة مع الدكتور المفتى فى نفس ليلة وفاته ٠ وكان أول من وصل الى بيته للكشف عليه بعد ان اتصلت به السيدة فاطمة العبد ٠٠ فقال لى :

« هذه اشاعة لا اساس لها من الصحة ٠ وقد تصـــادف ان كنت أول من وصـــل لمنزل الدكتور انور بعد أن اكتشفت السيدة حرمه انه فى حالة غيبوبة وعند وصولى اليه اكتشفت ان التنفس والقلب قد توقفا منذ لحظة قبل وصولى ٠٠ ولم يجد تدليك القلب او عملية التنفس الصناعى فى استعادتهما ٠

وسبب الوفاة كان انفجار شريان بالمخ نتج عن توقف التنفس وتلاه توقف القلب ٠

اما ما قيل بعد ذلك بفترة عن أن الوفاة كانت غير طبيعية فهو كلام لا اساس له من الصحة ٠

وما اقوله لك هو نفس الأقوال التى ادليت بها امام النيابة عند التحقيق ٠ وقد وضعت تقريرا عن الوفاة وهو موجود لدى مكتب صحة بولاق او الزمالك ٠

•• كـذلك سألت الدكتور عبد المنعـم المفتى •• ابن عم المرحوم الدكتور أنور المفتى عن رأيه فى هذا الاتهام •• قال لى :

« اننى اكره عبد النـاصر ولم أحبه • ولكن كـرامتى له لا يمكن أن تكون سببا فى أن اخالف ضميرى واقول انه امر بوضع السم للدكتور انور » •

وسألته ان كان الدكتور انور قد اتهم عبد الناصر بالجنون فقال : ـ

« الدكتور أنور لم يقل هذا الكلام ابدا •• بالعكس •• كان يحب عبد الناصر ويدافع عنه عندما كنت أهاجمه وانتقد بعض أعماله وأخطائه واطلب من أنور ان يلفت نظره لهذه الأخطاء نظرا لما بينهما من صداقة فكان أنور يقول عن عبد الناصر باستمرار انه مخلص ويحب بلده جدا وعبد الناصر كان يحب أنور كثيرا ويجلس معه بالساعات وهو الذى اكتشف مرض السكر عنده •• وأشار عليه بأن يأخذ ملعقة جلسرين كل يوم •• ولا يعقل ان يأمر عبد الناصر بقتل طبيبه •• انا لا يمكن أن أصدق ذلك •

وقد قلت لك اننى لم احب عبد الناصر • ولكننى لا اقبل أن اتهمه بهذا الاتهام •• ضميرى لا يقبل •

وهذا رأى الدكتور على المفتى شقيق أنور •

وقد قلت رأيى هذا فى برنامج النادى الدولى فى التليفزيون فى شـهر نوفمبر (تشرين ثانى) عام ١٩٧٦ ـ على ما اذكر ـ عندما سألنى سمير صبرى مقـدم البرنامج ـ عن حكـاية موت الدكتور انور بالسم فقلت له اننى لا أعتقد ذلك • »

.. هذه بعض وقائع عملية تشويه صورة عبد الناصر وتشويه سمعته . وكانت مترادفة مع ادانة نظامه وتصفيته ! .. واذا كان تاريخ مصر . قد شهد عمليات مماثلة استهدفت تشويه صورة الأبطال الوطنيين والاساءة الى تاريخهم الوطنى كما حدث لأحمد عرابى وسعد زغلول ومصطفى النحاس . فان عبد الناصر هو الوحيد الذى سلطت عليه حملة لم يشهد التاريخ مثيلا لعنفها لما صرف عليها من مال ووضع تحت تصرفها من امكانيات .

ذلك ان عبد الناصر لم يكن صاحب فلسفة او دعوة سياسية استشهد دونها فحسب وانما هو ايضا زعيم لا ينازع ، جسد أمانى أمته العربية واخذ يحولها الى نظام والحق بمصالح القوى الاستعمارية أضرارا فادحة . وعندما مات ترك نظاما فى مصر . واحدث تغييرا جذريا فى أوضاع العالم العربى وكان مطلوبا تصفية النظام الذى تركه فى مصر والعودة بالعالم العربى الى ما كان عليه من خضوع للسيطرة الاجنبية . وهى معركة قاسية . لانها تتصل بتغيرات حدثت ومصالح استقرت .. كما كان مطلوبا تشويه صورة بطل هذه التحولات حتى يصبح ممكنا تشكيك الناس فيما تم من تحولات لتكون تصفيتها سهلة .

واذا أردنا أن نقيم النتيجة التى ، آلت اليها الحملة المعادية لعبدالناصر بعد وفاته ، يكفى أن نذكر واقعتين فقط :

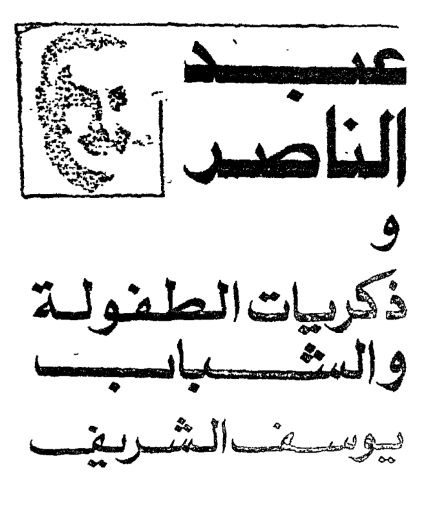
.. الاولى وقعت عندما وافق مجلس الشعب المصرى بتاريخ ١ يونيو (حزيران) عام ١٩٧٨ .. على القانون رقم ٢٣ لسنة ١٩٧٨ .. اذ بادر حزب « الوفد الجديد » بحل نفسه احتجاجا عليه .. ووقف الكثيرون من خصوم عبد الناصر ليقولوا : ان هذا القانون أعاد الى البلاد العزل السياسى بعد أن ألغاه عبد الناصر ، وجعله قانونا عاما بعد أن كان مجرد اجراء استثنائى ويعطى

الحكومة سلطة عزل اى انسان استنادا الى اتهامات فضفاضة لا ضابط لها .

.. واما الواقعة الثانية . فكانت عام ١٩٨٠ . عندما اصدرت الحكومة مشروع « قانون حماية القيم من العيب .. فقد هاجمه معظم الذين هاجموا عبد الناصر وشاركوا بنشاط فى الحملة عليه .. وقالوا ان القانون يعطى الحكومة سلطات لم يجرؤ عبد الناصر على أن يمنحها لنفسه أو لنظامه .. فهو يعطى الحكومة الحق القانونى فى فرض الحراسة على اى انسان ومنعه من التصرف فى كل امواله وممارسة نشاطه التجارى والمهنى وتحديد اقامته لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد .. استنادا الى اتهامات يمكن تطبيقها على اى انسان واى تصرف وتمنع الشخص المفروض عليه الحراسة من التظلم امام قاضيه الطبيعى .

بينما كانت الحراسة أيام عبد الناصر اجراءا استثنائيا ، وللشخص الذى فرضت عليه ، الحق فى التظلم امام قاضيه الطبيعى وممارسة نشاطه التجارى والمهنى وتكوين ثروات غير خاضعة للحراسة .. كما قالوا ان قانون العيب الغى القضاء عندما اوجد محاكم جديدة .. قضاتها ليسوا اعضاء فى الهيئة القضائية . تفصل فى جميع انواع القضاء العادى .. وهو ما لم يجرؤ نظام عبد الناصر على الاقتراب منه .

هاتان الواقعتان تلخصان مصير الحملة .. وهو الفشل لأن تاريخ عبد الناصر ومنجزاته ومواقفه الثابتة اكثر بكثير من ان تنالها احقاد الحاقدين وطيش العاجزين .



السيدة « وهيبة النشار » .. هل تعرفونها ؟ .

عائلة جمال عبد الناصر وأصدقاؤه يعرفون هذا الاسم جيدا .. فقد كانت الأم الروحية للزعيم الراحل بعد وفاة والدته فى العشرينيات .

أرضعته صغيرا ، منحته الحب والحنو والرعاية .. وكانت تصنع له كل شتاء « بلوفر » جديدا ..

كان عبد الناصر يناديها بـ « نينة الحاجة » وكان الحوار بينهما لا ينقطع .. فى الدين والشعر ، والوطنية .. وكانت وهيبة

النشار اول من استشف معالم الزعامة فيه ولم يزل صبيا فى العاشرة ..

هذه السيدة الفاضلة ماتت يوم ٢٥ يونيو الماضى بعد ان ناهزت الثمانين من عمرها الحافل بالمعرفة والأمومة والذكريات العزيزة عن طفولة وصبا وشباب جمال عبد الناصر ! ..

وقد رضع منها مع ابنها « حسن » فاصبح جمال وحسن أخوين بالرضاعة ..

وكانا فى الواقع اكثر من ذلك ، لأنهما كانا زميلى دراسة منذ بدايتها فى الابتدائى الى أن تخلى جمال عبد الناصر عن دراسة الحقوق والتحق بالكلية الحربية ..

قال لى : ـ بعد نجاح ثورة ٢٣ يوليو ، كانت مسئوليتى أن اسجل كل ما اذكره عن جمال عبد الناصر وقطعت بالفعل شوطا بعيدا فى هذا الصدد ، ويوجد فى حوزتى عشرات الخطابات التى كان جمال يبعث بها الى وهى تتضمن الكثير من ملامح شخصيته وافكاره .. ولكن حدث أن جاءنى عدد من الكتاب والصحفيين الأجانب الذين بادروا بوضع كتب ومؤلفات عن الزعيم الراحل .. كان من بينهم جورج فوشيه وتوم ليتل وكارنجيا .. وأعطيتهم ما سجلته من ذكريات عن عبد الناصر ، وللاسف لم يردوها الى .. كذلك طلب منى عبد الرءوف جبريل الذى عمل فترة مديرا لمكتب للرئيس خطاباته التى كانت فى حوزتى بدعوى انه كان يعد كتابا عنه .. وللأسف ايضا لم يردها لى .. وفشلت كل محاولاتى فى استردادها .. ولم يبق لدى سوى القليل منها ..

سالته : ـ لعلك تذكر بعض السمات المميزة لعبد الناصر فى مرحلة الدراسة التى جمعتكما حتى ترك كلية الحقوق الى الكلية الحربية

قال : ـ الحقيقة أن جمال عبد الناصر بالنسبة لى كزميل دراسة أو صديق فى الحياة كان يمثل بالنسبة لى ولغيرى شخصية متوازنة وجادة ومبهمة ، فهو كان دائما رائدا فى كل شىء ٠٠ فى المدرسة وفيما بعد المدرسة ، كان أطولنا قامة جميعا ٠٠ وكنا نشعر ازاءه بأننا أقصر منه قامة واقصر منه كذلك فى النظر الى الأمور ، كان رزينا يستأنس بالوحدة والتأمل والصمت ٠٠ وكان عقله دائم التفكير ٠٠ لا يمل التفكير ٠٠

وكان عبد الناصر ابعدنا عن الخطأ وارتكاب ما يستوجب المحاسبة ٠٠ وكنا عندما نختلف فى الرأى حول موضوع ما ٠٠ يستمع الى كل الآراء ثم يأتى رأيه متسلسلا ومنطقيا ٠٠ ودائما ما يكون القول الفصل ٠

قلت : ـ ما هى الافكار والقضايا التى كانت تشغل فكر جمال عبد الناصر فى مرحلة الدراسة ؟ ٠

قال : ـ الحقيقة أن عبد الناصر كانت تستفزه الفروق الطبقية البعيدة بين الفقراء والأغنياء ٠٠ وكان يقول ان ابن الغنى يزداد غنى وابن الفقير يزداد فقرا ٠٠ واغنياء مصر من الاقطاعيين وكبار الرأسماليين وقد تكونت ثرواتهم بالظلم والجور والكسب الحرام ٠ لقد كانوا دعامة الملكية والخديوية والاستعمار ٠٠ وكانت البلاد والبشر مباحة لهم ٠٠ ومن العدل والاسلام أن يعاد توزيع الثروة فى مصر ٠٠ وأن تتكافأ الفرص أمام الجميع ٠٠ وأن تحدد ملكية الأرض الزراعية ٠٠ وتفرض ضرائب على التركات ٠٠

كانت هذه قضية الطالب جمال عبد الناصر المحورية ٠٠ وكان يرى ما بعد ذلك من قضايا مرونة وتفاصيل ٠٠

وعن موقفه من فريقى اصحاب « القمصان السوداء » واصحاب « القمصان الخضراء » والى اى الفريقين أنضم جمال عبد الناصر ؟

يقول حسن النشار ـ المحامى بالمعاش ـ الحقيقة ان عبدالناصر شجب للصراع والمعارك التى كانت تدور بين الفريقين بينما الاستعمار والسراى والحكومة العميلة يعبثون بالدستور واقدار الشعب .. ولذلك كان عبد الناصر يختار دائما الوقوف مع المنضمين اليه من الطلبة فى صف نور الدين طراف ومجموعة الطلبة الوطنيين وقد وقفوا بعد ذلك مع جمال عبد الناصر عندما تعرض للطرد والفصل من مدرسة النهضة الثانوية .

كان رئيس الحكومة قد اعلن ان الذين يواصلون تنظيم المظاهرات خونة .. وكان هذا التصريح بمثابة اشارة الى للبوليس السياسى لاخراج جمال عبد الناصر من المدرسة باعتباره رئيسا للجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية ومنعه من دخول المدرسة .. وفى نفس الوقت حرض ناظر المدرسة على فصله بتهمة تحريض الطلبة على الثورة ..

وعندما عرف الطلبة بهذا القرار تجمعوا فى فناء المدرسة وقرروا حرق العنابر التى كان يبيت فيها طلبة الداخلية .. وبعد ساعة واحدة كانت النيران تشتعل فى العنابر ..

ولأن المدرسة خاصة لا تتبع وزارة التربية والتعليم .. لذلك خشى الناظر ان تمتد النيران الى بقية الفصول والانشاءات وخرج للطلبة وقدم اعتذاره علانية ، عن فصل جمال عبد الناصر ..

ولكن الطلبة صمموا ان يذهب الناظر الى منزل عبد الناصر ويعتذر له .. وبالفعل ارسل معنا ضابط المدرسة حيث اصطحب معه

جمال عبد الناصر فى عوبة حنطور . دخلت المدرسة ونحن نهتف بحياة مصر ! .

وعن جمال عبد الناصر المثقف يطول الحديث مع حسن النشار ويتتابع شريط الذكريات .. يقول :

« عندما استقرت الأسرة بباب الشعرية ، كنت اتردد عليه فى منزله فيقولون أنه فى جامع الشعرانى . وكان بالمسجد مكتبة تضم العديد من كتب الدين والسير والتاريخ قرأ عبد الناصر معظمها وكان مايزال فى الخامسة عشرة من عمره ..

وكان جمال يجل استاذا له فى مدرسة النهضة الثانوية اسمه محمد القونى .. وكان هذا الاستاذ يرعى موهبته ويشجعه على القراءة فى مكتبته العامرة .. وهو الذى فتح امامه آفاق الحضارة الغربية وثقافتها وفنونها ..

ومن الكتب التى استعارها منه وقراها فى ذلك الوقت « المدافعون عن الأسلام » الذى قدم له الزعيم مصطفى كامل حيث يذكر الأمة المصرية بمجدها السالف ويلقى الضوء على معالم الحضارة العربية وروعتها واصالتها ويدعو فيه الى احياء المجد السالف ، وقرأ جمال ايضا كتاب طبائع الاستبداد للكواكبى الذى يعبر فيه عن ثورته على الاستعمار والاقطاع والطغيان ، وكتاب أم القرى الذى يصور اجتماع المسلمين فى هيئة مؤتمر لبحث اسباب تخلفهم ، وكتاب احمد امين عن مجددى الاسلام امثال جمال الدين ومحمد عبده ..

وكان جمال عبد الناصر مولعا بمتابعة المقالات السياسية والفكرية فى الصحف والمجلات مثل اللواء والاخبار التى كان يصدرها

الاستاذ امين الرافعي المعروف آنذاك بعدائه لأى حل وسـط مع الانجليز ·· وكان معجبا بمقالاته حول فضل الحضارة العربية على اوروبا ·· وكيف يمكن للعرب استعادتها بالعلم والوحدة والحرية !·

لقد ترك جمال عبد الناصر دراسـة الحقوق والتحق بالكلية الحربية لأن « السيف أصدق انباء من الكتب » ·

وحول هذه الواقعة يروى حسن النشار التفاصيل المثيرة ··· التى تكشـف عن ايمانه بحتمية الثورة بعد أن أقنعته تجاربه السياسية بفشل الحلول الحزبية ووعود الحكومات والمفاوضة مع المستعمر ، وأن القوة لا تجابه بغير القوة ·· والاحتلال القسـرى بجيش وطنى ·· وقرر من البداية ان يكون ضابطا فى الجيش ·· ولكنه اضطر للالتحاق بكلية الحقوق عندما لم تقبله الكلية الحربية لأنه لم يكن له « واسطة » ·

ويقول حسن النشار : « ربما لم يتغير تاريخ مصر السياسى والاجتماعى لو أن عبد الناصر استمر فى دراسة الحقوق ، أو خانته شجاعته فى مواجهة اللواء محمد خيرى ، او ان وكيل الحربية لم يقتنع بقضيته ولم يقف الى جانبه ! ·· » ·

وعن عبد الناصر الانسان يقول صديقه حسن النشار : ـ «كانت الاسـتقامة أبرز صفاته وكان يردد على مسامعنا المثل الشعبى « امشى عدل يحتار عدوك فيك » ، ولذلك ظل طوال حياته منزها عن اى مطعن فى اخلاقه ··

وكان رحيما بالضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة ·· ولكنه كان يكره الضعف فى الانسان الذى يستطيع أن يكون قويا ·· وكان بارا بأهله ، وكم كان سروره عندما نقل الى منقباد ، حتى يتوافر

له وصل ما انقطع من صلات مع افراد عائلته في بني مر ، حيث كان يقضى معظم وقته واجازته من الجيش مع أهله الفلاحين البسطاء عمه الشيخ طه حسين خليل .. وعمه الثانى الحاج عطية حسين خليل ، وأولاد عمه يوسف واحمد محمد خليل ومحمد ومصطفى السيد عبد العال خليل وهاشم احمد محمد خليل .. وكلهم اما من صغار الملاك أو عمال أو موظفين .. وكان يصاحب زملاءه الضباط الى قريته .. وكان يقدم لهم افراد عائلته فى فخر واعتزاز ..

وأذكر مناقشة حدثت فى صبيحة احد الايام بمدرسة النهضة بين اثنين من الزملاء .. واحتكما لجمال عبد الناصر .. واستمع الى موضوع الخلاف ثم التفت الى الزميل الذى اعتقد أنه مخطىء وقال له : ـ الحق مع صديقك وعليك أن تعتذر له .. فغضب الزميل وقال : أنت الى جانبه لأنه صعيدى مثلك .. وابتسم جمال فى هدوء وقال : ـ تعيرنى بانى صعيدى .. انني فخور بذلك .. لأن الصعيدى رجل حقا .. رجل لا يتنازل عن شيء من حقوقه ! » .

ولم يكن جمال عبد الناصر صلف المشاعر حاد الطبع كما حاول اعداؤه أن يصوروه للناس .. فقد كان يذوب رقة .. وكان لحديثه حلاوة وسحر .. وكان الى جانب قراءاته الجادة شغوفا بالروايات الأدبية التى اتسمت بالرومانسية فى ذلك الحين .. وكان محبا للمرح وعندما ييسر به الحال كان يقتطع من مرتبه ثمن تذاكر موسم الأوبرا ومسرحيات يوسف بك وهبى ..

لقد نما حبه للمسرح بشكل عملى .. فاصبح عضوا فى فريق التمثيل بمدرسة النهضة الثانوية ، وقام بدور يوليوس قيصر على مسرح برنتيا يوم ١٩ يناير ١٩٣٥ ، ثم عين مديرا لمسرح المدرسة فى العام التالى بعد نبوغه فى فن التمثيل والالقاء ..

وكان جمال عبد الناصر ولوعا بالاستماع للشيخ محمد رفعت في قراءة القرآن ، وبالشيخ الفران في التواشيح .. وكان يحفظ العديد من التواشيح والموشحات والبشارف الأندلسية والتركية .. وكان يجيد الاستماع للموسيقى العربية « الكلاسيك » . وبعض اغنيات محمد عبد الوهاب القديمة .. وكان يحلو له ترديد اغنيتين « جفنه علم الغزل » « وليلة الوداع طال السهر » وقد نما حبه لأم كلثوم خلال خطبته لزوجته الفاضلة السيدة « تحية » ..

وجمال عبد الناصر كان رياضيا ومتفوقا في العديد من الألعاب ولكنه كان يفضل رياضة السير على الاقدام .. لأنها لا تعطله عن هواية التفكير والتأمل والمناقشة .. وكان دائما يحبب الينا هذه الرياضة .. ويصحبنا الى صحراء العباسية أو الى حديقة الماسترلي بالروضة . حيث تدور بيننا مناقشات سياسية وفكرية ممتعة .. ثم نكتشف اننا سرنا على الاقدام عدة كيلومترات دون ان ندرى أو نشعر بالتعب ..

اخيرا ..

يبقى من شريط ذكريات الصديق القديم مسيرة اعداد عبد الناصر لثورة ٢٣ يوليو .. فمن اين بدأ خطوته الأولى ؟ .

يقول حسن النشار : ـ في أكثر من مناسبة كان جمال يفصح عن رأيه في ضرورة قيام الجيش بالثورة .

كان يرى أن الشعب قام بكثير من الانتفاضات ، ولكنها كانت تتحطم الواحدة تلو الأخرى على صخرة القوات المسلحة التى كانت تقوم بقمعها .. وكان جمال يقول : ـ لن تكون هناك ثورة ناجحة الا اذا قام بها الجيش أو انضم اليها الجيش .. أليس الجيش جزءا من الشعب ؟ أليس هو الطليعة المسلحة للشعب ؟ .

ويذكر حسن النشار أن معظم قيادة الضباط الأحرار فيما بعد كان عبد الناصر قد التقى بهم لأول مرة في منقباد ، حيث التحق

بعد تخرجه عام ١٩٣٨ بكتيبة البنادق الخامسة مشاه ·· ولكن تفكير عبد الناصر للجدى فى تكوين تنظيم سرى داخل الجيش جاء بعد حادثة فبراير ١٩٤٢ الشهيرة التى خلقت مناخا وطنيا ملائما فى صفوف القوات المسلحة ·· وفى رسالته المثيرة التى بعث بها من السودان الى صديقه يقول ردا على رسالته : ـ

« ان خطابك جعلنى اغلى غليانا مرا ، حتى كنت على وشـــك الانفجار من الغيظ ولكن اشعر بالخزى والعار لأن جيشنا سكت على هذا الاعتداء وارتضاه ولكننى مسرور على اى حال فقد كان ضباطنا يشغلون أوقات فراغهم بالحديث عن ساعات اللهو والمسرات فبدأوا الآن يتحدثون عن الانتقام لا من أجل القصـــــر ·· ولكن من أجل مصـــــــر ! ·· »

لقد استغل عبد الناصر حادث ٤ فبراير افضل استغلال فى استكشاف العناصر الوطنية الجسورة الصالحة للانضمام لتنظيم الضباط الأحرار ، وكانت خطته أن يتغلغل التنظيم بين مختلف اسلحة الجيش وفروعه حتى يتمكن من السيطرة على قيادته تماما · وكان التشكيل لنظام الخلايا فى تسـلسل هرمى حتى لا ينهار وينكشف أمره ·· ويخضع فى النهاية لقيادة عليا موحدة لا يعرف افراد الخلايا حقيقة اعضائها ! ·

وعبد الناصر فكر فى البداية بان يضم الى التنظيم عددا من العناصر الوطنية التى عمل معها خلال حياته المدنية ، كان ذلك عام ١٩٤٢ على وجه التحديد ، وكان آنذاك اركان حرب الكتيبة الثانية المرابطة فى أبى زعبل ·· وتم الاتفاق بين العناصر المدنية والعناصر العسكرية على بدء تنفيذ الخطة بقطع خطوط الامدادات والمواصلات عن الجيش المصرى فى العلمين وتوجيه ضـــربة من الخلف لقوات الاحتلال فى الصـــحراء الغربية بعد احتلال محطة الاذاعة ·· لكن عبد الناصر عدل عن خطته قبل موعد تنفيذها بوقت كاف بعد اعتقال عبد الفتاح عنايت فى سجن مصر وخشيته أن يفتضح سر الخطة ·

واتذكر من اسماء العسكريين الذين شهدوا الاتفاق على الخطة .. اللواء محمد سـالم وكيل وزارة الحربية آنذاك والبكباشي محمد طاهر .

وسألت حسن النشار : ـ هل علمت بما كان يدبره عبد الناصر للقيام بثورة ٢٣ يوليو ؟ .

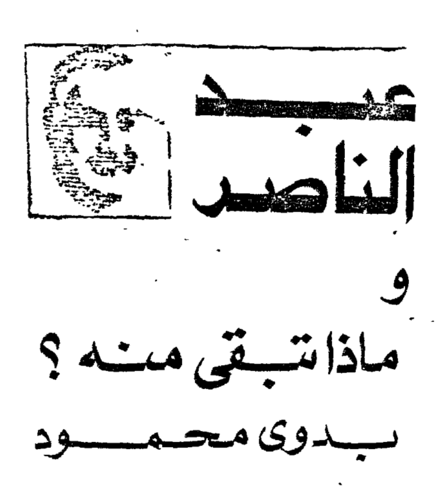
قال : ـ بعد عدول عبد الناصر عن حركة ١٩٤٢ قرر الا يشرك المدنيين فى التنظيم الجديد للضباط الاحرار .. ولكن بحكم معرفتى بثورة عبد الناصر الكامنة وانشغاله الدائم بالأوضـاع في البلاد وسخطه عليها .. كنت اشعر عندما ألتقى به أو يزورنا فى منزلنا بانه لا يفارق عددا من الضباط من بينهم المشير عبد الحكيم عامر .. وعندما كنت ألتقى باصدقائه الضباط الذين يثق فيهم كنت الاحظ انهم على شاكلته يرددون نفس عبارات السخط والتذمر على أوضاع البلاد والجيش وضرورة الخلاص ..

كانت انتخابات « نادى الضباط » المرآة لثورة هؤلاء الضباط بزعامة عبد الناصر .. ويوما التقيت بصالح حرب باشا رئيس الشبان المسلمين . وهمس فى اذنى قائلا صديقك جمال وراء تنظيم وطنى ضد الملك والحكومة .. خليه ياخد باله ! .

وادركت على الفور أن هناك أمرا يخفيه عبد الناصر عنى .. ولم أفاتحه فيه .. فقد كان أوسع منا جميعا افقا وفكرا وتخطيطا وحرصا ..

وينهى حسن النشار المحامى صديق عمر جمال عبد الناصر ملحمة الذكريات العزيزة :

وصدق ما توقعته .. وفوجئت بقيام ثورة ٢٣ يوليو .. ولم يعلن اسم قائدها فى حينه .. ولكنى ادركت انه جمال عبد الناصر من بيان الثورة الأول .. ولاح صبح جديد على مصر ليتولى حكمها واحد من ابنائها بعد آلاف السنين .. صعيدى من بنى مر اسمه جمال عبد الناصر حسين ! ..



عبد الناصر

و

ماذا تبقى منه ؟

بدوى محمود

منذ عشر سنوات .. رحل عنا مجاة ، واصبح الرجل فى ذمة التاريخ . وقبله مات مئات بل الوف من الحكام فى العـــالم .. بعضهم نسيتهم شعوبهم ، ولم يعودوا يتذكرون حتى اسمائهم .. وآخرون لا يذكرون الا باللعنات تمطر قبورهم .. والبعض الآخر يبقى شعلة لا يخبو ضوؤها فى قلب امته .

وخلال السنوات الماضية . تعرض الرجل وهو فى رحاب الله لأعنف الحملات .. فقيل ان أيامه كلها كانت خرابا ونكسات ، وكل ما فعله ينبغى نقضه . حتى السد العالى ينبغى هدمه والقطاع العام

ينبغى بيعه .. وقيل انه حول الوطن الى ســـجن كبير . واغلق جميع نوافذه ، فتخلفت مصر عن مسايرة للزمن . وقيل انه مزق وفتت وحدة للعالم العربى .

وايا كان التشويه لاسمه .. فسيبقى هو حيا دائما فى قلبها .
والآن يقولون بصوت صارخ ماذا تبقى لنا من عبد الناصر !؟

● عبد العظيم المغربى :

● سكرتير لجنة الدفاع عن الحريات بنقابة المحامين .

● عضو مجلس ادارة منتخب فى شــركة مصر للتصــدير والاستيراد .

لنعرف ما تبقى من ثورة عبد الناصر ، علينا ان نعرف إولا سمات هذه الثورة . واعتقد انها تتمثل فى :

ايمانها بالعدالة الاجتماعية فى أرقى صورها بكل ما تحمله هذه العبارة من معان سياسية واقتصادية سواء من حيث التنمية الشاملة او اعادة توزيع الناتج القومى ، لتحقيق العدالة بين طبقات المجتمع المنتجة ، وبصفة خاصة الفقراء من عمال وفلاحين وصغار موظفين ورأسمالية منتجة .

ان تكون هذه الانجازات ، عاملا مساعدا على تأكيد استقلال مصر وانضمامها الى حركةالتحرر ومعاداتها الاستعمار بكافة اشكاله وريادتها لمجموعة دول عدم الانحياز .

ايمان عبد الناصر بوحدة الأمة العربية .

● قبارى عبد الله :

● عامل كهربائى

● عضو مجلس الشعب سابقا ٠.

للذى تبقى من عبد الناصر ٠٠ شعبيته وحب الناس له ٠٠ فرحمه الله كان يعادى الرجعية المصرية ٠ وبقايا النفوذ الأجنبى فى الداخل ، ويعادى الاستعمار واسرائيل والقوى الصهيونية ٠ ومعاداة هذه القوى جميعها ، ليس بالشىء البسيط الهين حتى لقد وصل صدامه معها الى حد شن حرب عليه مرتين ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وتعرض لحصار اقتصادى وتجميد للاموال المصرية المودعة فى البنوك الأجنبية فى الخارج ، ومع هذا كله . لم ترتفع الأسعار فى السوق المصرية بصورة يعجز عن تحملها الأغلبية العظمى من الشعب ٠

كان حريصا على الا يرتفع سعر الخبز والملح والفول والزيت والحلاوة وكل أطعمة الفقراء ، لانه كان منهم ، ولا بغيبون عن وجدانه لحظة ٠

وانكر اننا بعد هزيمة ١٩٦٧ بكل ابعادها المؤلمة ، استطاع عبد الناصر العملاق أن يواجه اسرائيل بحرب استنزاف رهيبة على ضفاف قناة السويس . ومع هذا استمرت الأسعار فى ثباتها حتى اللحوم لم ترتفع اثمانها مليما واحدا ٠ وكان كل مواطن مصرى يضمن وجبات يومه كاملة بالاضافة الى التعليم المجانى والرعاية الصحية بلا مقابل ٠

وهذه هى سيمفونية الشعب المصرى التى يسمعها لنفسه كل يوم

والذى تبقى من عبد الناصر . الترحم على أيامه ، التى كانت فيها الوطنية والعزة القومية فى أوجها ، أيام كان الانسان منا يشعر بانتماء حقيقى لمصر والأمة العربية ٠

● شاهنده مقلد :

● فلاحة من قرية كمشيش بالمنوفية ..

ما تبقى من عبد الناصر هو ذكراه للتى لا تموت فى قلب كل فلاح مصرى . فهو الذى أصدر ثلاثة قوانين للاصـــلاح للزراعى ، ليحرره من استبداد واستغلال وقهر الاقطاع ، طليعيد رسم خارطة الريف سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

وهو للذى أتاح لابنائه الذين حرموا من التعليم والثقـــافة طويلا ، فرصا للتعليم المجانى ، وأصبحوا الآن مهندسين وأطبـاء وضباطا ومدرسين ، وسافر بعضهم الى أوروبا ، ليعودوا أسـاتذة بالجامعات وخبراء دوليين .

وهو الذى أدخل الكهرباء للريف فاضاء حياته ، ووضع اللبنة الأولى لتصنيع وتطوير الزراعة ، بكل ما يعنيه ذلك من رفع لمستوى معيشته ونقله اجتماعيا وثقافيا لعصر آخر .

وهو الذى قدم له ، ولأول مرةالرعاية الصحيةالمجانية ، وانشا آلاف الجمعيات التعاونية الزراعية لمساعدته على تسويق منتجاته وتوريد مستلزمات هذا الانتاج ومده بالقروض المالية بلا فوائد .

هذا هو عبد الناصر الذى تموت ذكراه فى للقرية المصرية .

● عطية الصيرفى :

● عضو مجلس ادارة اتحاد عمال النقـل المشترك بطنطا سابقا .

● رئيس نقابة عمال لتحاد الاتوبيس بزفتى وميت غمــر سابقا .

لست ناصريا ، ولم اكن ، ومع هذا اقرر للحقيقة والتاريخ ان عبد الناصر ، هو أول زعيم مصرى تصدى للقضاء على ظاهرة عمال التراحيل الا انسانية فى الريف المصرى ، ولو لم يتبق منه غير هذا لكفاه فخرا .

وعمال التراحيل هم عمال الزراعة الكادحون ، الذين تضطرهم الحاجة والفقر الى القيام برحلات عمل جماعية بعيدا عن قراهــم ليمارسوا فلاحة الأرض وزراعتها واشغال الطرق واعمال الحفــر والردم ، ويتولى جمعهم ونقلهم والاشراف عليهم مقاولوا الانفار .

فى نهاية الخمسينيات كان عددهم قد بلغ ٢٠٠ الف عامل على مستوى الجمهورية .. منهم ١٢٠ الفا فى محافظة الدقهلية وحــــدها .

وقانون الاصلاح الزراعى الذى اصدره عبد الناصر بعد قيام الثورة بثلاثة اشهر فقط ، كان أول اعتراف قانونى وفعلى بحقــوق هؤلاء الكادحين ، اذ تضمنت نصوصه حق عمال الزراعة ، فى انشاء تنظيمهم النقابى ، كما تضمن حدا ادنى لأجورهم وتأكـــدت هذه الحقوق وتدعمت فى قانون رقم ٧١٩ لسنة ١٩٥٣ .

● ماهر احمد زكى :

● مراقب الشئون الثقافية بهيئة التليفونات .

● فحــــام .

لو ان ما انجزه عبد الناصر ، كان ضعيفا وواهيا لانتهـــى الأمر منذ سنوات لكن عبد الناصر كان يقود ثورة فى كل مجــال

ومن يريد أن يعرفه فيزور منطقة اسوان . ويرى ما طرا عليها من تغيرات ويسمع بكائيات أهلها عليه .

لن أتحدث عن السد العالى فهو ملك لمصر كلها ، وساقصر حديثى على النوبة الجديدة ، أرض عبد الناصر .

قبل السد كانت النوبة بلد الكهول والأرامل والصبية الصغار، أما شبابها فكانوا دائما يرحلون شمالا بحثا عن أى عمل فى القاهرة أو المدن الكبرى ، وغالبا ما كانوا لا يجدون الا المهن الدنيا كالخدمة فى القصور وحراسة العمارات واشتهر النوبى كخادم للباشا ، أو المدن الكبرى ، وغالبا ما كانوا لا يجدون الا المهن الدنيا كالخدمة فارضه الفقيرة نسبيا أغرقت ثلاث مرات خلال هذا القرن : الأولى عند انشاء خزان أسوان عام ١٩٠٢ والأخرى عند تعليته عام ١٩١٢ والثالثة بعد تعليته مرة أخرى عام ١٩٣٣ .

وجاء السد العالى لتتولد منه اكبربحيرة صناعية فى العالم وتغرق جميع منطقة النوبة ، وبدلا من ان تقتصر التعويضات على منح من فقدوا أرضهم بدلات نقدية او قطعة ارض صغيرة فى أى مكان كما كان يحدث فى الماضى ، اعيد تخطيط وانشاء وطن جديد لأهالى النوبة . وطن كامل بأرضه الزراعية ، ومساكن ومبانى للخدمات العامة وطرق وشبكات مياه عذبة وكهرباء وتليفون وخلافه واختيرت منطقة اسنا وكوم امبو التى تعتبر اراضيها من أخصب بقاع مثل وتتفق وتتمثل طبيعتها مع طبيعة بلاد النوبة لتكون الوطن الجديد واشترك فى التخطيط للقرى الجديدة أهل النوبة أنفسهم لكى تكون قراهم الجديدة متماثلة لبيئتهم القديمة .

وخلال خمس سنوات تقريبا أنشىء ٣٢ الف مسكن ريفى بلغت تكاليفها حوالى ٢٢ مليون جنيه وزعت على ٢٠ قرية سميت بنفس اسماء القرى القديمة .

والأكثر من هذا ان عبد الناصر شخصيا امر واضعي خطة التنمية الأولى ، بأن تتضمن اقامة مصانع فى منطقة كوم امبو ليعمل فيها خصيصا أهالى النوبة .

وهكذا تحولت النوبة من اراض صحراوية جرداء الى جنة خضراء ، انتشرت على أرضها منازل ومستشفيات ومصابيح كهربائية ومجموعات مياه صحية ومدارس وارتفعت نسبة التعليم من ٥٪ الى ٨٥٪ ، وهذا ما بقى منه فى النوبة الجديدة .

● امينة شفيق :

● عضو مجلس نقابة الصحفيين .

● محررة بجريدة الاهرام القاهرية ..

ان أعظم انجاز لعبد الناصر هو تحديه لفكرة الاستغلال .

فقبل عبد الناصر لم يستطع حاكم فى تاريخ مصر منذ نهاية عصر (محمد على) ان يتخذ قرارا بهذا المعنى وظلت الملكية الشخصية مصونة لا تمس حتى جاء عبد الناصر ، ليحطم هذه الفكرة ، ويعيد صياغة قيم وعلاقات جديدة من ابرزها ان الملكية وظيفة اجتماعية وليست حقا مقدسا وأن ترك ملكية وسائل الانتاج فى نطاق الملكية الخاصة بغير حدود ، ولابد وأن تؤدى الى خلل فى توزيع عائد الانتاج فى المجتمع والحل الذى طرحه هو تحقيق العدالة حتى يكون العمل هو المعيار الأساسى للتوزيع فى المجتمع .

وبالطبع خلق هذا الفكر احساسا لدى الطبقات الاجتماعية الفقيرة وبالذات العمال والفلاحين بأن من حقهم التملك كبقية البشر .

ولا أعتقد ان أحدا ، مهما كان يستطيع ان يطمس هذا الاحساس او هذه القيم الجديدة ، كما لا أعتقد ان أى خطوة تسمح بعودة

الملكية الزراعية الكبيرة أو بنمو طبقات طفيلية ، يمكن ان يمحو من وجدان الفلاحين والعمال الاحساس بالقدرة على قهر هذه الطبقات مهما كانت قوتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية خاصة أن تحدى عبد الناصر للطبقات العليا فى المجتمع ، ارتبط بانجازات اجتماعية ضخمة تعتبر فى حد ذاتها ثورة .

وعندما تكون القيم التى تركها عبد الناصر بهذا القدر من العمق فى حياة ٨٠٪ من الشعب المصرى فانه من المستحيل ان ينال منها أحد .

● **محمد صبرى مبدى :** -

● عضو مجلس نقابة المحامين .

● عضو مجلس الأمة سابقا ..

ماذا بقى لنا من عبد الناصر ؟.. هو ذات السؤال الذى يمكن ان نطرحه بصيغة اخرى ، دون ان يفقد شيئا من معناه . هو ماذا بقى لنا من ثورة يوليو ، فالحديث عنه هو حديث فى الوقت ذاته عن ثورة يوليو .

عبد الناصر كان الضمير الحى لأمتنا العربية والتعبير التاريخى عن ارادتها ، لذا عاش فى قلوبنا وعقولنا ، وبقى الزعيم الذى لا ينافس حتى ساعة الهزيمة ، وأصبح بعد رحيله رمزاً متألقا لتجربة تاريخية تركت مردودها على واقع المجتمع المصرى والعربى وهى التجربة التى كانت ومازالت مبعث الجنون الذى اتسمت به الحملات الضارية والهجمات المسمومة ، التى استهدفت جمال عبد الناصر وأيامه .

ان الحملات على عبد الناصر ليست غايتها النيل من فكره أو تلويث ذاته ، بقدر ما كان الهدف الاجهاز على ما حققه وانجزه ورأس الرمح فى هذه الحملات هو الاستعمار والصهيونية العالمية التى

لا يمكن ان تغفر له تأسيس جيش مصر الحديث ليكون سلاحنا الرئيسى لحماية الاستقلال ، وانه بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ خصص وقته وجهده لاعادة بناء قواتنا المسلحة تسليحا وتدريبا وافرادا ٠

فجند الألوف من الشباب خريجى الجامعات والمدارس الثانوية الفنية والعمال الفنيين والمهرة ، الذين بدونهم لم يكن ممكنا استيعاب الأسلحة الحديثة وخاصة فى مجال الطيران والدفاع الجوى ٠

اى ان سياسته فى التوسع فى التعليم كانت الدعامة الأساسية لبناء القوات المسلحة الحديثة ٠

كذلك فان الكثير من المعدات والتجهيزات الهندسية كانت من عمل شركات القطاع العام ، وخاصة قواعد الصواريخ والمطارات العسكرية ومعدات العبور وغيرها حيث كان للقطاع العام الصناعى الذى انشاه الدور الأساسى فى تجهيز القوات المسلحة وامدادها باحتياجاتها ٠

اى أن ما انجزه عبد الناصر فى حياته كان أساس انتصار القوات المسلحة فى عبور قناة السويس فى اكتوبر ١٩٧٣ بعد رحيله عنا ، وهذا ما لم يغفره له الاستعمار والصهيونية العالمية ، ولكن الشعب المصرى وبقية الأمة العربية ستظل تذكر له هذا وهو ما تبقى منه ٠

◉ عبد الغفار شكر :

- سكرتير اللجنة المركزية لمنظمة الشباب الاشتراكى سابقا ٠
- رئيس تحرير جريدة الشباب العربى سابقا ٠

لم يكن عبد الناصر مجرد رئيس دولة ، انما كان مفكرا ومناضلا سياسيا ، وله انجازات فى عشرين عاماً وسيبقى من هذه الانجازات الكثير لمصر وللوطن العربى وللعالم الثالث ٠

وعلى سبيل المثال ، وصل عبد الناصر الى السلطة فى مصر فى مرحلة تحول الاستعمار الى اشكال واساليب جديدة ، فى مرحلة تفجر المشاكل الاجتماعية ، وبروز اهمية الكيانات الكبيرة وكانت عبقريته أنه قدم معالجات جديدة لقضية الثورة الوطنية فى مواجهة هذه المتغيرات حيث اكتشف أن الثورة الوطنية فى النصف الثانى من القرن العشرين ، لايمكن أن تنجح ما لم تكتشف مضمونا اجتماعيا وتقدميا وبعدا قوميا وحدويا .

ففى مواجهة الأشكال الجديدة للاستعمار ، كان محتما على الثورة أن توسع نطاق مواجهتها للاستعمار العالمى بدعم وتعميق لانتمائها العربى .

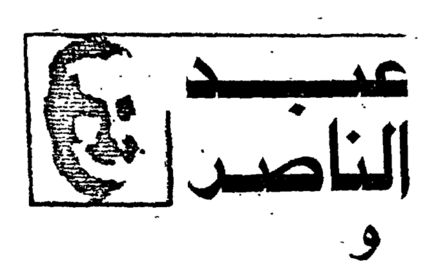
وكان عليها ان تواجه التخلف الاقتصادى والاجتماعى والتناحر الطبقى بتخطيط اقتصادى واقرار مبدأ عدالة التوزيع .

وهكذا بلور عبد الناصر أهدافه الثلاثة وقدم نموذجا جديدا للثورة الوطنية التى تقوم على العدل الاجتماعى والانتماء القومى العربى لا يزال هذا النموذج صالحا ، ولم يستنفد أغراضه بعد ولم تتجاوزه مسيرة المجتمع العربى .

وعلى سبيل المثال أيضا أدرك عبد الناصر ان تقدم المجتمع الحقيقى لم يتوقف على توعية شبابه فأبدى اهتماما خاصا بالشباب المصرى وأشرف بنفسه على بناء منظمة الشباب معلنا أن المهمة الرئيسية له عند اعادة انتخابه لرئاسة الجمهورية عام ١٩٦٥ هى اعداد جيل جديد من القيادات يتحمل مسئولية الاستمرار بالثورة .

ولم تكن صدفة ان يتم تثقيف ٢٣٠ الف شاب فى هذه المنظمة فى الفترة ما بين سبتمبر ١٩٦٥ الى مايو ١٩٦٧ ، حيث كان كما صرح أكثر من مرة من الضرورى ربط أكبر عدد من الشباب بقضايا الثورة .

ان عبد الناصر ما يزال حيا فى هذا الجيل ومن المؤكد أن أفكاره سوف تواصل تواجدها فى الواقع المصرى من خلال هذا الجيل .



التمثال الممنوع

إيرين بيسون

عشر سنوات مضت على رحيل جمال عبد الناصر ومع ذلك فلا يوجد فى القاهرة حتى الآن تمثال يحمل اسم عبد الناصر ! ٠

عاودنى هذا الخاطر منذ أيام ، بل صدمنى ٠٠

واذا كان هناك شخص واحد يستحق أن يقام له تمثال عند قناة السويس فانه الرجل الذى أعاد هذه القناة لمصر ، ثم بعد ثلاثة أشهر فقط ، قاد الشعب المصرى فى معركة عسكرية سياسية ضد العدوان البريطانى الفرنسى الاسرائيلى حتى خرج منتصرا

انتصارا لازال يمثل صفحة من أمجد الصفحات فى تاريخ مصر .. وهذا الرجل هو جمال عبد الناصر .

ولا شك فى ان ثورة ٢٣ يوليو هى التى جعلت من الممكن تاميم القناة أولا ثم الحاق الهزيمة بقوات الغزو الثلاثى عندما حاولت انتزاع القناة من أصحابها وحرمان مصر من دخلها .. وهذه الثورة ايضا تحمل اسم ناصر ..

وقبل عبد الناصر شهد الشعب المصرى سجلا للعديد من الأبطال الوطنيين الذين قادوا كفاحه من أجل التحرر من ربقة السيطرة الأجنبية ونستطيع أن نرى تماثيل هؤلاء فى ميادين وشوارع القاهرة وسائر المدن المصرية ، ومن هؤلاء على سبيل المثال – لا الحصر – أحمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول وطلعت حرب ..

ولكن مهما كان قدر هؤلاء واسهامهم فى سبيل شعب مصر ونضالهم من أجل حريته واستقلاله فان الذى لا شك فيه ان جمال عبد الناصر ومجموعة الضباط الأحرار الذين قادوا ثورة ٢٣ يوليو هم الذين توجوا كل هذا الكفاح المجيد وحققوا لأول مرة الهدف النبيل الذى ناضل من أجله هؤلاء القادة العظام ، أن تصبح مصر للمصريين .

كيف اذن لا نرى لعبد الناصر تمثالا من البرونز أو الجرانيت مثل تماثيل أسلافه ، فى ميدان التحرير بالقاهرة على سبيل المثال ، حيث هناك قاعدة خالية بالفعل تنتظر تمثالا ؟ واليس من المناسب جدا أن يكون مكان تكريم عبد الناصر بالفعل هو نفس الميدان الذى كانت أرضه فيما مضى موقعا لثكنات قوات الاحتلال البريطانى .. رمز الاستعمار الذى ظل يسيطر على اقدار مصر حتى طرد منها على يد جمال عبد الناصر ؟.

لقد استقبل شعب مصر بالاحضان ثورة ٢٣ يوليو وهلل لها وكبر واجدا فيها الخلاص ، واعترف بجمال عبد الناصر قائدا وزعيما على مدى ١٨ عاما منذ قاد الثورة حتى وافاة الأجل ، ومنحه ثقته وجدد بيعته فى مشهد لم ير التأريخ له مثيلا من قبل عندما تدفق ملايين المصريين ليلة ٩ يونيو ١٩٦٧ فى شوارع القاهرة لتجبره اجبارا على التراجع عن استقالته والعودة الى مكان القيادة . ونفس هذه الملايين هى التى غمرت شوارع القاهرة بعد ذلك بنحو ثلاث سنوات لتبكيه وتودعه كما لم يودع شعب زعيما له من قبل .

فكيف اذن لم يفكر ممثلو هؤلاء الملايين فى المجالس النيابية او السلطة طوال العشر سنوات الماضية فى اقامة تمثال للزعيم الذى طالما هتفوا له ورددوا الأناشيد تمجيدا لبطولاته وتعبيرا عن حبهم وولائهم له ؟.

وهل تماثيل احمد عرابي وسعد زغلول وغيرهما من التماثيل التى تراها فى ميادين القاهرة لم تقم فى مكانها الا بعد أن اقترح « مواطنون فى الداخل والخارج » اقامتها ؟ وأليس من واجب أية قيادة وطنية موجودة فى السلطة أن تعمل هى على تكريم من يستحقون التكريم من ابناء البلد العظام سواء كانوا حكاما أو فلاحين مناضلين أوعلماء بارزين أو أدباء نابهين .. الخ ؟.

منذ عامين أو نحو ذلك ، فوجىء سكان منطقة جاردن سيتى — وهى من أرقى أحياء القاهرة — فوجئوا بعمال البلدية يزينون ميدان قصر الدوبارة ، ويقيمون فى وسطه تمثالا مغطى بستار ، ويحيطونه بحديقة صغيرة من الورود والأزهار ، وذهب خيال بعض أهل القاهرة الى أن البلدية أو الحكومة قد تنبهت لتقصيرها ، وأنها قررت أخيرا أن تقيم تمثالا للبطل الفقيد ولكن يبدو أن هؤلاء كانوا مسرفين فى حسن الظن ، رغم أن الحى « الارستقراطى » لم يكن بالمكان اللائق

التمثال للزعيم الشعبي ، فعندما جاء يوم الاحتفال بازالة الستار عن التمثال ، فوجيء الجمهور بانه للزعيم الفنزويلى سيمون بوليفار الذى لا يكاد احد يعرفه فى مصر ! ..

وعندما يثار السؤال : لماذا لا يقام تمثال لعبد الناصر فى مصر يجيب ناقدوه ببساطة : لأنه خسر الحرب .

وهذا شعار معاد لعبد الناصر اخذ البعض يردده اخيرا مثلما تفعل الببغاوات ، فقد كان الراى السائد حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ أن مصر (أو ناصر) فى يونيو ١٩٦٧ « خسرت معركة ، ولكنها لم تخسر الحرب » .

ثم هناك نقطة اخرى ...

فهؤلاء القادة الوطنيون العظام الذين كرمتهم مصر ، فاقامت لهم التماثيل فى ميادين وشوارع القاهرة وغيرها من المدن ، ليس فيهم احد لم يخسر اكثر من معركة .. ولم ينجح احدهم فى تحرير مصر من عبودية الاستعمار .. ومع ذلك فقد استحقوا التكريم لمجرد ان كان لهم شرف الكفاح والنضال ، فما البال بعبد الناصر ، وهو البطل الذى تم على يديه بالفعل تحرير مصر ، والذى حقق الانتصار فى المعركة الحاسمة التى انتهت بالاستقلال ..

ونعود الى قصة التماثيل فنقول ان التماثيل لا تقام لمن ينتصرون فى الحروب فقط ، وانما تقام ايضا تكريما وتخليدا لمن يقومون بجلائل الأعمال من اجل اوطانهم .. من اجل العلم او الفن .. من أجل العلم . جمعاء .. فهؤلاء ايضا يستحقون التكريم والتخليد .ومن اجلهم تقام التماثيل فى كل البلاد التى تعرف كيف تقدر ابناءها ..

والمصريون الذين لا زالوا يعتبـرون عبد الناصر ، الزعيم الخالد ، يذكرونه في قلوبهم بكل اعتزاز واكبار وحب وحنين من اجل كل ما فعله ، ولأن افعاله غيرت وجه الحياة في مصر ، وفي العالم العربي وفي العالم الثالث كله ، ولن ينسوه ابدا ..

ان عبد الناصر هو الذي اعاد الينا كرامتنا ، وجعل العالم ينظر الينا باعتبارنا أمة عظيمة ؛ عبد الناصر كان زعيما وطنيـا حقيقيا وهب حياته لكي يحول شعار القومية العربية من مجرد شعار الى حقيقة واقعة ، وبفضل وجوده ودوره في مؤتمر باندونج أصبحت مصر قلعة قيادية رائدة لسائر بلدان العالم الثالث ، ولقد كان هو الذي بذر بذور اسـتقلال العـالم الثالث عن الـكتلتين الشرقية والغربية ، وهو الذي اقـام السـد العـالي ، وحـول مصر من مزرعة الى دولة صناعية ، وطوال وجوده في السلطة كان همـه الأكبر والوحيد هو العمل على رخاء ورفاهية الأغلبية المسحوقة من اهل بلده ، وكان لديه ميل غريزي لانصاف الفقراء والشعب العامل، ولقد نجح عبد الناصر في تقريب الفوارق الاجتماعية بين الطبقات، وفي اقامة الوحدة الوطنية ، كان يحب الشعب ، كان واحدا منا .. ابن بلد حقيقي ، ناصر اعطانا نحن الفلاحين ماء للارض ، عندما كان ناصر بيننا كنا نجد لقمة العيش .. »

هذه الكلمات ، واكثر منها ، يسمعها المرء عن عبد النـاصر اينما سار في أرض مصر ، ومن كل الناس على اختلاف طبقاتهم ، حتى من معارضيه السياسيين الذين قضوا أعواماً في السجون اثناء فترة حكمه يتوقون الى اللحظة التي يرون فيها تمثالا لعبد الناصر مقاما في اكبر ميادين القاهرة .

ولعل من اكثر الناس اعترافا بافضال عبد الناصر ،الفلسطينيين في المنفى ، الذين يرون في عبد الناصر الرجل الذي ساعدهم على

التحول من لاجئين الى فدائيين ـ وفى رأيهم أن ناصر ليس فى حاجة الى تمثال أو تماثيل لتكريم ذكراه ، فذكرى الزعيم الخالد باقية الى الأبد فى قلوبهم ، و « أبو خالد » بالنسبة لهم ليس فقط زعيما مصريا عربيا عظيما تعلو هامته فوق كل الرؤوس ، وانما هو ايضا « شهيد فلسطينى » ... وسيظل دائما حيا بينهم .

وعلى هذا النحو يفكر كثير من المصريين الذين لا يريدون أن يروا « الزعيم الخالد » وقد تحول الى مجرد تمثال بارد من حجر أو برونز ، فعبد الناصر لديهم لم يمت ، ولا يمكن أن يموت .. لأنه يعيش فى قلوب الناس .

والأموات فقط هم الذين يحتاجون الى التماثيل لتذكر الناس بهم !..

« ايرين بيسون »
مراسلة جريدة الجارديان البريطانية

رقم الايداع بدار الكتب ٨١/١٨٠٢

ابو سيف يوسف
احمد حمروش
د. اسماعيل صبري عبد الله
ايرين بيسون
بدوي محمود
د. حسن حنفي
حسنين كروم
خالد محيي الدين
عبد العزيز جميل
عبد العظيم مناف
عبد الفتاح ابو الفضل
عبد الله امام

كمال الدين رفعت
ليونارد موسلي
مجدي حسنين
د. مراد غالب
محمد بركات
د. محمد شفيع عجواني
محمد عوده
محمود المراغي
د. ميلاد حنا
نجاح عمر
د. يحيى الجمل
يوسف الشريف





دار الم
للصحافة والنشر
٣٨ شارع قصر العي
ص.ب ٢٤ دواوين

الغلاف : محمود الهندى